مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء التاسع

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ﴾
﴿ ابْنِ خَلَّادٍ الرَّامَهُرْمُزِى * ﴾

الحسن الرامهرمزى

أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاضِي . ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ وَقَالَ : هُوَ حَسَنُ التَّصْنِيفِ مَلِيحُ التَّأْلِيفِ ، سَلَكَ طَرِيقَةَ الْجَاحِظِ وَكَانَ شَاعِراً ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ . مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ رَبِيعِ الْمُتَيَّمِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ . كِتَابُ الْفَلَكِ فِي مُخْتَارِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ . كِتَابُ أَمْثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كِتَابُ الرَّيْحَانَتَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ . كِتَابُ إِمَامِ التَّنْزِيلِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ . كِتَابُ النَّوَادِرِ وَالشَّوَارِدِ . كِتَابُ أَدَبِ النَّاطِقِ . كِتَابُ الْمَرَاثِي وَالتَّعَازِي . كِتَابُ رِسَالَةِ السَّفَرِ . كِتَابُ مُبَاسَطَةِ الْوُزَرَاءِ . كِتَابُ الْمَنَاهِلِ وَالْأَعْطَانِ وَالْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ . كِتَابُ الْفَاصِلِ بَيْنَ الرَّاوِي وَالْوَاعِي [١] .

(*) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٢٠

(١) زاد فى الفهرست . كتاب الشيب والشباب . كتاب أدب الموائد

وَكَانَ القَاضِي الخَلَّادِيُّ مِنْ أَقْرَانِ القَاضِي التَّنُوخِيِّ ، وَقَدْ مَدَحَ (١) عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شُجَاعٍ بِمَدَائِحَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الوَزِيرِ المُهَلَّبِيِّ وَأَبِي الفَضْلِ بْنِ العَمِيدِ مُكَاتَبَاتٌ وَمُجَاوَبَاتٌ ، مِنْهَا مَا نَقَلْتُهُ مِنْ مَزِيدِ التَّارِيخِ لِأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، الَّذِي زَادَهُ عَلَى تَارِيخِ السَّلَامِيِّ فِي وُلَاةِ خُرَاسَانَ .

قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَمَّا اسْتُوزِرَ أَبُو مُحَمَّدٍ المُهَلَّبِيُّ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الخَلَّادِيُّ فِي التَّهْنِئَةِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

الحَمْدُ لِلَّهِ مَانِحِ الجَزِيلِ ، وَمُعَوِّدِ الجَمِيلِ ، ذِي المَنِّ العَظِيمِ ، وَالبَلَاءِ الجَسِيمِ :

الآنَ حِينَ تَعَاطَى القَوْسَ بَارِيهَا (٢)
وَأَبْصَرَ السَّمْتَ (٣) فِي الظَّلْمَاءِ سَارِيهَا

---

(١) يريد بالمادح صاحب الترجمة (٢) تعاطى القوس باريها : يراد به : عاد الأمر إلى نصابه (٢) السمت : الطريق والمحجة

الْآنَ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا مُهَذَّبُهَا

سَيْفُ الْخِلَافَةِ بَلْ مِصْبَاحُ دَاجِيهَا

أَضْحَى الْوَزَارَةُ تُزْهَى فِي مَوَاكِبِهَا

زَهْوَ الرِّيَاضِ إِذَا جَاءَتْ غَوَادِيهَا (١)

تَاهَتْ عَلَيْنَا بِمَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ (٢)

قَلَّتْ لِمِقْدَارِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

مُوَفَّقُ الرَّأْيِ مَقْرُونٌ بِغُرَّتِهِ

نَجْمُ السَّعَادَةِ يَرْعَاهَا وَيَحْمِيهَا

مُعِزُّ دَوْلَتِهَا هَنَّأْتُهَا فَلَقَدْ

أَيَّدْتَهَا بِوَثِيقٍ مِنْ رَوَاسِيهَا (٣)

تَهْنِئَةُ مِثْلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ الْوَزِيرِ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — الدُّعَاءُ أَفْضَلُهُ مَاصَدَرَ عَنْ نِيَّةٍ لَا يُرْتَابُ بِهَا وَلَا يُخْشَى مَذْقُهَا (٤)، وَكَانَ غَيْبُ صَاحِبِهِ أَفْضَلَ مِنْ مَشْهَدِهِ، — فَهَنَأَ

---

(١) غواديها جمع غادية : وهي السحابة تنشأ غدوة ، أو مطرة الغداة ويقابلها الرائحة

(٢) ومنه فلان ميمون النقيبة : أى مبارك النفس (٣) الرواسى : الجبال الثوابت الرواسخ ، واحدتها راسية يخاطب معز الدولة لأنه ولى من هو كالجبال الرواسى

(٤) مذقها : أى اختلاطها وشوبها بكدر

اللهُ الوزيرِ كرامتَهُ ، وأحلى لهُ ثمرةَ ما منحَهُ ، وأحمدَ بدأهُ وعاقبتَهُ ، ومفتتحَهُ وخاتمتَهُ ، حتّى تتصلَ المواهبُ عندَهُ اتّصالاً في مستقبلِهِ ومستأنفِهِ يوفي على متقدمِهِ عنهُ — .

وكتابي هذا — أيدَ اللهُ الوزيرَ — منَ المنزلِ برامهرمزَ ، وأنا عقيبُ علّةٍ ومحنةٍ ، ولولا ذلكَ لمْ أتأخرْ عنْ حضرتِهِ — أجلَّها اللهُ — مهنئاً ومسلماً ، فإنْ رأى الوزيرُ شرّفني بجوابِ هذا الكتابِ . فكتبَ إليهِ المهلبيُّ جوابَهُ :

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ » : وصلَ كتابُكَ يا أخي - أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عزّكَ وتأييدَكَ ونعماكَ - المتضمنُ نفيسَ الجواهرِ منْ بحارِ الخواطرِ ، الحاوي ثمارَ الصفاءِ منْ منبتِ الوفاءِ وفهمتُهُ ، ووقعَ ما أهديتَهُ منْ نظمٍ ونثرٍ ، وخطابٍ وشعرٍ ، موقعَ الرّيِّ منْ ذي الغلّةِ ، والشفاءِ منْ ذي العلّةِ ، والفوزِ منْ ذي الخيبةِ ، والأدبِ[1] منْ ذي الغيبةِ ، وما ضاعتْ حالٌ إلّا وأنتَ الأولى بسرورِها ،

---

(١) الادب التأديب

وَالْأَغْبَطُ بِحُبُورِهَا ، إِذْ كُنْتَ شَرِيكَ النَّفْسِ فِى السَّرَّاءِ وَمُوَاسِيَهَا فِى الضَّرَّاءِ ، وَتَكَلَّفْتُ الْإِجَابَةَ عَمَّا نَظَمْتَ عَلَى كَثْرَةٍ مِنَ الشُّغْلِ إِلَّا عَنْكَ ، وَزُهْدٍ فِى الْمُطَاوَلَةِ (١) إِلَّا فِيكَ . وَالْعُذْرُ فِى تَقْصِيرِهَا عَنِ الْغَايَةِ وَاضِحٌ ، وَدَلِيلُ الْعَجَلَةِ فِيهَا لَائِحٌ ، وَأَنْتَ بِمُوَاصَلَتِى بِكُتُبِكَ وَأَخْبَارِكَ وَأَوْطَارِكَ (٢) مَسْئُولٌ ، وَالْجَرْىُ عَلَى عَادَتِكَ الْمَأْثُورَةِ وَسِيرَتِكَ الْمَشْكُورَةِ مَأْمُولٌ ، وَأَنَا وَاللهِ عَلَى أَفْضَلِ عَهْدِكَ ، وَأَحْسَنِ ظَنِّكَ ، وَأَوْكَدِ ثِقَتِكَ ، وَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ :

مَوَاهِبُ اللهِ عِنْدِى لَا يُوَازِيهَا
سَعْىٌ وَمَجْهُودُ وُسْعِى لَا يُدَانِيهَا
لَكِنَّ أَقْصَى الْمَدَى شُكْرِى لِأَنْعُمِهِ
وَتِلْكَ أَفْضَلُ قُرْبَى عِنْدَ مُؤْتِيهَا

(١) المطاولة : إمهال الشيء حتى يتغلب عليه (٢) الاوطار جمع وطر : وهو الحاجة — ولا يبقى منه فعل — ومنه : قضى وطره ، أى بلغه ونال بغيته وحاجته

وَاللهَ أَسْأَلُ تَوْفِيقاً لِطَاعَتِهِ
حَتَّى يُوَافِقَ فِعْلِي أَمْرَهُ فِيهَا
وَقَدْ أَتَتْنِي أَبْيَاتٌ مُهَذَّبَةٌ
ظَرِيفَةٌ جَزْلَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
ضَمَّنْتَهَا حُسْنَ أَوْصَافٍ وَتَهْنِئَةٍ
أَنْتَ الْمُهَنَّى بِبَادِيهَا وَتَالِيهَا
وَدَعْوَةٌ صَدَرَتْ عَنْ نِيَّةٍ خَلَصَتْ
لَا شَكَّ فِيهَا أَجَابَ اللهُ دَاعِيهَا
وَأَنْتَ أَوْثَقُ مَوْثُوقٍ بِنِيَّتِهِ
وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ حَالٍ نُرَجِّيهَا
فَثِقْ بِنَيْلِ الْمُنَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ
أَصْبَحْتَ تَعْمُرُهَا عِنْدِي وَتَبْنِيهَا

وَكَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ إِلَى الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَلَّادِيِّ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَيُّهَا الْقَاضِي الْفَاضِلُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ ، وَأَدَامَ عِزَّكَ

وَنُعْمَاكَ — . مَنْ أَسَرَّ دَاءَهُ وَسَتَرَ ظَمَاءَهُ ، بَعُدَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَلَّ (١) مِنْ غُلَّتِهِ ، وَقَدْ غَمَرَنِي مُنْذُ قَرَأْتُ كِتَابَكَ إِلَى الشَّرِيفِ ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ شَوْقٌ اسْتَجْذَبَ نَفْسِي وَاسْتَفَزَّهَا (٢) ، وَمَدَّ جَوَانِحِي وَهَزَّهَا ، وَلَا شِفَاءَ إِلَّا قُرْبُكَ وَمُجَالَسَتُكَ ، وَلَا دَوَاءَ إِلَّا طَلْعَتُكَ وَمُؤَانَسَتُكَ ، وَلَا وُصُولَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِزِيَارَتِكَ أَوِ اسْتِزَارَتِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَ أَخَفَّهُمَا عَلَيْكَ ، وَتُعْلِمَنِي آثَرَهُمَا لَدَيْكَ ، وَتُقَوِّمَ (٣) مَا أَلْبَسْتُهُ فِي ذَلِكَ فَعَلْتَ ، فَإِنِّي أُرَاعِيهِ أَشَدَّ الْمُرَاعَاةِ ، وَأَتَطَلَّعُهُ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَأَعُدُّ عَلَى الْفَوْزِ بِهِ السَّاعَاتِ . فَأَجَابَهُ الْخَلَّادِيُّ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : قَرَأْتُ التَّوْقِيعَ — أَطَالَ اللهُ

---

(١) بعد عليه أن يبل من غلته : الغلة شدة العطش . والمراد بعد عليه أن تتحسن حاله ، ويظفر ببغيته (٢) استفزه استفزازاً : أى استخفه واستدعاه

(٣) فى الاصل « وتقدم » وبالتقويم الايضاح ، وهذا اقتباس من الآية السالفة . وألبس عليه الأمر : جعله مشتبها بغيره

بَقاءَ الْأُسْتاذِ الرَّئِيسِ — فَشَحَذَ[1] الفِطْنَةَ وَآنَسَ الوَحْدَةَ، وَأَلْبَسَ العِزَّةَ وَأَفادَ البَهْجَةَ، وَقُلْتُ كَما قالَ رُؤْبَةُ، لَمَّا ٱسْتَزارَهُ أَبُو مُسْلِمٍ صاحِبُ الدَّعْوَةِ:

لَبَّيْكَ إِذا دَعَوْتَنِي لَبَّيْكَا أَحْمَدُ رَبِّي سابِقاً إِلَيْكَا

فَأَمَّا الإِجابَةُ عَنْ أَفْصَحِ بَيانٍ خُطَّ بِأَكْرَمِ بَنانٍ، وَأَوْضَحَ[2] لِلزَّهْرِ الْمُؤْنِقِ لِمالِكِ رِقابِ الْمَنْطِقِ، فَما أَنا مِنْها بِقَرِيبٍ وَهَيْهاتَ «وَأَنَّى لِيَ التَّناوُشُ[3] مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» لٰكِنِّي عَلَى الأَثَرِ، وَلا أَتَأَخَّرُ عَنِ الْوَقْتِ الْمُنْتَظَرِ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى.

قالَ: وَكانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَلَّادِيُّ مُلازِماً لِمَنْزِلِهِ، قَلِيلَ الْبُرُوزِ لِحاجَتِهِ. وَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ: فَرَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ: نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ، يَكُفُّ فِيهِ

(١) فشحذ الفطنة: من شحذ السكين أى حده — والمراد أنه أرهف ذكائى ونبه لبى، لما فيه الخ (٢) فى العماد واضح

(٣) التناوش: التناول — ومعنى الآية: أنى لهم تناول الايمان فى الآخرة، وقد كفروا به فى الدنيا؟

سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ . وَرَوَى عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ : الْعُزْلَةُ عِبَادَةٌ . وَقَالَ : خَلَاؤُكَ أَقْنَى لِحَيَائِكَ . وَقَالَ : عِزُّ الرَّجُلِ فِي اسْتِغْنَائِهِ عَنِ النَّاسِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ .

وَأَنْشَدَ لِابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

اهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا
تَلْقَ السُّعُودَ إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدَا
لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُعَاشِرَةً
وَأَنَّنَا لَا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدَا
إِنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَا فِي مَرَابِضِهَا[1]
وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدَا

(١) مرابض : جمع مربض كمجلس ، وهي للغنم كالمعاطن للإبل ، والمراد أن الحيوان يهدأ في مساكنه . ويترك الشقاق بخلاف الإنسان . هذا وإنى لأرى في هذه الأبيات روحا شعرية تماثل روح ابن قيس الرقيات صاحب مصعب ابن الزبير واللاجىء إلى عبد الملك فأين هذا من قوله :

إنما مصعب شهاب من الله ٭ تجلت عن وجهه الظلماء

ومن قوله في عبد الملك :

يأتلق التاج فوق مفرقه ٭ على جبين كأنه الذهب

ولم يرض بالبيت عبد الملك وقال : إنما يفرح بهذا النساء ، ووازنه بالبيت السابق

« عبد الخالق »

ثُمَّ صَارَ الخَلَّادِيُّ إِلَى أَبِي الفَضْلِ بْنِ العَمِيدِ ، فَلَمَّا فَتَّشَهُ[١] شَاهَدَ[٢] مِنْهُ عِلْماً غَزِيراً ، وَقَبَسَ أَدَباً كَثِيراً .

وَقَالَ الخَلَّادِيُّ : إِنْ أَعْجَبَ الأُسْتَاذَ مَعْرِفَتِي صَحِبْتُهُ ، وَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَتَبَ الخَلَّادِيُّ إِلَى مَنْزِلِهِ بِرَامَهُرْمُزَ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : قَدْ وَرَدْتُ مِنَ الأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ عَلَى ضِيَاءٍ بَاهِرٍ ، وَرَبِيعٍ زَاهِرٍ ، وَمَجْلِسٍ قَدِ اُسْتَغْرَقَ جَمِيعَ المَحَاسِنِ ، وَحُفَّ بِالأَشْرَافِ وَالأَكَارِمِ ، وَجُلَسَاءَ أَقْرَانٍ أَعْدَادِ عَامٍ ، كَأَنَّهُمْ نُجُومُ السَّمَاءِ ، وَمِنْ طَالِبِيٍّ أَرِجِ المَعَاطِفِ ، وَصُلْبِ المَكَاسِرِ[٣] ، جَامِعٍ إِلَى شَرَفِ الحَسَبِ دِيناً وَظَرْفاً ، وَإِلَى كَرَمِ المَحْتِدِ رَحْمَةً[٤]

(١) فتش الشيء وعنه : تصفحه ، وسأل ، واستقصى فى الطلب (٢) فى الأصل « شدا » (٣) صلب المكاسر : الصلب الشديد ، والمكاسر جمع مكسر ، وهو موضع الكسر وهو يريد : أنه قوى شديد ، ومن ذلك قولهم: عود صلب المكسر : أى تعرف جودته بكسره . (٤) فى الأصل « فرصة »

وَفَضْلاً ، وَكَاتِبٍ حَصِيفٍ ، وَشَاعِرٍ مُفْلِقٍ ، وَسَمِيرٍ آنَقَ[١] وَفَقِيهٍ جَدِلٍ ، وَشُجَاعٍ بَطَلٍ :

كِرَامُ الْمَسَاعِي لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ
إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءَ غَرْبَ[٢] لِسَانِ
إِذَا حُدِّثُوا لَمْ تَخْشَ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ
وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانِ

وَوَضَعْنَا الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرِي بِنَا كَرَمُ الْمَزُورِ وَلَا يُعَابُ الزَّوْرُ . يُجِدُّ[٣] الْأُسْتَاذُ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ مَكْرُمَةً وَمِيرَةً تَطْوِيَانِ مَسَافَةَ الرَّجَاءِ ، وَتَتَجَاوَزَانِ غَايَاتِ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ ، وَالْبِشْرِ وَالدُّعَاءِ ، ـ فَزَادَ اللَّهُ فِي تَبْصِيرِهِ حُقُوقَ زُوَّارِهِ ، وَتَيْسِيرِي لِشُكْرِ مَبَارِّهِ ـ .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَمِنْ مُلَحِ مَا قِيلَ فِي ابْنِ خَلَّادٍ قَوْلُهُ :

---

(١) الأنق : الحسن المعجب ، والأناقة : الحسن المعجب (٢) غرب اللسان : حدته وسلاطته . يريد أن الذى يزل فيهم أو يقول شيئاً لا يسخرون منه ولا يبدون عورته ، فشبه زلة اللسان بالعوراء « عبد الخالق »

(٣) يجد : من الجديد كقولهم لمن لبس الجديد : أبل وأجد دعاء له . والميرة : الطعام الذى يمتاره الانسان

قُلْ لِابْنِ خَلَّادٍ إِذَا جِئْتَهُ
مُسْتَنِدًا فِى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ
هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ يَحْظَى[1] بِهِ
« حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ نَافِعِ »

وَمِنْ مُلَحِهِ قَوْلُهُ وَقَدْ طُولِبَ بِالْخَرَاجِ :

يَأَيُّهَا الْمُكْثِرُ فِينَا الزَّمْجَرَهْ[2]
نَامُوسُهُ دَفْتَرُهُ وَالْمَحْبَرَهْ
قَدْ أَبْطَلَ الدِّيوَانُ كُتْبَ الشَّجَرَهْ[3]
وَالْجَامِعَيْنِ وَكِتَابَ الْجَمْهَرَهْ
هَيْهَاتَ لَنْ يَعْبُرَ تِلْكَ الْقَنْطَرَهْ
نَحْوُ الْكِسَائِىِّ وَشِعْرُ عَنْتَرَهْ

---

(١) يريد أن مثل عملك واستنادك فى المسجد فات وقته (٢) تقدم مثل هذا
(٣) « الشجرة » هكذا فى العماد وفى الأصل « السحرة » بالسين المهملة

وَدَغْفَلٌ وَابْنُ لِسَانِ الْحُمَّرَهْ (١)

لَيْسَ سِوَى الْمَنْقُوشَةِ الْمُدَوَّرَهْ

ذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ النَّسَبِ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ خَلَّادٍ الرَّامَهُرْمُزِيُّ: كَانَ فَاضِلًا مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِبِلَادِ الْخُوزِ وَرَحَلَ قَبْلَ التِّسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَتَبَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ، ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّيرَازِيُّ الْقَصَّارُ فِي تَارِيخِ فَارِسَ وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ عَاشَ بِرَامَهُرْمُزَ إِلَى قُرْبِ السِّتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

(١) جرى ذكره فى الأغانى ج ١٤ ص ١٤٣ وهو معاصر للمغيرة بن شعبة. يقول ابن خلاد إن ما كان يجير الانسان من الحاكم من مثل عرفانه شجرة النبوة واضطلاعه بجامعى البخارى ومسلم، وجمهرة الأنساب، أو جمهرة الشعر وتعرفه دغفل وأقواله وابن الحمرة ونحو الكسائى وشعر غيره إن هذا كله أصبح لايجدى، وإنما الذى ينجيك وينفعك هذا المنقوش المدور «يريد الدينار» «عبد الخالق»

﴿ ٢ - الْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ حَسَّانِ ﴾

﴿ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ * ﴾

الحسن بن عثمان الزيادي

ابْنِ يَزِيدَ ، أَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْقَاضِي ، مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ الْوَاقِدِيِّ ، وَرَوَى عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَهُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا نَسَّابَةً ، أَخْبَارِيًّا جَوَادًا كَرِيمًا سَمْحًا . مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، مَاتَ هُوَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَ الزِّيَادِيُّ حِينَئِذٍ عَلَى قَضَاءِ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ الزِّيَادِيُّ يُصَنِّفُ الْكُتُبَ وَيُصَنَّفُ لَهُ ، وَكَانَتْ لَهُ خِزَانَةُ كُتُبٍ حَسَنَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَاذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كِتَابُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ . كِتَابُ طَبَقَاتِ

(*) راجع تاريخ مدينة السلام جزء خامس ص ٤٨٩

الشُّعَرَاء . كِتَابُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ (١) . وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ : سَمِعَ بِدِمَشْقَ الوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ ، وَشُعَيْبَ بْنَ إِسْحَاقَ ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ ، وَعُمَرَ بْنَ سَعِيدٍ ، وَالوَلِيدَ ابْنَ مُحَمَّدٍ المُوقَرِيَّ ، وَمَعْرُوفَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الخَيَّاطَ ، وَهَارُونَ ابْنَ عُمَرَ الدِّمَشْقِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ بِلَالِ بْنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَسَعِيدَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، وَشُعَيْبَ بْنَ صَفْوَانَ ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ ، وَمُعْتَمِرَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الحَمِيدِ ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ ، وَوَكِيعَ بْنَ الجَرَّاحِ ، وَأَبَا دَاوُدَ الطَّيَالِسِيَّ . رَوَى عَنْهُ أَبُو العَبَّاسِ الكُدَيْمِيُّ (٢) ، وَإِسْحَقُ بْنُ الحَسَنِ الحَرْبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ البَاغَنْدِيُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ الجَهْشِيَارِيُّ فِي كِتَابِ الوُزَرَاءِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ أَوْدَعَ أَبَا حَسَّانَ الزِّيَادِيَّ القَاضِيَ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَنَّهَا صَادَفَتْ مِنْهُ خَلَّةً (٣) فَأَنْفَقَهَا ، وَقَدَّرَ أَنْ

---

(١) زاد صاحب الفهرست : كتاب ألقاب الشعراء . (٢) اسمه : محمد بن يونس . ذكره في طبقات الحفاظ ج ٢ ص ١٩٣ (٣) الخلة : بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة .

يأبى مايردُّ على الخراسانىِّ مكانها إلى أن ينصرف الخراسانىُّ من الحجِّ ، فحدث للخراسانىِّ أمرٌ قطعه عن الحجِّ وعزم على الانصراف إلى بلده ، فصار إلى أبى حسان يلتمس ماله ، فتعالَّ عليه ودافعه وتحيَّر ، وضاقت الحيلة عليه ، وعاد الخراسانىُّ مراراً فدافعه ، ثمَّ وعده فى يوم بعينه ، واشتدَّ غمه وقلقه ، وأجمع على بذل وجهه إلى بعض إخوانه ، فلمَّا كان فى ليلة اليوم الذى وعد الرجل فيه ، امتنع عليه النوم من شدَّة قلقه ، فقام فى بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله ، فلمَّا صار فى بعض الطريق تلقَّاه رسولٌ لدينار يسأل عن أبى حسان ، فلمَّا سمع ذكره سأله عن سببه ، وتعرَّف إليه فقال له : أبو علىٍّ دينارٌ يقرأ عليك السلام ويقول لك : قسمت شيئاً على عيالنا ، وذكرت من فى منزلك منهم ، فوجهت إليهم بعشرة آلاف درهم ، فقبلها وحمد الله وصار إلى منزله .

فَسلَّمَهَا إِلَى الْخُرَاسَانِيِّ ، وَصَارَ إِلَى دِينَارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ شَاكِرًا لَهُ وَعَرَّفَهُ خَبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ دِينَارٌ : فَأَرَانَا إِنَّمَا وَجَّهْنَا بِمَالِ الْخُرَاسَانِيِّ ، فَعَلَى مَاذَا يَعْتَمِدُ الْعِيَالُ ؟ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أُخْرَى .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ[1] : كَتَبَ الْمَأْمُونُ مِنَ الثَّغْرِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُصْعَبِيِّ وَالِي بَغْدَادَ ، فِي امْتِحَانِ الْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ بِالْقُرْآنِ ، فَمَنْ أَقَرَّ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَمَنْ أَبَى عَلَيْهِ أَعْلَمَهُ بِهِ لِيَأْمُرَ فِيهِ بِرَأْيِهِ ، فَأَحْضَرَ إِسْحَاقُ أَبَا حَسَّانَ الزِّيَادِيَّ ، وَبِشْرَ بْنَ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيَّ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي مُقَاتِلٍ

(١) مسألة أثارها المأمون فكانت فتنة بين الناس طال أمدها وتراشقوا بالسهام ، فكان قوم أعمتهم الدنيا فطاوعوا المأمون فى الرأى ، وآخرون اشتدت غيرتهم على الدين فأنكروا ما يريد ابن الرشيد ، وآخرون راوغوا فى القول كما ترى فى إجابة الزيادى ، وقد رأينا كلامهم فما أفدنا منه شيئا ، وسواء تمسكنا بهؤلاء أم هؤلاء فالقرآن القرآن ، وإعجازه إعجازه ، ولن يحط منه أنه مخلوق ، ولن يزيد فى قدره أنه غير مخلوق ، فقاتل الله قوما شغلوا بذلك أنفسهم ، وما كان أغنى المأمون عن هذا

« عبد الخالق »

وَالفَضْلَ بْنَ غَانِمٍ ، وَالذَّيَّالَ بْنَ هَيْثَمٍ (١) وَسَجَّادَةَ ، وَالقَوَارِيرِيَّ ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَقُتَيْبَةَ ، وَسَعْدَوَيْهِ الوَاسِطِيَّ ، وَعَلِيَّ بْنَ الْجَعْدِ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ ، وَابْنَ الْهَرْشِ ، وَابْنَ عُلَيَّةَ الأَكْبَرَ ، وَيَحْيَى بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرِّيَاشِيَّ (٢) ، وَشَيْخاً آخَرَ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ قَاضِيَ الرَّقَّةِ ، وَأَبَا نَصْرٍ التَّمَّارَ وَأَبَا مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ نُوحٍ الْمَضْرُوبَ ، وَابْنَ الْفَرْخَانِ وَجَمَاعَةً ، مِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، وَأَبُو عَلِيٍّ (٣) عَاصِمٌ ، وَأَبُو الْعَوَّامِ الْبَزَّازُ ، وَابْنُ شُجَاعٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَأُدْخِلُوا عَلَى إِسْحَاقَ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْمَأْمُونِ مَرَّتَيْنِ حَتَّى فَهِمُوهُ ، ثُمَّ كَلَّمَ رَجُلاً رَجُلاً مِنْهُمْ ، فَيُجِيبُ بِمَا يُغَالِطُ بِهِ أَوْ يُصَرِّحُ ، حَتَّى قَالَ لِأَبِي حَسَّانِ الزِّيَادِيِّ : مَا عِنْدَكَ ؟ وَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ

(١) عند الطبرى الهيثم (٢) عند الطبرى « العمرى » (٣) عند الطبرى « ابن »

المأمونِ فأقرَّ بما فيه ثُمَّ قالَ : مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا القولَ فهُوَ كافِرٌ .

فقالَ لَهُ إسحاقُ : القرآنُ مخلوقٌ هُوَ ؟ قالَ : القرآنُ كلامُ اللهِ ، واللهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ ، وأميرُ المؤمنينَ إمامُنا ، وبسببهِ سمعنا عامةَ العلمِ ، وقد سمعَ ما لم نسمعْ ، وعلمَ ما لم نعلمْ ، وقد قلدهُ اللهُ أمرَنا ، فصارَ يقيمُ حجَّنا وصلاتَنا ، ونؤدّي إليهِ زكواتِ أموالِنا ، ونجاهدُ معهُ ، ونرى إمامتَهُ ، فإنْ أمرَنا ائتمرْنا ، وإنْ نهانا انتهينا . قالَ : القرآنُ مخلوقٌ ؟ فأعادَ مقالتَهُ . قالَ إسحاقُ : فإنَّ هذهِ مقالةُ أميرِ المؤمنينَ . قالَ : قدْ تكونُ مقالتَهُ ولا يأمرُ بها الناسَ ، وإنْ أخبرْتني أنَّ أميرَ المؤمنينَ أمرَكَ أنْ أقولَ : قلتُ ما أمرتني بهِ ، فإنَّكَ الثقةُ فيما أبلغتني عنهُ . قالَ : ما أمرني أنْ أُبلغكَ شيئاً . قالَ أبو حسانٍ : وما عندي إلّا السمعُ والطاعةُ ، فأمرْني آتمرْ . قالَ : ما أمرني أنْ آمرَكُمْ ، وإنما أمرني

أَنْ أَمْتَحِنَكُمْ ، فَتَرَكَهُ وَالْتَفَتَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَسَأَلَهُ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ : وَلَيْسَ كَمَا يَظُنُّهُ النَّاسُ مِنْ وَلَدِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَإِنَّمَا تَزَوَّجَ أَجْدَادُهُ أُمَّ وَلَدٍ لِزِيَادٍ ، فَقِيلَ لَهُ الزِّيَادِيُّ ، قَالَ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ صَاحِبُ كِتَابِ بَغْدَادَ .

٣ — الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحِرْمَازِيِّ *

الحسن بن على الحرمازى

أَبُو عَلِيٍّ ، هُوَ مَوْلًى لِبَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ مَوْلَى آلِ سُلَيْمَانَ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِالْبَصْرَةِ فِي بَنِي حِرْمَازٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، وَالْحِرْمَازُ لَقَبٌ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ بِالْبَادِيَةِ ، نَشَأَ ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ فَأَقَامَ بِهَا .

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : كَانَ التَّوَّزِيُّ وَالْحِرْمَازِيُّ وَالْحَرْمِيُّ

(*) راجع البغية ص ٢٢٥

يَأْخُذُونَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي زَيْدٍ سَعِيدِ بْنِ أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ وَالأَصْمَعِيِّ ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ أَكْبَرَ أَصْحَابِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ دُونِ هَؤُلَاءِ فِي السِّنِّ : إِبْرَاهِيمُ الزِّيَادِيُّ وَالْمَازِنِيُّ وَالرِّيَاشِيُّ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : كَانَ الْحِرْمَازِيُّ فِي نَاحِيَةِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ ، فَخَرَجَ عَمْرٌو إِلَى الشَّامِ فَقَالَ الْحِرْمَازِيُّ :

أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ فَاخْتَلَّ جَانِبِي
وَمَطْلَبُهُ بِالشَّامِ غَيْرُ قَرِيبِ
وَلَا سِيَّمَا مِنْ مُفْلِسٍ حِلْفِ نِقْرِسٍ
أَمَا نِقْرِسٌ فِي مُفْلِسٍ بِعَجِيبِ !!

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : اعْتَلَّ الْحِرْمَازِيُّ وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ ، فَلَمْ يَعُدْهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

مَتَى تَشْفِيكَ (١) وَاجِبَةُ الْحُقُوقِ
إِذَا كَانَ اللِّقَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ ؟

(١) فى الأصل : تننك فصارت « تشفيك » وفى قوله واجبة الحقوق إضافة الصفة للموصوف ، والأصل الحقوق الواجبة . « عبد الخالق »

إِذَا مَالَمْ (١) يَكُنْ إِلَّا سَلَامٌ
فَمَا يَرْجُو الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ ؟
مَرِضْتُ وَلَمْ تَعُدْنِي عُمْرَ شَهْرٍ
وَلَيْسَ كَذَاكَ فِعْلُ أَخٍ شَقِيقِ

وَقَالَ الْحَرْمَازِيُّ وَكَتَبَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعُتْبِيِّ :

بِنَفْسِي أَنْتَ قَدْ جَاءَ كَ مَاعِنْدِي مِنْ كُتْبِكْ
فَلَا تَبْعُدْ مِنَ الْإِفْضَا لِ مَانَرْجُوهُ مِنْ قُرْبِكْ
فَمَا زِلْتَ أَخَا جُودٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى صَحْبِكْ
وَسَلْ قَلْبَكَ عَمَّا لَ كَ فِي قَلْبِيَ مِنْ حُبِّكْ
فَقَدْ أَخْبَرَنِي الْقَلْبُ بِمَا قَدْ حَلَّ فِي قَلْبِكْ
فَهَا إِنِّي لَكَ الرَّاضِي وَهَا إِنِّي لَرَاضٍ بِكْ

وَكَانَ بَعْضُ الْهَاشِمِيِّينَ قَدْ وَعَدَ الْحَرْمَازِيَّ وَعْداً فَأَخَّرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) كانت فى الاصل « إذا لم » ولا يستقيم الوزن ، ورواية النهاد « إذا ما لم » فأثرناها ليستقيم الوزن .

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ صَدَقُوا وَمَانُوا (١)

وَوَعْدُكَ كُلُّهُ خُلْفٌ وَمَيْنُ

وَعَدْتَ فَمَا وَفَيْتَ لَنَا بِوَعْدٍ

وَمَوْعُودُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنُ

أَلَا يَالَيْتَنِي اسْتَبْقَيْتُ وَجْهِي

فَإِنَّ بَقَاءَ وَجْهِ الْحُرِّ زَيْنُ

﴿ ٤ — الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَدَائِنِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

الحسن بن على المدائنى

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ (٢) إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ الْحَبَّالُ : مَاتَ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا تَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ وَافِرَةُ الْعَدَدِ .

(١) مانوا : أى كذبوا — والمين الكذب (٢) كانت فى الاصل « أسحاق بن ابراهيم » وفى رواية العماد سقطت كلة « ابن »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٥

﴿ ٥ – اَلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ وَيُقَالُ عَمَّارٌ * ﴾

الحسن التيمى النحوى

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُصَحِّحِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ النَّحْوِيُّ ، سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ الْجِنَانِيَّ(١) ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي الْحَدِيدِ . وَأَبَا نَصْرٍ حَدِيدَ بْنَ جَعْفَرٍ الرُّمَّانِيَّ . رَوَى عَنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكَتَّانِيُّ ، وَنَجَاءُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ النَّسِيبُ ، وَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : ثِقَةٌ . وَمَاتَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ .

﴿ ٦ – اَلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ * ﴾

الحسن بن مقلة

أَبُو عَبْدِ اللهِ ، وَمُقْلَةُ اسْمُ أُمٍّ لَهُمْ كَانَ أَبُوهَا يُرَقِّصُهَا . فَيَقُولُ يَامُقْلَةَ أَبِيهَا فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ

---

(١) وفى بغية الوعاة : « ابن القطان »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٤

(*) راجع الوافى بالوفيات ج أول ص ١٦٨

هُوَ أَخُو الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِجَوْدَةِ الْخَطِّ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ . كَانَ الْوَزِيرُ أَوْحَدَ الدُّنْيَا فِي كَتْبِهِ قَلَمَ الرِّقَاعِ وَالتَّوْقِيعَاتِ ، لَا يُنَازِعُهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ ، وَلَا يَسْمُو إِلَى مُسَامَاتِهِ [1] ذُو فَضْلٍ بَارِعٍ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ هَذَا أَكْتَبَ مِنْ أَخِيهِ فِي قَلَمِ الدَّفَاتِرِ وَالنَّسْخِ ، مُسَلَّمًا لَهُ فَضِيلَتُهُ غَيْرَ مُفَاضَلٍ فِي كِتْبَتِهِ . وَمَوْلِدُ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي سَلْخِ [2] رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَمَاتَ أَبُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلَهُ يَوْمَ مَاتَ سَبْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ . وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ .

وَلِأَخِيهِ أَبِي عَلِيٍّ تَرْجَمَةٌ فِي بَابِهِ مُفْرَدَةٌ ، لِمَا اشْتَرَطْنَا فِي ذِكْرِ أَرْبَابِ الْخُطُوطِ الْمَنْسُوبَةِ .

---

(١) مساماته : أى مفاخرته ومباراته (٢) فى سلخ : مصدر سلخ الشهر : مضى والمضى فى آخره

وَكَانَ أَبُوهُمَا الْمُلَقَّبُ بِعُقْلَةَ (١) أَيْضاً كَاتِباً مَلِيحَ الْخَطِّ . وَقَدْ كَتَبَ فِى زَمَانِهِمَا وَبَعْدَهُمَا ، جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِمَا وَوُلْدِهِمَا وَلَمْ يُقَارِبُوهُمَا ، وَإِنَّمَا يَنْدُرُ (٢) الْوَاحِدُ مِنْهُمُ الْحَرْفَ بَعْدَ الْحَرْفِ ، وَالْكَلِمَةَ بَعْدَ الْكَلِمَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْكَمَالُ لِأَبِى عَلِىٍّ وَأَبِى عَبْدِ اللهِ أَخِيهِ . فَمِمَّنْ كَتَبَ مِنْ أَوْلَادِهِمَا : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا أَبِى عَلِىٍّ ، وَأَبُو أَحْمَدَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِى الْحَسَنِ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ عَلِىُّ بْنُ أَبِى عَلِىٍّ ، وَأَبُو الْفَرَجِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ مُقْلَةَ . وَمَاتَ أَبُو الْفَرَجِ هَذَا فِى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِىٌّ بِالْفَالِجِ وَالسَّكْتَةِ ، فِى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ ، وَغَنَّتْنِى ابْنَةُ الْخَفَّارِ :

---

(١) يعنى ابن مقلة (٢) يريد أنه يأتى بالحرف والكلمة على مقدار من الجودة أحيانا

إِلَى سَامِعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَبْعَدِ الْمَسْرَى (١)

شَكَوْتُ الَّذِى أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الذِّكْرَى

فَيَالَيْتَ شِعْرِى وَالْأَمَانِىُّ ضَلَّةٌ (٢)

أَيَشْعُرُ بِى مَنْ بِتُّ أَرْعَى لَهُ الشِّعْرَى (٣)؟

قَالَ ابْنُ نَصْرٍ: فَقُلْتُ كَفَى ابْنَةَ الْخَفَّارِ هَذَا الصَّوْتُ أَنْ يَذْكُرَهَا وَيَكْتُبَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُقْلَةَ بِخَطِّهِ. وَحَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِى أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الرَّقِّىِّ مُنَجِّمُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ قَالَ: كُنْتُ فِى صُحْبَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِى غَدَاةِ الْمُصِيبَةِ الْمَعْرُوفَةِ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ قَدِ انْكَسَرَ يَوْمَئِذٍ كِسْرَةً قَبِيحَةً، وَنَجَا بِحُشَاشَتِهِ (٤) بَعْدَ أَنْ قُتِلَتْ عَسَاكِرُهُ قَالَ: فَسَمِعْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ يَقُولُ وَقَدْ عَادَ إِلَى حَلَب: هَلَكَ مِنِّى مِنْ عَرْضِ مَا كَانَ فِى صُحْبَتِى خَمْسَةُ آلَافِ وَرَقَةٍ

(١) المسرى: مصدر سرى (٢) ضلة الضلة بالكسر: ضد الهدى، والمعنى أن المتمسك بالأمانى، المتعلل بها لا يهتدى إلى مطلوبه ولا يستقيم حاله (٣) الشعرى: كوكب، وهما شعريان: العبور والغميصاء، وقوله فى أول البيت: فيا ليت شعرى: معناه: ليتنى علمت جواب الاستفهام فى قوله أيشعر (٤) الحشاش: رمق من حياة النفس

بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُقْلَةَ . قَالَ : فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ وَسَأَلْتُ بَعْضَ شُيُوخِ خَدَمِهِ الْخَاصَّةِ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُنْقَطِعاً إِلَى بَنِي حَمْدَانَ سِنِينَ كَثِيرَةً يَقُومُونَ بِأَمْرِهِ أَحْسَنَ الْقِيَامِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِي دَارٍ قَوْرَاءَ (١) حَسَنَةٍ ، وَفِيهَا فُرُشٌ تُشَاكِلُهَا وَمَجْلِسٌ دَسْتٌ (٢) ، وَلَهُ شَيْءٌ لِلنَّسْخِ وَحَوْضٌ فِيهِ مَحَابِرُ وَأَقْلَامٌ ، فَيَقُومُ وَيَتَمَشَّى فِي الدَّارِ إِذَا ضَاقَ صَدْرُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَجْلِسُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَجَالِسِ وَيَنْسَخُ مَا يَخِفُّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَيَطُوفُ عَلَى جَوَانِبِ الْبُسْتَانِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسٍ آخَرَ وَيَنْسَخُ أَوْرَاقاً أُخَرَ عَلَى هَذَا ، فَاجْتَمَعَ فِي خَزَائِنِهِمْ مِنْ خَطِّهِ مَا لَا يَخْفَى .

وَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ رِقَاعٌ ، وَتَوْقِيعَاتٌ وَتَسْبِيبَاتٌ قَدْ رَدَّ (٣)

---

(١) قوراء : أى واسعة (٢) الدست : من معانيه : صدر المجلس ، وهوالمناسب هنا

(٣) فى الاصل : « قد رد عن خطه »

عَلَيْهَا بِخَطِّهِ أَخُوهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ فَكَانَ يَنْظُرُ فِيهَا وَيُمْضِيهَا وَقَدْ عَرَفَ صُورَتَهَا . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ حَاضِرًا ، فَلَمَّا فَرَغَ (١) مِنْهَا الْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ : قَدْ خَفَّفْتَ عَنَّا حَتَّى أُثْقِلْتَ ، وَخَشِينَا أَنْ نُثْقِلَ عَلَيْكَ ، فَأَرِحْ نَفْسَكَ مِنْ هٰذَا التَّعَبِ . فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ (٢) : لَمَّا وَلِيَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقْلَةَ (٣) الْوَزَارَةَ لِلْمُقْتَدِرِ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَلَّدَ أَخَاهُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ دِيوَانَ الضِّيَاعِ الْخَاصَّةِ ، وَدِيوَانَ الضِّيَاعِ الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَدِيوَانَ الدَّارِ الصَّغِيرَةِ . وَصُودِرَ (٤) أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي أَيَّامِ الْقَاهِرِ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ بَعْدَ

---

(١) بياض بالاصل ، ولعله « فرغ منها » كما ذكرنا . (٢) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء الحرانى الطبيب المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة ، وكان طبيباً نطاسياً وعالماً نبيلا خبيراً بعلوم الفلسفة والهندسة وجميع العلوم الرياضية فى عصره . وله تاريخ جيد أحسن فيه كل الأحسان توفى سنة ٣٦٣ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) بياض بالاصل ولعله كما كتبنا (٤) صودر : أى طولب مع الألحاف فى الطلب

أَنْ حلَفَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا بَسَاتِينَ وَمَا وَرِثَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ ، وَقِيمَةُ الْجَمِيعِ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

﴿ ٧ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴾
﴿ ابْنِ يَزْدَادَ بْنِ هُرْمُزَ * ﴾

الحسن ابن على الأهوازى

ابْنِ شَاهُوَهْ ، أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ الْمُقْرِىءُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ . قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : قَدِمَ دِمَشْقَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسَكَنَهَا ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِرِوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَقْرَأَهُ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي الْقُرْآنِ ، وَحَدَّثَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ ، مِنْهُمْ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْجِيُّ (١) ، وَأَبُو حَفْصٍ الْكَتَّانِيُّ (٢) ، وَالْمُعَافَا بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ

---

(١) هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن محمد بن الخليل المرجى « نسبة إلى المرج أو مرج الموصل » صقع من أعمال الموصل فى الجانب الشرق من دجلة ، سكن بعض آبائه بالموصل ، وولد أبو القاسم بها ، وكان محدثاً ثقة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتانى المقرىء البغدادى الحجة الثقة توفى سنة ٣٩٠ عن تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(*) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٥

طَرَارٍ (١) . وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ ثَابِتٌ (٢) وَغَيْرُهُ .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرِ بْنُ الْحِنَّائِيِّ ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْقُشَيْرِيُّ ، حَدَّثَنِي جَدِّي لِأُمِّي الْحَسَنُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الدَّقِيقِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ حَمَّادُ بْنُ دُلَيْلٍ (٣) عَنْ

---

(١) هو القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى ويعرف أيضاً بابن طرار « وهو إسم جده » وفى الاصل « طراز » وهو تصحيف ويعرف بالجريرى نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبرى لأنه تفقه عليه ، كان فى وقته من أعلم الناس باللغة والأدب والفقه والتفسير ، حتى لقد كان بعض الفقهاء يقول : لو أوصى رجل بشىء أن يدفع إلى أعلم الناس لوجب أن يدفع إلى القاضى المعافى بن زكريا — ولى القضاء بباب الطاق « محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى كانت تعرف بطاق أسماء — وهي أسماء بنت المنصور بين الرصافة ونهر المعلى — وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء فى أيام هرون الرشيد » ومن شعر المعافى بن زكريا الأبيات المشهورة :

ألا قل لمن كان لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله فى حكمه ... بأنك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنى بأن زادنى ... وسد عليك وجوه الطلب

توفى بالنهروان سنة ٣٩٠ عن ٨٥ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو الخطيب البغدادى المشهور صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣

(٣) حماد بن دليل المدائنى القاضى الحنفى يروى عن أبى حنيفة وسفيان الثورى .

سُفْيَانَ الثَّوْرِىِّ (١) ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ (٢) ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ (٣) ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (٤) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ هَبَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَطَّلِعُ إِلَى أَهْلِ الْمَوْقِفِ فَيَقُولُ : مَرْحَباً بِزُوَّارِي الْوَافِدِينَ إِلَى بَيْتِي ، وَعِزَّتِي لَأَنْزِلَنَّ إِلَيْكُمْ ، وَلَأُسَاوِي مَنْزِلَكُمْ بِنَفْسِي ، فَيَنْزِلُ إِلَى عَرَفَةَ فَيَعُمُّهُمْ بِمَغْفِرَتِهِ ، وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسْأَلُونَ إِلَّا الْمَظَالِمَ وَيَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي ، لَتُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ ، وَيَكُونُ أَمَامَهُمْ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ، وَلَا يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَإِذَا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَوَقَفُوا عِنْدَ الْمَشْعَرِ (٥) الْحَرَامِ غَفَرَ لَهُمْ حَتَّى الْمَظَالِمَ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ

---

(١) سفيان بن سعيد المشهور توفى بالبصرة سنة ٦١ (٢) قيس بن مسلم الجدلى أبو عمرو الكوفى توفى سنة ١٢٠ (٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحى المكى الفقيه . روى عن عائشة وجماعة توفى سنة ١١٨ (٤) اسمه صُدى بن عجلان صحابى جليل نزيل حمص توفى سنة ٨١ رضى الله عنه بمدينة حمص . « أحمد يوسف نجاتى »

(٥) المشعر الحرام : بفتح الميم وكسرها : موضع بالمزدلفة واسمه قزح — ومشاعر الحج : مناسكه وعلاماته

وينصرف الناس إلى منى » . هذا حديث منكر ، وفى إسناده غير واحد من المجهولين . وللأهوازى أمثاله فى كتاب جمعه فى الصفات سماه كتاب البيان، فى شرح عقود أهل الإيمان، أودعه أحاديث منكرة ، كحديث : « إن الله تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت ، ثم خلق نفسه من ذلك العرق » مما لا يجوز أن يروى ولا يحل أن يعتقد ، وكان مذهبه مذهب السالمية ، يقول بالظاهر ، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التى تقوى له رأيه ، وحديث إجراء الخيل موضوع ، وضعه بعض الزنادقة ليشنع به على أصحاب الحديث فى رواياتهم المستحيلة ، فيقبله بعض من لا عقل له ويرواه ، وهو مما يقطع ببطلانه شرعا وعقلا . قال الأهوازى : ولدت فى سابع عشر من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة . ومات فى رابع ذى الحجة ، سنة ست وأربعين وأربعمائة .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ ابْنِ مَنْصُورٍ يَحْكِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا ظَهَرَ مِنَ الْأَهْوَازِيِّ الْإِكْثَارُ مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي الْقِرَاءَاتِ اتُّهِمَ فِي ذَلِكَ ، فَسَارَ رَشَاءُ (١) بْنُ نَظِيفٍ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْفُرَاتِ ، وَابْنُ الْقَمَّاحِ إِلَى الْعِرَاقِ لِكَشْفِ مَاوَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْهُ ، وَوَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ وَقَرَءُوا عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمُ الْأَهْوَازِيُّ ، وَجَاءُوا بِالْإِجَازَاتِ عَنْهُمْ وَبِخُطُوطِهِمْ ، فَمَضَى الْأَهْوَازِيُّ إِلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ أَنْ يُرُوهُ تِلْكَ الْخُطُوطَ الَّتِي مَعَهُمْ ، فَفَعَلُوا وَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَغَيَّرَ أَسْمَاءَ مَنْ سَمَّى لِيَنْشُرَ دَعْوَاهُ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ بَرَكَةُ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَفْتَضِحْ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْهُ بَعْضَ الْمُقْرِئِينَ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِمْ وَحَكَوْهُ لَهُ . فَقَالَ : هَذَا الَّذِي تَذْكُرُونَهُ قَدْ قَرَأَ عَلَيَّ جُزْءًا أَوْ نَحْوَهُ . قَالَ : وَقَالَ

---

(١) هو أبو الحسن رشاء بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقى المقرىء المحدث قرأ بدمشق ومصر وبغداد بالروايات ، وكان ثقة مأموناً انتهت اليه الرياسة فى قراءة ابن عامر ، توفى سنة ٤٤٤ « أحمد يوسف نجاتى »

حدثني أبي قال: عاتبت أو عوتب أبو طاهر الواسطي المقرىء في القراءة على الأهوازي فقال: أقرأ عليه العلم ولا أصدقه في حرف واحد. قال: وحدثني أبو طاهر محمد بن الحسن بن على بن المليحي قال: كنت عند رشاء بن نظيف في داره على باب الجامع، – وله طاقة إلى الطريق – فاطلع فيها وقال: قد عبر رجل كذاب، فاطلعت فوجدت الأهوازي. قال: وقال ابن الأكفاني (١) قال لنا الكتاني: كان الأهوازي مكثرا من الحديث، وصنف الكثير في القراءات، وكان حسن التصنيف، وجمع في ذلك شيئا كثيرا، وفي أسانيد القراءات غرائب كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها رواية وتلاوة، وأن شيوخه أخذوها رواية وتلاوة. ولما توفي كانت له جنازة عظيمة.

(١) هو أبو محمد هبة الله الأكفاني محدث مشهور كان أبوه يبيع الأكفان فنسب إليها، سمع أبا بكر الخطيب ولزم أبا محمد الكتاني مدة، وكان ثقة فهماً شديد العناية بالحديث والتاريخ، وكان من كبار العدول توفي سنة ٥٢٤ عن ثمانين سنة

« احمد يوسف نجاتي »

٨ – الحَسَنُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ بَرَكَةَ بْنِ عُبَيْدَةَ ، (*)

الحسن بن على المقرى.

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقْرِىءُ النَّحْوِىُّ الْفَرَضِىُّ ، مِنْ سَاكِنِى الْكَرْخِ بِدَرْبِ رَبَاحٍ ، مَاتَ فِى ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ فَاضِلًا قَارِئًا نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَرَضِيًّا . قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ ، وَبِالْكُوفَةِ عَلَى عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَلَوِىِّ ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى أَبِى السَّعَادَاتِ بْنِ الشَّجَرِىِّ (١) ، وَلَازَمَهُ حَتَّى بَرَعَ فِى فَنِّهِ ، وَتَصَدَّرَ مُدَّةً طَوِيلَةً لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفَرَائِضِ ، وَأَنْشَدَ لَهُ الْعِمَادُ فِى الْخَرِيدَةِ شِعْرًا (٢) قَالَهُ فِى الْمُسْتَضِىءِ بِأَمْرِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ :

---

(١) هو أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الشريف العلوى الحسينى البغدادى النحوى صاحب التصانيف المشهورة وهو مشهور معروف توفى سنة ٥٤٢

(٢) قلت ويؤثر فى نفس قوله فى الشيب :

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى الموت مسرع
إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأن المنايا بعدها تتطلع

هذا وقد كان ابن بركة إماما فاضلا انتفع بعلمه خلق كثير « احمد يوسف نجاتى ».

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٣

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ عَمَّتْ نَوَافِلُهُ[١]

وَطَبَّقَ الْأَرْضَ بَعْدَ الْمَحْلِ[٢] نَائِلُهُ

أَحْيَتْ لَنَا سِيرَةَ الْمَهْدِيِّ سِيرَتُهُ

عَدْلًا وَبَذْلًا فَمَا تُحْصَى فَوَاضِلُهُ

إِمَامُ حَقٍّ بِعَهْدِ اللهِ مُحْتَفِظٌ

وَكُلُّ شَيْءٍ حَوَاهُ فَهْوَ بَاذِلُهُ

خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَضْحَى لَا يُنَازِعُهُ

مِنْهُمْ إِمَامٌ وَإِنْ جَاءَتْ أَوَائِلُهُ

فَالْمُصْطَفَى جَاءَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا

فِيهِمْ عَلَى فَضْلِهِمْ خَلْقٌ يُعَادِلُهُ

وَلَهُ فِي الْمُسْتَغْفِيءِ أَيْضاً :

هَـٰذِهِ دَوْلَةٌ تَخَيَّرَهَا اللَّـ

ـهُ فَدَامَتْ لَنَا سَجِيسَ[٣] اللَّيَالِي

(١) النوافل جمع نافلة : وهي العطية وما يفعله المرء مما لا يجب عليه

(٢) وطبق الأرض : أى غطاها وعمها ، وملأها ، والمحل : الجدب ونائله أى عطاؤه

(٣) سجيس الليالى : أى امتدادها وآخرها دائماً أبدا ، وهو من السجيس للماء الكدر ، لأنه آخر ما يبقى

دَوْلَةٌ رَوْضَةٌ رُبَاهَا (١) وَجَادَتْ
مِنْ لُهَاهَا بِوَابِلٍ مُتَوَالِي
وَاسْتَعَادَتْ صَعْبَ الْمَقَادَةِ (٢) بِالْعَدْ
لِ وَدَانَتْ لَهَا قُلُوبُ الرِّجَالِ
وَأَضَاءَتْ بِالْمُسْتَضِيء بِأَمْرِ اللّـ
ـهِ لَا زَالَ مُلْـكُهُ فِى اتِّصَالِ
مَلِكٌ عَمَّ بِرُّهُ كُلَّ بَرٍّ
وَأَبَاحَ الْآمَالَ فِى الْأَحْوَالِ
وَأَغَاثَ الْأَنَامَ (٣) مِنْهُ سِجَالٌ
بَعْدَ إِمْحَالِهِمْ عَقِيبَ سِجَالِ (٤)
طَبَّقَ الْأَرْضَ مِنْهُمُ فَضْلُ عَدْلٍ
وَكَفَاهَا بَوَائِقَ (٥) الزِّلْزَالِ

---

(١) الربى جمع ربوة : وهي المكان المرتفع ، وسميت كذلك لأنها ربت فعلت ، وكلما كانت الروضة عالية كانت أحسن منظرا ، وأروح نسيما وأجود نباتا وثمرة ، واللها بالضم جمع لهوة : وهى العطية ، والوابل : المطر السح الغزير ، والمتوالى : المتتابع (٢) مصدر ميمى أى من صعب قياده واستعادته جعله ينقاد ويخضع ويذل بعد إباء « ولا غرو فالعدل يملك القلوب ويستنزل العاصى » (٣) للأنام : فى المهاد وفى الاصل « الآمال » مصحفة (٤) السجال جمع سجل : الدلو العظيمة مملوءة ماء، يريد أنه يغيث الناس بعطايا تترى (٥) البوائق جمع بائقة : الداهية والبلية تنزل بالقوم

جَعَلَ اللهُ وُدَّكُمْ يَا بَنِي الْعَبْـ
بَاسِ فَرْضاً مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ
وَعَلَيْكُمْ صَلَاتُنَا فِي التَّحِيَّا
تِ تَوَالَى لِأَنَّكُمْ خَيْرُ آلِ
يَا بَنِي عَمِّ أَحْمَدٍ طَابَ مَحْيَا
كُمْ وَمِنْ قَبْلُ طِبْتُمْ فِي الظِّلَالِ (١)

﴿ ٩ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُوَيْنِيُّ الْكَاتِبُ * ﴾

الحسن بن على الجوينى

أَبُو عَلِيٍّ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَنْسُوبِ، كَانَ مُقِيماً بِبَغْدَادَ،

(١) يريد هنا ظلال الجنة، وهو يشير إلى قول سيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه من أبيات يمدحه بها صلى الله عليه وسلم:

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

أى كنت طيبا فى صلب آدم حيث كان فى الجنة، ومن قبلها أى من قبل نزولك إلى الأرض، فكنى عن الجنة وأعاد إليها الضمير ولم يتقدم ذكرها لبيان المعنى. ومن هذه الأبيات:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

وهى أبيات معروفة لدى الأدباء وتوفى العباس سنة ٣٢ «أحمد يوسف نجاتى»

(*) الجوينى نسبة إلى جوين: اسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، تسميها أهل خراسان «كويان» فعربت فقيل جوين، وحدودها متصلة بحدود بيهق من جهة القبلة، وبحدود جاجرم من جهة الشمال. وينسب إلى جوين خلق كثير من الأئمة والعلماء منهم موسى بن العباس بن محمد أبو عمران الجوينى أحد الرحالين—

وَلَا أَدْرِى أَوُلِدَ بِهَا أَمِ انْتَقَلَ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ كَانَ يُعْرَفُ بِهَا بِالْبَغْدَادِىِّ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ فَخْرَ الْكُتَّابِ . مَاتَ بِمِصْرَ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ الْمُتَحَقِّقِينَ بِهَا يَقُولُونَ : لَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ أَجْوَدُ مِنَ الْجُوَيْنِىِّ ، وَكَانَ أُسْتَاذُهُ فِى الْكِتَابَةِ ، يَعْقُوبَ الْغَزْنَوِىَّ ، كَتَبَ عَلَيْهِ بِبَغْدَادِ إِلَّا أَنَّهُ أَبَرَّ[1] عَلَيْهِ ، وَزَادَ حَتَّى لَا تَنَاسُبَ بَيْنَ خَطَّيْهِمَا ، وَكَانَ مِنْ شِيمَةِ الْجُوَيْنِىِّ أَنَّهُ مَا كَتَبَ شَيْئًا قَطُّ بِخَطِّهِ كَثُرَ أَوْ قَلَّ ، دَقَّ أَوْ جَلَّ ، إِلَّا وَيَكْتُبُ فِى آخِرِهِ : « كَتَبَهُ عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ الْجُوَيْنِىُّ »

— حسن الحديث وصنف على كتاب مسلم بن الحجاج ومات بجوين سنة ٣٢٣ ومنها أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى إمام عصره بنيسابور ، والد أبى المعالى الجوينى ، تفقه على أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وغيره . وقرأ الادب على والده يوسف الأديب بجوين وبرع فى الفقه وصنف فيه التصانيف المفيدة . ومات بنيسابور سنة ٤٣٤ ولم أعثر على المترجم له فيمن تخرج منها فاكتفيت بهذا . ولعل له ترجمة فى غير هذا المرجع لم نوفق اليها معجم البلدان ج ٣ ص ١٨١ ، ١٨٢

(١) أبر عليه ، أى علاه وفاقه

وَكَتَبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَافْتَخَرُوا بِأُسْتَاذِيَّتِهِ ، كَابْنِ الْقَيْسَرَانِيِّ (١) وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ يَنْتَقِلُ فِي الْبِلَادِ حَتَّى حَطَّ بَرْكَهُ (٢) بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَنَفَقَ بِهَا سُوقُهُ ، وَعَلَا عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ قَدْرُهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَارْتَفَعَ مَكَانُهُ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ هَيْئَتَهُ وَسِمَتَهُ (٣) ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَزَيَّا زِيَّ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، وَبَلَغَ مِنْ عُلُوِّ قَدْرِهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ وَلِيَ وَلَدُهُ عِزُّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ وِلَايَةَ الْقَاهِرَةِ ، بَعْدَ مَا وَلِيَ وِلَايَةَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُدَّةً ، وَكَانَ مَحْمُودَ السِّيرَةِ .

---

(١) ابن القيسرانى : هو موفق الدين أبو البقاء خالد بن الوليد البارع محمد بن نصر القيسرانى الكاتب صاحب الخط المنسوب ، كان صدرا نبيلا وافر الحشمة ، وزر للسلطان نور الدين الشهيد ، وسمع بمصر من عبد الله بن رفاعة ، وتوفى سنة ٥٨٨ « وابن رفاعة هو عبد الله بن رفاعة بن غدير الشافعى أبو محمد السعدى المصرى ، كان فقيها ماهرا وبخاصة فى الفرائض ، وتولى القضاء بمصر ثم استعفى فأعفى فتفرغ للعبادة حتى توفى بمصر سنة ٥٦١ ، وابن القيسرانى الكاتب هذا هو غير ابن القيسرانى محمد بن نصر بن صغير بن داغر الملقب شرف الدين الخالدى الحلبى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٤٨ بمدينة دمشق .
« أحمد يوسف نجاتى »

(٢) حط بركه الخ : أى ثبت وأقام بالديار المصرية ، وأصله من بروك البعير ، وهو أن يلصق بركه بالارض أى صدره (٣) السمة العلامة : ويصح أن تكون « سمته » بفتح السين وسكون الميم . والسمت الهيئة وأكثر ما تطلق على هيئة أهل الخير ، ويقال : ما أحسن سمته أى هديه ، وحسن منظره وهيئته ، وليس من الحسن والجمال بل الغرض حسن الطريقة والدين ولكن السمة بكسر السين أوفق لقوله فإنه كان يتزيا « عبد الخالق »

رَأَيْتُ أَهْلَ مِصْرَ مِمَّنْ شَاهَدَ وِلَايَتَهُ يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مُلُوكِيَّ الْهِمَّةِ، شَرِيفَ النَّفْسِ - أَعْنِي وَلَدَهُ عِزَّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ - وَكَانَ نَخْرُ الْكُتَّابِ يَقُولُ الشِّعْرَ وَيَتَعَانَاهُ[1]، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِذَاكَ. وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ شِعْرِهِ:

لَوْلَا انْقِطَاعُ الْوَحْيِ كَانَ مُنَزَّلًا
فِي الْفَاضِلِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْسَانِي
نُثْنِي عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا تُثْنِي عَلَى
أَفْعَالِهِ الْمَرْضِيَّةِ الْمَلَكَانِ

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الزُّهْدِ:

كَمْ كَادَتِ الْأَوْطَانُ تَشْغَلُنَا
بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا عَنِ اللهِ
حَتَّى تَغَرَّبْنَا فَكَمْ غِيَرٍ[2]
يَقْطَعْنَ عَقْلَ الْغَافِلِ اللَّاهِي

---

(١) يتعاناه من عانى الأمر: قاساه وتجشمه، وقد تكون «ويتعاطاه» وهو يتعاطى الأمر أى يخوض فيه (٢) غير: الغير جمع الغيرة، وغير الدهر: أحداثه المغيرة وفى بعض المراجع «عبر» وهو ظاهر

١٠ — الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ *

الحسن بن الزبير

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ ، أَخُو الرَّشِيدِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ أُسْوَانَ مِنْ غَسَّانَ ، وَكَانَ الْحَسَنُ هَذَا يُلَقَّبُ (١) الْقَاضِيَ الْمُهَذَّبَ . مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمِصْرَ ، وَكَانَ كَاتِباً مَلِيحَ الْخَطِّ فَصِيحاً جَيِّدَ الْعِبَارَةِ ، وَكَانَ أَشْعَرَ مِنْ أَخِيهِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ قَدِ اخْتَصَّ بِالصَّالِحِ بْنِ رُزِّيكَ (٢) وَزِيرِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَقِيلَ : إِنَّ أَكْثَرَ الشِّعْرِ الَّذِي فِي دِيوَانِ الصَّالِحِ (٣) إِنَّمَا هُوَ عَمَلُ الْمُهَذَّبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَحَصَلَ لَهُ مِنَ الصَّالِحِ مَالٌ جَمٌّ ، وَلَمْ يَنْفُقْ عِنْدَهُ أَحَدٌ مِثْلُهُ .

---

(١) فى الاصل « لقب » وهو تحريف وسقط غير مناسب

(٢) هو أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر فى أيام الفائز الفاطمى والعاضد من بعده والذى استقل فى مصر بالأمور وتدبير أحوال الدولة ، وكانت ولايته سنة ٥٤٩ وتوفى سنة ٥٥٦ « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) وديوان شعر الصالح طلائع بن رزيك كبير فى جزءين

(*) راجع الفهرست ص ١٨٥

وَكَانَ القَاضِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ الحُبَّابِ[١] المَعْرُوفُ بِالجَلِيسِ هُوَ الَّذِي قَرَّظَهُ عِنْدَ الصَّالِحِ حَتَّى قَدَّمَهُ، فَلَمَّا مَاتَ الجَلِيسُ شَمِتَ بِهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَبِسَ فِي جَنَازَتِهِ ثِيَابًا مُذَهَّبَةً، فَنَقَصَ بِهَذَا السَّبَبِ وَاسْتَقْبَحُوا فِعْلَهُ، وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الجَلِيسِ إِلَّا شَهْرًا وَاحِدًا. وَصَنَّفَ المُهَذَّبُ كِتَابَ الأَنْسَابِ، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، كُلُّ مُجَلَّدٍ عِشْرُونَ

(١) فى الاصل « الحباب » وهو تصحيف ، وهو القاضى أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدى التميمى جليس صاحب مصر ، كان ذا فضل مشهور ، وأدب مأثور ، بل كان أوحد عصره فى مصر نظما ونثرا وترسلا وشعرا ، ومن شعره :

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى   تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
وأعجب من ذا أنها فى أكفهم   تأجج نارا والأكف بحور

وله قصيدة دالية جيدة أرسل بها إلى طلائع بن رزيك وهو والى مدينة قوص يخبره بقتل الخليفة الظافر ويستنجده على قاتليه أولها :

عدتنى عن نظم القريض عوادى   وشف فؤادى شجوه المتمادى
وأرق عينى والعيون هواجع   هموم أقضت مضجعى ووسادى
بمصرع أبناء الوصى وعترة   النبى وآل الذاريات وصاد
فأين بنو رزيك عنهم ونصرهم   وما لهم من منعة وذياد
أولئك أنصار الهدى وبنو الردى   وسم العدا من حاضرين وبادى
لقد هد ركن الدين ليلة قتله   بخير دليل للنجاة وهاد
تداوك من الأيمان قبل دثوره   حشاشة نفس آذنت بنفاد
وقد كاد أن يطفى تألق نوره   على الحق عاد من بقية عاد
فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم   ومصرعهم لم تكتحل برقاد

وهى طويلة وتوفى القاضى الجليس سنة ٥٦١ « أحمد يوسف نجاتى »

كُرَّاسًا ، رَأَيْتُ بَعْضَهُ فَوَجَدْتُهُ مَعَ تَحَقُّقِي هَذَا الْعِلْمَ وَبَحْثِي عَنْ كُتُبِهِ غَايَةً فِي مَعْنَاهُ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، يَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ قَرِيحَةِ مُؤَلِّفِهِ ، وَكَثْرَةِ اطِّلَاعِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَا فِيهِ حَذْوَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الْبَلَاذُرِيِّ ، وَأَوْجَزَ فِي بَعْضِ أَخْبَارِهِ عَنِ الْبَلَاذُرِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ رَجُلًا مِمَّنْ يَقْتَضِي الْكِتَابُ ذِكْرَهُ ، لَا يَتْرُكُهُ حَتَّى يُعَرِّفَهُ بِجُهْدِهِ مِنْ[1] إِيرَادِ شَيْءٍ مِنْ شِعْرِهِ وَخَبَرِهِ . وَكَانَ الْمُهَذَّبُ قَدْ مَضَى إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ فِي رِسَالَةٍ مِنْ بَعْضِ مُلُوكِ مِصْرَ ، وَاجْتَهَدَ هُنَاكَ فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ النَّسَبِ ، وَجَمَعَ مِنْهَا مَا لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَ أَحَدٍ ، حَتَّى صَحَّ لَهُ تَأْلِيفُ هَذَا الْكِتَابِ .
وَكَانَ أَخُوهُ الرَّشِيدُ لَمَّا مَضَى إِلَى الْيَمَنِ وَادَّعَى الْخِلَافَةَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ ، نُمِيَ خَبَرُهُ إِلَى الْمَعْرُوفِ بِالدَّاعِي ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ قَبْضًا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَكَتَبَ

(١) بهامش الاصل « مع » وكلا اللفظين لا بأس به

المُهَذَّبُ هَذَا إِلَى الدَّاعِى بِقَصِيدَتِهِ المَشْهُورَةِ يَمْدَحُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ حَتَّى أَطْلَقَهُ . وَالقَصِيدَةُ :

يَا رَبْعُ أَيْنَ تَرَى الأَحِبَّةَ يَمَّمُوا
هَلْ أَنْجَدُوا مِنْ بَعْدِنَا أَمْ أَتْهَمُوا (١) ؟
رَحَلُوا وَقَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ وَإِنَّمَا
يَسْرِى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ الأَنْجُمُ
وَتَعَوَّضَتْ بِالأُنْسِ رُوحِى وَحْشَةً
لَا أَوْحَشَ اللهُ المَنَازِلَ مِنْهُمُ

---

(١) يمموا : أى قصدوا ، وأنجدوا : أى دخلوا فى بلاد نجد ، ومثله أتهموا : أى دخلوا فى بلاد تهامة ، هذا وبعد البيت « وهو موضع الفراغ فى الاصل » :

رحلوا وفى القلب المعنى بعدهم — وجد على مر الزمان مخيم

وصحة البيت بعده :

وسروا وقد كتموا المسير وإنما — تسرى إذا جن الظلام الأنجم

والمعنى على هذه الرواية أظهر وأجود

« أحمد يوسف نجاتى »

لَوْلَاهُمُ مَا قُمْتُ بَيْنَ دِيَارِهِمْ
حَيْرَانَ أَسْتَافُ(١) الدِّيَارَ وَأَلْثِمُ

أَمَنَازِلَ الْأَحْبَابِ أَيْنَ هُمُ وَأَيْـ
ـنَ الصَّبْرُ مِنْ بَعْدِ التَّفَرُّقِ عَنْهُمُ ؟

يَا سَاكِنِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَإِنَّمَا
فِي(٢) الصَّدْرِ مَعْ شَحْطِ الْمَزَارِ سَكَنْتُمُ

يَا لَيْتَنِي فِي النَّازِلِينَ عَشِيَّةً
بِمِنًى وَقَدْ جَمَعَ الرِّفَاقَ(٣) الْمَوْسِمُ

فَأَفُوزَ إِنْ غَفَلَ الرَّقِيبُ بِنَظْرَةٍ
مِنْكُمْ إِذَ لَبَّى الْحَجِيجُ وَأَحْرَمُوا

(١) أستاف الديار : أى أشمها من السوف وهو الشم « سافه يسوفه » ومنه « المسافة » مفعلة من السوف ، لأن الدليل إذا كان فى فلاة شم ترابها ليعلم أعلى قصد هو أم جار به الطريق . قال الشاعر :

ولقد ذكرتك يا أمامة بعدما نزل الدليل إلى التراب لسوفه
وهواك عندى كالغناء لأنه حسن لدى ثقيله وخفيفه

ثم كثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة ، والمساف : الانف . لانه يساف به أى يشم ، واستاف مثل ساف ، قال أبو العلاء المعرى فى مطلع قصيدة يرثى بها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

والمسيف : الفقير ومن لامال له « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الاصل : « لى الصدر » (٣) فى الاصل : « الرفاق » مصحفة . والرفاق جمع رفيق ورفقة : وهى الجماعة ترافقهم ، ويستعمل فى السفر كثيرا .

إِنِّى لَأَذْكُرُكُمْ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ
شَمْسُ الضُّحَى مِنْ نَحْوِكُمْ فَأُسَلِّمُ
لَا تَبْعَثُوا لِى فِى النَّسِيمِ تَحِيَّةً
إِنِّى أَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ
إِنِّى امْرُؤٌ قَدْ بِعْتُ حَظِّى رَاضِيًا
مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَظِّى مِنْكُمُ
فَسَلَوْتُ إِلَّا عَنْكُمُ وَقَنِعْتُ إِلْ
لَا مِنْكُمُ وَزَهِدْتُ إِلَّا فِيكُمُ
وَرَأَيْتُ كُلَّ الْعَالَمِينَ بِمُقْلَةٍ
لَوْ يَنْظُرُ الْحُسَّادُ مَا نَظَرَتْ عَمُوا [1]
مَا كَانَ بَعْدَ أَخِى الَّذِى فَارَقْتُهُ
لِيَبُوحَ إِلَّا بِالشِّكَايَةِ لِى فَمُ

---

(١) إنه يريد بقول هذا البيت أن العالم اجتمع فى ممدوحه ، فرأى العالم فيمن يصفه ويحن اليه بمقلته ، وهذا ضرب من المبالغة كقول الآخر : « رأيته فرأيت الناس فى رجل » ويريد أن الحساد لو نظروا بمثل مقلته ، ورأوا ما رأيت لعموا من الحسد ، وإنما عرضت لشرح البيت لأن شطره الآخر غير واضح فأردت بيانه « عبد الخالق »

هُوَ ذَاكَ لَمْ يَمْلِكْ عُلَاهُ مَالِكٌ

كَلَّا وَلَا وَجْدِى عَلَيْهِ مُتَمِّمُ (١)

أَقْوَتْ (٢) مَغَانِيهِ وَعُطِّلَ رَبْعُهُ

وَلَرُبَّمَا هَجَرَ الْعَرِينَ الضَّيْغَمُ

وَرَمَتْ بِهِ الْأَهْوَالَ هِمَّةُ مَاجِدٍ

كَالسَّيْفِ يُمْضِى عَزْمَهُ (٣) وَيُصَمِّمُ (٤)

يَا رَاحِلًا بِالْمَجْدِ عَنَّا وَالْعُلَا

أَتُرَى يَكُونُ لَكُمْ إِلَيْنَا مَقْدَمُ ؟

(١) كذا بالاصل : ويظهر أن الكلمة محرفة عن « متمم » وأنه فى البيت يشير إلى قصة مالك بن نويرة وأخيه متمم ، يفضل أخاه على مالك بن نويرة أخى متمم الذى قيل فيه : فتى ولا كمالك ، ولا يخفى التورية فى « متمم » يريد أن وجده عليه لا نهاية له وهيهات شأن يكون له تمام يحده، أو أمد يقف عنده. ومتمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد الله بن ثعلبة التميمى اليربوعى صحابى جليل وشاعر بليغ ولم يقل أحد مثل شعره فى المراثى التى رثى بها أخاه ، ولأخيه مالك وفادة ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وولاه النبى عليه الصلاة والسلام صدقات بنى تميم ، ثم كان من حديثه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ماهو معروف حتى قتل سنة ١١ ـ هـذا وقل أن تجد أخا لأخيه مثل ما كان متمم لاخيه مالك ، وقد أراد القاضى المهذب أن يكون فوق ذلك « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) أقوت : أى خلت وأقفرت ، والمغانى : المنازل جمع مغنى ، وربعه : أى داره وقد كان حلية لها فعطلت من زينته كما عطلت من حسن فعاله وممن كانوا يقصدونه، والعرين : بيت الاسد وهو الضيغم (٣) كانت فى الاصل : « عذبه » وهو تصحيف

(٤) صمم السيف : إذا مضى فى العظم وقطعه ـ ومنه صمم الرجل على الأمر وفى الأمر : إذا مضى فيه ونفذ رأيه بعد إرادته

يَفْدِيكَ قَوْمٌ كُنْتَ وَاسِطَ عِقْدِهِمْ
مَا إِنْ لَهُمْ مُذْ غِبْتَ شَمْلٌ يُنْظَمُ
لَكَ فِي رِقَابِهِمُ وَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا
مِنَنٌ كَأَطْوَاقِ الْحَمَامِ وَأَنْعُمٌ (١)
جَهِلُوا فَظَنُّوا أَنَّ بُعْدَكَ مَغْنَمٌ (٢)
لَمَّا رَحَلْتَ وَإِنَّمَا هُوَ مَغْرَمُ
فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّ عِدَاكَ قَدْ
هَلَكُوا بِبَغْيِهِمُ وَأَنْتَ مُسَلَّمُ
لَمْ يَعْصِمِ اللهُ ابْنَ مَعْصُومٍ مِنَ الْـ
آفَاتِ وَاخْتُرِمَ (٣) اللَّعِينُ الْأَخْرَمُ

---

(١) مما يناسب هذا قول الشاعر :

أنت طوقتنى صنيعا وأسمعـــــتك شكرا كلاهما لايضيع
فأذا ماشجاك سجعى فأنى أنا ذاك المطوق المسموع

(٢) فى الاصل « عنهم » ولعله مغنم . وهو الاظهر فأثبتناه لذلك وكما يدل عليه عجز البيت (٣) واخترم الخ من قولهم : اخترمهم الدهر : إذا أهلكهم بجوائحه ، واخترم فلان : إذا مات وذهب ، واخترمته المنية : إذا أخذته من بينهم - والأخرم : هو من لارأى له ، يقال : هو أخرم الرأى : أى ضعيفه

وَاعْتَضْتَ بَعْدَهُمُ بِأَكْرَمِ مَعْشَرٍ
بَدَءُوا لَكَ الفِعْلَ الجَمِيلَ وَتَمَّمُوا

فَلَعَمْرُ مَجْدِكَ إِنْ كَرُمْتَ عَلَيْهِمُ
إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى الكِرَامِ مُكَرَّمُ

أَقْيَالُ (١) بَأْسٍ خَيْرُ مَنْ حَمَلُوا القَنَا
وَمُلُوكُ قَحْطَانَ الَّذِينَ هُمُ هُمُ

مُتَوَاضِعُونَ وَلَوْ تَرَى نَادِيَهِمُ
مَا اسْطَعْتَ مِنْ إِجْلَالِهِمْ تَتَكَلَّمُ

وَكَفَاهُمُ شَرَفًا وَمَجْدًا أَنَّهُمْ
قَدْ أَصْبَحَ الدَّاعِي المُتَوَّجُ مِنْهُمُ

هُوَ بَدْرُ تِمٍّ فِي سَمَاءِ عُلَاهُمُ
وَبَنُو أَبِيهِ بَنُو زُرَيْعٍ أَنْجُمُ

مَلِكٌ حِمَاهُ جَنَّةٌ لِعُفَاتِهِ (٢)
لَكِنَّهُ لِلْحَاسِدِينَ جَهَنَّمُ

---

(١) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير باليمن يتقيل من مثله من ملوكهم أى يشبهه

(٢) لعفاته : أى لسائليه : جمع عاف ، وهو الطالب العرف ، والطالب للعفو أى الزيادة من المال

أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا مَنَنْتَ وَأَنْتَ (١) مِنْ
أَوْصَافِ مَجْدِكَ يَا مَلِيكًا أَعْظَمُ
فَاغْفِرْ لِيَ التَّقْصِيرَ فِيهِ وَعُدَّهُ
مَعَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَيَّ وَتُنْعِمُ
مَعْ أَنَّنِي سَيَّرْتُ فِيكَ شَوَارِدًا (٢)
كَالدُّرِّ بَلْ أَبْهَى لَدَى مَنْ يَفْهَمُ
تَغْدُو وَهُوجُ (٣) الذَّارِيَاتِ رَوَاكِدٌ
وَتَبِيتُ تَسْرِي وَالْكَوَاكِبُ نُوَّمُ
وَإِذَا الْمَآثِرُ عُدِّدَتْ فِي مَشْهَدٍ
فَبِذِكْرِهَا يَبْدَا الْمَقَالُ وَيُخْتَمُ
وَإِذَ تَلَا الرَّاوُونَ مُحْكَمَ آيِهَا (٤)
صَلَّى عَلَيْكَ السَّامِعُونَ وَسَلَّمُوا

---

(١) فى الاصل « وأين » وهو تصحيف (٢) يقال قصيدة شاردة ، وقافية شرود أى سائرة فى البلاد تشرد فيها متنقلة كما يشرد البعير (٣) الهوج جمع هوجاء : وهى الريح التى لاتستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، والذاريات : الرياح تذرى مايعترضها فى سيرها ـ جعل قصائده التى مدح بها الداعى أسير من الريح وأسرى من الكواكب ، فقد تسترع الريح أو الكواكب ، ولكن تلك القصائد لاتهدأ لها حركة . « عبد الخالق »
(٤) هكذا فى الاصل « وإذا بدا الراوون أن يحكوا بها » ورواية العماد أصح وأظهر

وَكَفَى بِرَأْيِ إِمَامِ عَصْرِكَ نَاقِضًا
مَا أَحْكَمَ الْأَعْدَاءُ فِيكَ وَأَبْرَمُوا

وَأَنْشَدَنِى أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ (١) بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِىُّ الْمِصْرِىُّ بِمِصْرَ فِى سَنَةِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ الزُّبَيْرِ مَطْلَعَ قَصِيدَةٍ :

أَعَلِمْتَ حِينَ تَجَاوَرَ الْحَيَّانِ
أَنَّ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النِّيرَانِ
وَعَلِمْتَ أَنَّ صُدُورَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ
فِى الْقَوْمِ وَهْىَ مَرَابِضُ (٢) الْغِزْلَانِ

---

(١) هو أبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجى بن المؤمل بن محمد ابن على بن ابراهيم بن يعيش بن سعيد بن سعد بن عبادة الانصارى الخزرجى يلقب شهاب الدين، أصله من مدينة قوص بمصر ثم نزل بدمشق وأقام بها ، كان عالما أديبا ذا عناية باللغة والتاريخ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ولد سنة ٥٧٤ وتوفى بدمشق سنة ٦٥٣

(٢) مرابض جمع مربض: وهو المأوى من ربضت الشاة ونحوها « كضرب » والربض والربوض لنحو الظباء والغنم، كالبروك للبعير والجثوم للطير ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سفيان بن عوف العامرى وقد بعثه إلى قومه بنى عامر بن صعصعة بن كلاب : « إذا أتيتهم فاربض فى دارهم ظبيا » أى أقم فى ديارهم آمنا كالظبى الساكن فى مربضه الوادع فى كناسه « أحمد يوسف نجاتى »

وَعيُونُنَا عِوَضُ الْعيُونِ أَمدَّهَا
مَا غَادَرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدْرَانِ[(١)]

مَا الْوَجْدُ هَزَّ قَنَاتَهُمْ بَلْ هَزَّهَا
قَلْبِي لِمَا فِيهِ مِنَ الْخفَقَانِ

وَتَرَاهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى أَظْعَانَهُمْ
فَكَأَنَّمَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَظْعَانِ[(٢)]

وَكَانَ لَمَّا جَرَى لِأَخِيهِ الرَّشِيدِ مَا جَرَى مِنَ اتِّصَالِهِ بِالْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ عِنْدَ كَوْنِهِ مُحَاصِرًا لِلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَابِهِ، قَبَضَ شَاوَرُ عَلَى الْمُهَذَّبِ وَحَبَسَهُ، فَكَتَبَ إِلَى شَاوَرَ شِعْرًا كَثِيرًا لِيَسْتَعْطِفَهُ فَلَمْ يَنْجَعْ حَتَّى الْتَجَأَ إِلَى وَلَدِهِ الْكَامِلِ أَبِي الْفَوَارِسِ شُجَاع

(١) يريد بالعيون الثانية مجارى المياه ومنابعها ، والغدران جمع غدير ، يعنى أن عيونهم أصبحت نائبة عن العيون الجارية تمدها غدران من الدموع لا ينضب معينها — ولا يخفى الجناس بين العيون وعيون ، كما أن بين غادروا وغدران جناس اشتقاق كذلك

(٢) الأظعان جمع ظعينة وهى الهودج ، وتطلق أيضا على الجمل الذى تركبه النساء يوم الظعن أى السفر

ٱبْنِ شَاوِرٍ (١) مَدَحَهُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَهُوَ فِى ٱلْحَبْسِ حَتَّى قَامَ بِأَمْرِهِ وَٱسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَبْسِهِ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَٱصْطَنَعَهُ. فَمِنْ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

أَيَا صَاحِبَيْ سِجْنِ ٱلْخِزَانَةِ خَلِّيَا
نَسِيمَ ٱلصَّبَا يُرْسِلْ إِلَى كَبِدِى نَفْحَا (٢)

---

(١) تقدم التعريف بالوزير أبى شجاع شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد الفاطمى، وكان جباراً عنيداً وغشوما مستبداً. وكان ابنه الكامل شجاع بن شاور خيرا منه، وقد قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤

(٢) يقال: نفح الطيب كنفع: إذا أرج وتضوع، ونفحت الريح إذا هبت، أى نسمت وتحركت. وبعد البيت الأول بياض بالأصل، وهو موضع لبيتين أحفظهما وهما:

وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد
إلى نظرى أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى
سريعاً بفضل الكامل العفو والصفحا

وبعدها: وإن تحسبانى الخ:

هذا وسجن الخزانة كان أصله يسمى خزانة البنود أى الرايات والاعلام، وكانت مجاورة للقصر الكبير، ومن حقوقه بالقرب من قصر الشوك بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى جميع الصنائع، ثم أحرقت سنة ٤٦١ فجعلت بعد هذا الحريق حبساً

« أحمد يوسف نجاتى »

فَإِنْ تَحْبِسَانِي فِي النُّجُومِ تَجَبُّراً
فَلَنْ تَحْبِسَا مِنِّي لَهُ الشُّكْرَ وَالْمَدْحَا

وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى قَبْلَ سِجْنِكُمَا عَلَى
دُمُوعِي أَنْ يَقْطُرْنَ خَوْفَ الْمَقَاطِرِ (١)

(١) المقاطر جمع مقطرة ، وهي المسماة الفلق : خشبة فيها خروق ، كل خرق على قدر سعة الساق تدخل فيها أرجل المحبوسين ، وهو مشتق من قطار الابل ، لأن المحبوسين فيها على قطار واحد مضموم بعضهم إلى بعض ، أرجلهم فى خروق خشبة مفلوقة على قدر سعة سوقهم — هذا وأحفظ قبل هذين البيتين بيتين آخرين هما أول القطعة :

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا
من الصبح ما يبدو سناه لناظرى
فوالله ما أدرى أطرفى ساهر
على طول هذا الليل أم غير ساهر

وقد استمرت خزانة البنود سجناً للامراء والوزراء وأعيان الدولة ووجوهها إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فاتخذها ملوك بنى أيوب أيضاً سجنا يعتقل فيه الامراء والمماليك ثم جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، وبها أنزل الملك الناصر محمد بن قلاوون الاسرى بعد عودته من الكرك وأبطل السجن بها ، ولكن كان من أولئك الأسرى الذين حسنت معاملتهم وعاشوا فى الخزانة التى أصبحت لهم دار ضيافة بأهليهم وأولادهم أن جعلوها مباءة إثم وموطن فساد حتى توفى الملك الناصر سنة ٧٤١ وانتقل الملك فى بيته إلى أن جلس على عرش مصر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفى أيامه هدم ذلك المكان سنة ٧٤٤ وزال بزواله شر كبير .

« أحمد يوسف نجاتى »

وَمَالِى مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ أَذَاكُمَا
سِوَى مَلِكِ الدُّنْيَا شُجَاعِ بْنِ شَاوِرِ

وَمِمَّا قَالَهُ فِيهِ وَهُوَ لَعَمْرِى مِنْ رَائِقِ الشِّعْرِ وَجَيِّدِهِ :

إِذَا أَحْرَقَتْ فِى الْقَلْبِ مَوْضِعَ سُكْنَاهَا
فَمَنْ ذَا الَّذِى مِنْ بَعْدُ يُكْرِمُ مَثْوَاهَا ؟
وَإِنْ نَزَفَتْ مَاءَ الْعُيُونِ بِهَجْرِهَا
فَمِنْ أَىِّ عَيْنٍ تَأْمُلُ الْعِيسُ سُقْيَاهَا ؟
وَمَا الدَّمْعُ يَوْمَ الْبَيْنِ إِلَّا لَآلِئٌ
عَلَى الرَّسْمِ (١) فِى رَسْمِ الدِّيَارِ نَثَرْنَاهَا !
وَمَا أَطْلَعَ الزَّهْرَ الرَّبِيعُ وَإِنَّمَا
رَأَى الدَّمْعُ أَجْيَادَ الْغُصُونِ فَحَلَّاهَا (٢)
وَلَمَّا أَبَانَ الْبَيْنُ سِرَّ صُدُورِنَا
وَأَمْكَنَ فِيهَا الْأَعْيُنُ النُّجْلُ مَرْمَاهَا (٣)

---

(١) يريد بالرسم الأول معنى العادة المتبعة الواجبة التنفيذ من قولهم رسم له كذا أى أمره به ، فارتسم أى امتثل ، ويقال : أنا أرتسم مراسمك لا أتخطاها ، والرسم الثانى : الأثر الباقى من الديار (٢) يريد تشبيه دمعه بالدر وبما يسقط على الغصون من ندى الطل (٣) مثل قوله :

إنما يفتضح العشا ق فى يوم الرحيل

عَدَدْنَا دُمُوعَ الْعَيْنِ لَمَّا تَحَدَّرَتْ
دُرُوعاً مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ نَزَعْنَاهَا (١)

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَتَرْجَمَتْ
لِعَيْنِي عَمَّا فِي الضَّمَائِرِ عَيْنَاهَا (٢)

بَدَتْ صُورَةٌ فِي هَيْكَلٍ فَلَوَ انَّنَا
نَدِينُ بِأَدْيَانِ النَّصَارَى عَبَدْنَاهَا (٣)

وَمَا طَرَباً صُغْنَا الْقَرِيضَ وَإِنَّمَا
جَلَا الْيَوْمَ مِرْآةَ الْقَرَائِحِ مَرْآهَا

---

(١) أى لأن البكاء ينافى الصبر فهو يضعف من قوته ويوهنها ، والانسان مهما كان جلداً يصبر على كل نوائب الدهر ما عدا فرقة أحبابه :

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ ل على أننا نذيب الحديدا

وقال آخر :

جزعت للحب والحمى صبرت لها إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى

هذا وفى رأيى أن الاصل فى نزعناها ادّرعناها « عبد الخالق »

(٢) يعنى أنهما فى موقف تعطلت فيه لغة الكلام ، وعلقت الالسنة عن النطق، ونابت العيون عنها فى التفاهم والمناجاة ، ولسان الدمع فى هذا الموقف أفصح

(٣) الهيكل بيت للنصارى فيه تمثال على صورة السيدة مريم والسيد المسيح عليهما السلام وقد يسمى الدير هيكلا أيضاً .

وَلَيَالِىَ (١) كَانَتْ فِى ظَلَامِ شَبِيبَتِى
سُرَاىَ وَفِى لَيْلِ الذَّوَائِبِ مَسْرَاهَا
تَأَرَّجُ أَرْوَاحُ الصَّبَا كُلَّمَا سَرَى
بِأَنْفَاسِ رَيَّا آخِرَ اللَّيْلِ رَيَّاهَا (٢)
وَمَهْمَا أَدَرْنَا الْكَأْسَ بَاتَتْ جُفُونُهَا
مِنَ الرَّاحِ تَسْقِينَا الَّذِى قَدْ سَقَيْنَاهَا

وَمِنْهَا :

وَلَوْ لَمْ يَجِدْ يَوْمَ النَّدَى فِى يَمِينِهِ
لِسَائِلِهِ غَيْرَ الشَّبِيبَةِ أَعْطَاهَا
فَيَامَلِكَ الدُّنْيَا وَسَائِسَ أَهْلِهَا
سِيَاسَةَ مَنْ قَاسَ الْأُمُورَ وَقَاسَاهَا
وَمَنْ كَلَّفَ الْأَيَّامَ ضِدَّ طِبَاعِهَا
فَعَايَنَ أَهْوَالَ الْخُطُوبِ فَعَانَاهَا (٣)

---

(١) بياض بالاصل بعد وليلة ، وقبل ظلام (٢) ريا الأولى علم محبوبته والثانية إسم للرائحة الذكية الطيبة (٣) ما أشبه هذا بقول الآخر :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

وقوله فعاين جواب من وزيدت الفاء على حد قوله تعالى : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار » . « عبد الخالق »

عَسَى نَظْرَةٌ تَجْلُو بِقَلْبِي وَنَاظِرِى
صَدَاهُ فَإِنِّى دَائِمًا أَتَصَدَّاهَا (١)

وَحَدَّثَنِي الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ (٢) أَنْ السَّبَبَ فِي حَبْسِهِ كَانَ : أَنَّهُ كَاتَبَ شِيرَكُوهَ الْمُلَقَّبَ بِأَسَدِ الدِّينِ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى

(١) الصدا الاول بمعنى الصدأ يريد الهموم والاحزان التى يصدأ منها القلب ، وتصدى بمعنى أتعرض لها وانتظرها ، والمتصدى هو الذى يرفع رأسه وصدره للشىء ينظر إليه مترقباً.

(٢) تقدم له فى ترجمة « أحمد بن على بن الزبير الغسانى » صفحة ٥٧ من الجزء الرابع أن سماه الشريف أبو عبد الله محمد بن أبى محمد العزيز الأدريسى الحسنى الصعيدى والصواب ما هنا فانه يعنى الشريف أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم عبد الرحيم ابن عمر بن سليمان بن إدريس بن يحيى المعتلى « من ملوك الطوائف بالاندلس » بن على ابن محمود بن ميمون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب الشريف الأدريسى الصعيدى الحافظ قدم أبوه من المغرب وأقام بجهة قوص فولد له أبو جعفر هذا سنة ٥٦٨ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٩ وابنه إدريس ولد سنة ٦١٧ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٩١ وابنه جعفر ولد بالقاهرة سنة ٦١١ وتوفى سنة ٦٩٦ ثم قال فى صفحة ٦٠ : وأما سبب مقتله فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد ومكاتبته له ، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد فطلبه فاختفى بالاسكندرية ، واتفق التجاء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الاسكندرية ومحاصرته بها فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً وقاتل بين يديه ولم يزل معه مدة مقامه بالاسكندرية إلى أن خرج منها فتزايد وجد شاور عليه واشتد طلبه له واتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق لنا فأمر بأشهاره على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز ينال منه ا ه .

« أحمد يوسف نجاتى »

بِلْبِيسَ (١) بِعَسَاكِرِهِ فِي مُحَارَبَةِ شَاوِر ، فَلَمَّا رَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ عَنْ بِلْبِيسَ (٢)

وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَجُورُ عَلَى الْعُشَّاقِ وَالْعَذْلُ دَأْبُهُ
وَيَقْطَعُنِي ظُلْماً وَصَنْعَتُهُ الْوَصْلُ

(١) سار أسد الدين شيركوه سنة ٥٥٩ إلى بلبيس والشرقية واستولى عليهما فأرسل شاور واستنجد بالفرنج على إخراج أسد الدين من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحاصروا شيركوه ببلبيس ودام الحصار مدة ثلاثة أشهر ثم بلغ الفرنج حركة نور الدين محمود بن زنكى فراسلوا شيركوه فى الصلح وفكوا عنه الحصار فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر وسار بهم حتى وصلوا إلى الشام سالمين — وفى سنة ٥٦٢ عاد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية واستولى على الجيزة وأرسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا فى أثر شيركوه إلى جهة الصعيد فانهزم الفرنج وعسكر شاور وعاد شيركوه إلى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين ورجع شيركوه الى الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحاصروا صلاح الدين بالاسكندرية فى مدة ثلاثة أشهر فسار إليهم شيركوه واتفقوا على الصلح على مال يحملونه إلى شيركوه ويسلم إليهم الاسكندرية ويعود إلى الشام — والظاهر أن شاور وجد لابن الزبير الغسانى مكاتبات يراسل بها أسد الدين عرف شاور منها أن ميل ابن الزبير إليه فكانت سبب الغضب عليه وقد كان شاور طاغية ظالماً يعاقب على الظن ويقتل على الريبة وبلبيس بكسر الباءين وسكون اللام وياء ساكنة وسين مهملة كذا ضبطه نصر الاسكندرى . : والعامة تقول بلبيس بكسر الباء الاولى وبفتح الثانية : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام فتحت سنة ١٨ أو سنة ١٩ على يد عمرو بن العاص . معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٢ وفى القاموس بُلْبَيس كَـقُرَيق (٢) بياض بالاصل وقد نبه على الموضوع بتمامه فى نمرة ١ « أحمد يوسف نجاتى »

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

وَلَئِنْ تَرَقْرَقَ دَمْعُهُ يَوْمَ النَّوَى
فِى الطَّرْفِ مِنْهُ وَمَا تَنَاثَرَ عِقْدُهُ
فَالسَّيْفُ أَقْطَعُ مَا يَكُونُ إِذَا غَدَا
مُتَحَيِّراً فِى صَفْحَتَيْهِ فِرِنْدُهُ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَعَهْدِى بِهِ قَبْلَ الْفِرَاقِ قَصِيرُ
فَكَيْفَ أُرَجِّى الصُّبْحَ بَعْدَهُمُ وَقَدْ
تَوَلَّتْ شُمُوسٌ بَعْدَهُمْ وَبُدُورُ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

يُعَنِّفُنِى مَنْ لَوْ تَحَقَّقَ مَا الْهَوَى
لَكَانَ إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ رَسُولِى

بِنَفْسِي بَدْرٌ لَوْ رَآهُ عَوَاذِلِي
عَلَى الْحُبِّ فِيهِ فَادَ (١) كُلُّ عَذُولِ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

أَقْصِرْ فَدَيْتُكَ عَنْ لَوْمِي وَعَنْ عَذْلِي
أَوْلَا تُخَذْ لِي أَمَاناً مِنْ ظُبَا الْمُقَلِ

(١) فاد : أى « مات » وهذا معنى لنوى ولكن مكان الكلمة قلق لأن الألفاظ لا تميل إليها ولو أنه بدلها مات لكان أوفق ويرى زميلى الأستاذ أحمد نجاتى رأياً أشاركه فيه وهى أنها مصحفة عن « قاد » بدليل ما فى البيت الأول وضرب مثلا يساعد على هذا بالأبيات الآتية منها :

لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتصالحنا على وجه جميل

وقول الآخر :

أبصره عاذلى عليه
ولم يكن قبل قد رآه
فقال لى لو عشقت هذا
ما لامك الناس فى هواه

« عبد الخالق »

مِنْ كُلِّ طَرْفٍ مَرِيضِ الْجَفْنِ يُنْشِدُنِي
«يَا رُبَّ رَامٍ بِنَجْدٍ مِنْ بَنِي ثُعَلِ(١)»
إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَا
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ(٢)

وَقَالَ يَرْثِي صَدِيقاً لَهُ وَقَدْ وَقَعَ الْمَطَرُ يَوْمَ مَوْتِهِ :

بِنَفْسِي مَنْ أَبْكَى السَّمٰوَاتِ فَقْدُهُ
بِغَيْثٍ ظَنَنَّاهُ نَوَالَ يَمِينِهِ

(١) بنو ثعل مشهورون بجودة الرمي وهم من ثعل بن عمرو الغوثي من طيء وعناهم امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

والقاضي المهذب يشير إلى قول امرىء القيس هنا فان الرواية الجيدة في بيته هي :

من كل طرف مريض الجفن تنشدنا ألحاظه : رب رام من بني ثعل

وقال ابن قلاقس الاسكندري :

وحي من كنانة قد رموني بما حوت الكنانة من سهام
إذا انتضلوا وما ثعل أبوهم أتوك بكل راميـة ورامي

وقد تصرف الشعراء في هذا المعنى بحق « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) عجز البيت للمتنبي صدره

لعـل عتبك محمود عواقبـه

وقد أحسن الشاعر تضمينه « عبد الخالق »

فَمَا ٱسْتَعْبَرَتْ إِلَّا أَسًى وَتَأَسُّفًا
وَإِلَّا فَمَاذَا القَطْرُ فِى غَيْرِ حِينِهِ

وَلَهُ أَيْضًا :

لَا تَرْجُ ذَا نَقْصٍ وَلَوْ أَصْبَحَتْ
مِنْ دُونِهِ فِى الرُّتْبَةِ الشَّمْسُ
كِيوَانُ(١) أَعْلَى كَوْكَبٍ مَوْضِعًا
وَهْوَ إِذَا أَنْصَفْتَهُ نَحْسُ

وَلَهُ أَيْضًا :

فَدَعِ التَّمَدُّحَ بِالقَدِيمِ فَكَمْ عَفَا
فِى هَذِهِ الآكَامِ قَصْرٌ دَاثِرُ

---

(١) كيوان اسم يطلقونه على زحل وهو أشهر الكواكب على الاطلاق ، وقد كان المعتقد إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى أنه نهاية المجموعة الشمسية لبعده السحيق وطول فلكه الذى يقطعه فى نحو من سنة ، وكان عند العرب مثلا فى العلو والبعد ، كما قال الطغرائى :

وإن علانى من دونى فلا عجب لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

كما أنهم ظلموه بجعلوه كوكب النحس ورمز الشؤم والمصائب ، ولو أتيح لهم أن يشاهدوه لرأوا فيه جمالا باهراً « أحمد يوسف نجاتى »

إِيوَانُ كِسْرَى الْيَوْمَ عِنْدَ خَرَابِهِ
خَيْرٌ لَعَمْرُكَ مِنْهُ قَصْرٌ عَامِرُ (١)

﴿ ١١ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي سَالِمٍ الْمُعَمَّرِ ﴾

﴿ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَاهُوجَ * ﴾

الحسن بن على الاسكافى

الْإِسْكَافِيُّ (٢) الْأَصْلِ ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ ، أَبُو الْبَدْرِ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ ، مِنْ أَهْلِ بَابِ الْأَزَجِ (٣) ،

---

(١) ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة ... فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك فى اكتسابك شاهداً ... بحديث مجد للحديث محقق

ولعل عنترة أسبق الشعراء إلى هذا المعنى بقوله :

ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وليس الغرض التبرؤ من القديم كله ، ولكن ينبغى ألا يعتمد عليه وحده وأن يكون أساساً يبنى عليه ، والأمة التى لا تلتفت إلى ماضيها لاتتهيأ لخير فى مستقبلها : « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) نسبة إلى إسكاف بلد من نواحى النهروان بين بغداد وواسط خرج منها طائفة كثيرة من أعيان العلماء والكتاب والعمال والمحدثين وقد خربت جهة إسكاف بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ا . ه ياقوت

(٣) الأزج كان محلة كبيرة فى شرق بغداد بشرقيها مشتملة على عدة محال كبيرة كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٢٥

أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِى خِدْمَةِ الدِّيوَانِ الْإِمَامِىِّ [١] هُوَ وَأَبُوهُ ، وَكَانَ فِيهِ فَضْلٌ وَأَدَبٌ بَارِعٌ ، وَعَرَبِيَّةٌ وَتَصَرُّفٌ فِى فُنُونِهَا ، وَيَكْتُبُ خَطًّا عَلَى طَرِيقَةِ أَبِى عَلِىِّ ابْنِ مُقْلَةَ قَلَّ نَظِيرُهُ فِيهِ ، وَلَهُ خَصَائِصُ ، وَلَقِىَ الْمَشَايِخَ ، وَصَنَّفَ عِدَّةَ تَصَانِيفَ فِى الْأَدَبِ حَسَنَةً ، وَتَنَقَّلَ فِى الْوِلَايَاتِ إِلَى أَنْ رُتِّبَ مُشْرِفًا بِالدِّيوَانِ الْعَزِيزِ [٢] فِى سَادِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ عُزِلَ فِى سَابِعِ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ صَحِبَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ الْخَشَّابِ النَّحْوِىَّ [٣] وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَبَحَثَ مَعَهُ ، وَعَلَّقَ عَنْهُ تَعَالِيقَ وَقَفْتُ عَلَى بَعْضِهَا

---

(١) يريد ديوان الامام وهو الخليفة العباسى (٢) أى ديوان الخليفة الناصر لدين الله العباسى أبو العباس أحمد وهو الرابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس قام بالامر بعد وفاة والده الخليفة المستضىء بأمر الله حسن سنة ٥٧٥ وطالت مدة خلافته نحو ٤٧ سنة وتوفى فى شوال سنة ٦٢٢ (٣) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الخشاب وكان من أعلم أهل زمانه بالنحو كما كانت له معرفة جيدة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة ، وله مؤلفات نافعة فى اللغة العربية وتوفى سنة ٥٨٧ « عبد الخالق »

فَوَجَدْتُهَا مُنْبِئَةً عَنْ يَدٍ بَاسِطَةٍ فِي هَـذَا الْفَنِّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ فِي حَلَبَ تَعَالِيقَ (١) وَكُتُباً وَاخْتِيَارَاتٍ وَنَظْماً وَنَثْراً تَدُلُّ عَلَى قَرِيحَةٍ سَالِمَةٍ ، وَنَفْسٍ عَالِمَةٍ ، تُقَلِّلُ النَّظِيرَ ، وَتُؤْذِنُ بِالْعِلْمِ الْغَزِيرِ . وَمِمَّا بَلَغَنِي مِنْ شِعْرِهِ :

وَعَلَى الْـكَثِيبِ (٢) مُخَمَّرٌ مِنْ تِيهِهِ
كَالْبَـدْرِ مِنْ حُسْنٍ وَلَيْسَ بِآفِلِ

(١) من قوله : « وقفت إلى قوله تعاليق » ساقط من الاصل وموجود فى المهاد فأثبتناه لهذا (٢) الكثيب : التل المستطيل المحدودب من الرمل — وفى الاصل « مخمر » من خمر الشىء إذا غطاه وستره ومادة « خ م ر » تفيد معنى التغطية والستر ، فإما أن يكون مخمر بمعنى مغطى ومستتر يعنى أنها متمنعة دلالا محجبة تصوناً وتيهاً ، أو بمعنى مخمور فهى تتكسر فى مشيتها إعجاباً وتتثنى اختيالا ، كمن به خمار أى بقية سكر — وكأن هـذا المعنى يشير إلى قول ابن هانىء :

ودعوك نشوى ما سقوك مدامة لما تمايل عطفك اتهموك

وقول عبد المحسن الصورى :

تعلقته سكران من خمرة الصبا به غفلة عن لوعتى ونحيبى

وقد تكون مصحفة عن « مخفر » من الخفر أى ممنع محجب ، والتخفير : التسوير والتحصين ، وخفرها إذا حماها وحفظها ، وكذلك خفرها كما قال أبو جندب الهذلى :

ولكننى جمر الغضا من ورائه يخفرنى سيفى إذا لم أخفر

ويكون هذا المعنى قريبا من قول الشاعر « أبى عبدالله محمد بن أحمد بن الخياط الدمشقى »

ومحتجب بين الأسنة معرض وفى القلب من أعراضه مثل حجبه

حَجَبُوهُ بِالْبِيضِ الفَوَاصِلِ مَا دَرَوْا
مِنْ حُسْنِهِ وَسُيُوفُهُمْ كَالْفَاصِلِ (١)

---

(١) كذا بالاصل « وللك أن تضبط عجز البيت بما تشاء ما دام مؤدياً معنى مستقيماً تطمئن إليه النفس » وفصل الشىء: إذا قطعه بسرعة وسيف فاصل « ومفصل ، وفصال » أى ماض قاطع — وكذا فصل الشىء معناه قطعه وأبان بعض أجزائه عن بعض « كما أن الفاصل هو الحاجز بين الشيئين ، وقول فاصل وفصل أى قاطع بين الحق والباطل » فقد يكون المعنى — إذا وقفت فى عجز البيت عند « من حسنه » وابتدأت بقوله : وسيوفهم كالفاصل : كان المعنى إنهم ما دروا حين حجبوه بسيوفهم القاطعة وصانوه بصوارمهم الباترة أن له من حسنه ما يغنى عن هذه الحماية ، ثم قال وسيوفهم كالحاجز والسور بينه وبين محبه « هذا معنى على ما فيه »

فالحب حيث العدا والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل

فكيف يصل المحب إلى من يهواه ، وأهله :

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح ومنعوا السمر بسمر الرماح ؟

وأنى له أن يتخطى تلك الحواجز ومحبوبه :

غزال منيع الخدر دون مزاره مظللة بالبيض منه الجآذر

ويصح أن يجعل عجز البيت جملة واحدة من إسم موصول مبتدا ومعطوف عليه وخبرا والقصد الاول إفادة أن محاسن المحبوب تشترك مع سيوف قومه فى خصائصها

« وقد يجوز أن تكون ما » فيما دروا غير نافية بل هي اسم موصول بدل من الهاء فى حجبوه يعنى أنهم حجبوا ما عرفوا من حسنه وشدة الرغبة من العشاق فيه أو حجبوه لما علموا من حسنه ، وقد يكون فى عجز البيت تقديم وتأخير وتصحيف فيكون أصله مثلا . . . وسيوفهم من حسنه كالناصل

ويقال نصل السهم إذا خرج منه النصل ، ومنه قول العرب فيمن بلى بمن يخذله : هو يرمي بأفوق ناصل ، ومن أمثالهم : رده بأفوق ناصل « إذا رده خائباً » ورجع فلان بأفوق ناصل « إذا خس حظه أو خاب ويضرب للطالب لا يجد ما طلب » والأفوق هو —

رَشَأٌ كَأَنَّ لِحَاظَهُ مَطْرُورَةٌ
قَذَفَتْ بِهَا غَرَضًا حَنِيَّةُ نَابِلِ (١)

— السهم الذى انكسر فوقه « وهو موضع الوتر من السهم » فالأفوق الناصل : السهام المكسورة الفوق الساقطات النصول

ومعنى البيت على هـذا الغرض أن سيوفهم إذا قيست إلى حسنه كانت كالسهم الناصل بالنسبة إلى السهام المريشة ذات النصال . وكأن فيه إشارة إلى معنى قول السراج الوراق :

أغنتهم تلك القدود عن القنا ونضوا عن البيض الصفاح الأعينا

وكأنه ينظر إلى قول ابن هانىء :

فتكات لحظك أم سيوف أبيك وكؤوس خمر أم مراشف فيك ؟

أو يشير إلى قول البهاء البخارى :

يا حامل الصارم الهندى منتصراً ضع السلاح قد استغنيت بالكحل
ما يفعل الظبي بالسيف الصقيل وما ضرب الصوارم للفتاك بالمقل

وقول الشاعر :

كيف النجاة ورمح قدك مشرع كيف الخلاص وسيف لحظك مصلت

وقول الشاعر :

إن العيون لكا الحصون فهدبها شرفاتها وجفونها الأسوار
وكذا محاجرها الخنادق حولها والحافظون بها هم الأنوار

وما أرق قول مسلم بن الوليد :

وليست سيوف الهند تفنى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب —

(١) الرشأ : الظبي إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه ، واللحاظ جمع لحظة أى النظرات تقول فتنته بلحاظها وألحاظها، واللحاظ « بفتح اللام وقد تكسر » مؤخر العين ، ومطرورة أى محددة من قولهم طر السكين أو السيف أو السهم إذا أحده ، وسنان مطرور وطرير محدد ، وكذا سهم مطرور وسيف طرير ، يريد تشبيه لحاظه بالسهام الحادة الفاتكة ، والغرض : الهدف يرمي فيه ـ والحنية: القوس« لأنها محنية أى معطوفة ذات وتر »وجمعها حنايا ، والنابل : ذو النبال أى السهام ونبله : إذا رماه بالنبل .

وَكَأَنَّ سِحْرَ بَلَاغَةٍ فِي لَفْظِهِ
أُخَذٌ[١] يُعَقِّدُهَا نَوَافِثُ بَابِلِ

— وقول الامير سيف الدين المشد :

أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم فبها بلغت من القلوب مناك

وقول الشهاب المنصورى :

يا مولعاً بسيوف الهند يحملها ضعهن واستغن بالالحاظ والمقل

وقول العفيف التلمسانى :

أرح يمينك مما أنت معتقل أمضى الاسنة ما فولاذه الكحل

ونهاية القول :

إن العيون السود أقوى مضربا من كل هندى وكل يمانى
فضل العيون على السيوف لانها فتكت ولم تبرز من الاجفان

وكأن معنى بيتنا القلق يؤول بعد هذا إلى :

حجبوه بالبيض الفواصل لو دروا حجبوا السيوف فلحظه كالفاصل .

ونرجو القارىء أن يعذرنا فى هـذا الاطناب — وإن لم يخل من فائدة — فالبيت لايخلو من تحريف وتصحيف ، وفى النفس شىء من كل ما فرض فيه « أحمد يوسف »

(١) الأُخذ جمع أخذة وهى رقية كالسحر ، ويعقدها مشدد للكثرة أى يكثر عقدها والنوافث جمع نافثة أى ساحرة ، ونفث ينفث من النفث كالنفخ ، أو هو نفخ لطيف يكون فى الرقية ولا ريق معه أو إخراج النفس من الفم بقليل من الريق ، ونفث فى العقدة عند الرق إذا نفخ ، ونفثه إذا سحره ، وإمرأة نفاثة أى سحارة وقوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » هن السواحر حين ينفثن فى العقد « يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها » وبابل هي المدينة المعروفة ينسب إليها السحر والخمر ، والبيت يشير إلى قصة الملكين فى قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وسحر بابل مما أكثر الشعراء ضرب المثل به ، فمن ذلك :

أظبا سيوف جردت من لحظك الـ فتاك أم هاروت أم ماروت

ولابن حبيب الحلبى :

تسبي القلوب بسحر بابل طرفها
وتجرد الاسياف من لحظاتها —

وَكَانَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ حَاجًّا فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ أَوْ نَحْوِهَا فَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ صَارَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَسَكَنَهَا إِلَى

— وله :

أسكن هاروت فى لواحظه أما تراه بالسحر قد نفثا ؟؟

ومنه :

وأقسم لو هاروت وافاه لم يكن
ليروى إلا عن لواحظه السحرا

ومنه :

ترمي القلوب فلا تدرى أقام بها
هاروت أم ذاك رام من بنى ثعل ؟؟

ومنه :

يا من نسيت بسكرة من لحظه ألم الجراح به فعقلى ذاهل
هل فى الجفون كنانة أم حانة أم حل فيها ناظر أم بابل

ومنه :

وبى ساحر الالحاظ ظبى كأنما
بأجفانه من كثرة السحر بابل

ولابن الساعاتى :

بابلى المجفون تقع غليلى منه فى رشف ريقه البابلى

ولابن القيسرانى :

فواحزنى من هوى فارغ رمي القلب فى شغل شاغل
تجول ظبا سحر أجفانه متى كانت الهند فى بابل ؟ !

والقول فى هذا المعنى كثير ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد .

« أحمد يوسف نجاتى »

أَنْ مَاتَ بِهَا فِى ثَامِنَ عشَرَ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، عَنْ سبْعٍ وَستِّينَ سنَـةً ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ ، وَحَدَّثَ بِذَلِكَ ابْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ عَلِيٌّ .

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ ابْنِ أَبِى سَالِمٍ الَّذِى لَا أَرْتَابُ بِهِ مَا صُورَتُهُ : نُسْخَةُ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَى الْقَاضِى الْفَاضِلِ عِنْدَ قُدُومِى مِنَ الْحِجَازِ إِلَى مِصْرَ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ : لَوْ كَانَتِ الْمَوَدَّاتُ ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْمَجْلِسِ السَّامِى ـ فِى نِعْمَةٍ خَصِيبَةِ الْمَرْتَعِ [1] ، وَعِيشَةٍ عَذْبَةِ الْمَنْبَعِ ـ وَأَدَامَ عُلَاهُ فِى سَعَادَةٍ لَا تَتَطَرَّقُ [2] إِلَى صَافِى بُرْدِهَا السَّابِغِ حَوَادِثُ الْأَقْدَارِ ـ وَلَا يَتَطَرَّقُ [3] صَافِى

---

(١) المرتع : مكان الرتع وهو الأكل والشرب يقال خرجنا نرتع ونلعب أى ننعم ونلهو فى شبع ورى وتنعم (٢) تطرق إليه الشىء إذا عرض له وتطرق إلى الامر يبغى إليه طريقاً — وضفا الشىء : كثر وطال ، وبرد ضاف : أى طويل سابغ والسابغ : الكامل الوافى ، أو سبغ الشىء «كمقعد» : طال إلى الارض واتسع

(٣) تطرق هنا من الطرق : وهو الماء المجتمع الذى خاضت فيه الدواب والأرجل فكدرته وجعلته قذراً ، ومنه قول عدى :

ثم كان المزاج ماء سحاب لا صرى آجن ولا مطروق

وساغ الشراب فى الحلق : سهل مدخله ولذ لشاربه وهنأه — ثوى بالمكان : أقام به ولزمه

وِرْدِهَا السَّائِغِ بِحَوَادِثِ الأَكْدَارِ ، وَحَرَسَ مَوَاهِبَهُ لَدَيْهِ مَا لَزِمَ السُّكُونُ أَوَّلَ الْمُشَدَّدَيْنِ ، وَلَا زَالَتْ ثَاوِيَةً بِجَنَابِهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ الْمُخَفَّفَانِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، وَلَا فَتِئَتْ مِنَحُ التَّوْفِيقِ مُصَاحِبَةً لَهُ مَا اشْتَبَهَ الذَّاتِيُّ بِالْعَرَضِ اللَّازِمِ (١) ، وَذُمَّ الْمُفَرِّطُ فِي أَمْرِهِ وَأُحْمِدَ (٢) الْحَازِمُ ، لَا تُقْرَعُ أَبْوَابُهَا ، وَلَا تُتَدَرَّعُ زِينَةُ لَبُوسِهَا (٣) وَأَثْوَابُهَا إِلَّا عَنْ مَعْرِفَةٍ

---

(١) هذا من اصطلاح كتب المنطق والحكمة، فان أردت بسط القول فيها فارجع إليها وخلاصة الفرق بين الذاتى والعرض اللازم : أن الذاتى ما كان جزءا من حقيقة الشىء وماهيته ولا تتحقق إلا به كالنطق والتفكير « بالنسبة للانسان الذى هو حيوان ناطق » وأما العرض اللازم فمع لزومه لحقيقة الشىء تتحقق ماهيته بدونه ، كالتحرك بالإرادة بالنسبة للانسان أيضاً فانه لازم لحقيقته ، ولكن ماهيته تتحقق بدونه — فهو حيوان ناطق — فاذا تحققت الماهية عرض لها العرض اللازم ولزمها . وإنما اشتبها لأن كليهما لازم لحقيقة الشىء غير مفارق والتفرقة بينهما دقيقة راجعة إلى ما تقدم « عبد الخالق »

(٢) الحمد نقيض الذم كما أن الحازم ضد المفرط وحمده وأحمده وجده محموداً . وتقول لقينا فلانا فأحمدناه أو أذممناه أى وجدناه محموداً أو مذموماً وأتيت موضع كذا فأحمدته أى صادفته محمودا موافقا وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه

(٣) اللبوس : ما يلبس من الثياب والسلاح ، وتدرعه إذا لبسه وجعله درعا وجنة واقية — ومودة الأخيار درع حصينة من حوادث الدهر — والمشاهد يريد بها أمكنة الشهود والحضور ضد الغيبة

فِي الْمَشَاهِدِ سَابِقَةٍ ، أَوْ مَاتَّةٍ (١) قَائِدَةٍ ، أَوْ ذَرِيعَةٍ سَائِقَةٍ (٢) وَالتَّعَاضُدُ وَالتَّضَافُرُ سَابِقٌ لِلصِّفَةِ ،

وَإِنَّمَا لِلنُّفُوسِ سَرَائِرُ أَهْوَاءٍ (٣) تَحِنُّ إِلَى التَّدَانِي إِنْ تَبَاعَدَتِ الشُّعُوبُ وَتَنَازَحَتِ الدِّيَارُ ، كَمَا لِتَبَايُنِهَا أَسْبَابٌ تَتَنَافَرُ مِنْ أَجْلِهَا وَإِنْ تَقَارَبَتِ الْأَنْسَابُ ، وَتَنَازَحَتِ (٤)

---

(١) الماتة : الحرمة والوسيلة ، تقول أنا أمت إليك بوسيلة أو قرابة أو معرفة ونحو ذلك . والذريعة : الوسيلة يتوصل بها إلى الشيء ، يقول إن المعرفة والاتصال بين الانسان وأخيه تسهل إذا سبقها مشاهدة ورؤية فتكون هناك سابقة مودة تقود الانسان إلى التعرف وذريعة تسوقه إليه . ثم شرع يبين أن التعارف قد يكون روحياً تأتلف به الانفس وإن غابت الاجساد .

(٢) لو أردت أن أملأ هذا البياض بما يؤدى هذا المعنى بأيجاز بعبارة فيها تلك الكلمات المبعثرة فى البياض لقلت مثلا : لعل « التعاضد والتضافر » وعز به التعاون والتناصر ولما تم للارواح المؤتلفة أسس معرفة ، تعشقه الآذان « سابق للصفة » ونحو ذلك من الاسلوب المسجوع الذى يصح أن يربط الكلام بعضه ببعض ويصل سابقه بلاحقه ، وهو يشير فى كلامه هذا إلى الأثر المشهور : الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف . ونظمه فى قوله :

إن النفوس لأجناد مجندة — البيت ثم أتبعه بقوله :

فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

(٣) يشير إلى قول محمد بن وهب الحميرى فى مطلع قصيدة :

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكنوناتهن النواظر

(٤) تنازحت : تباعدت . والمقار جمع مقر : وهو المكان يقر فيه الانسان أى يثبت ويسكن

الْمَقَارُ (١) ، وَالْفَضَائِلُ الْفَاضِلِيَّةُ الْقَرِيرَةُ ، وَالْمَنَاقِبُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي قَدْ سَارَ ذِكْرُهَا فِي الْآفَاقِ سَيْرَ الْقَمَرِ ، وَعَطَّلَتْ مَزِيَّتُهَا مَرْوِيَّ السِّيَرِ ، وَتُلِيَتْ مَحَاسِنُهَا كَمَا تُتْلَى السُّوَرُ ، وَصَارَ الْفَوْزُ بِمُنَاسَمَةِ (٢) رَيَّاهَا مِنْ أَفْضَلِ مَا أَسْفَرَ عَنْهُ سَفَرٌ ، وَلَوْ عَايَنَهَا الصَّدْرُ الْأَوَّلُ لَمَدَحَ فِي دِرَاسَتِهَا السَّهَرَ ، وَمَا جَدَبَ (٣) السَّمَرَ ، فَلَا غَرْوَ أَنْ تَحِنَّ النُّفُوسُ إِلَى مَحَلِّ كَمَالِهَا ، وَمَأْوَى تَضَافُرِ أَضْدَادِهَا (٤) الَّتِي انْفَرَدَ بِجَمَالِهَا وَمَثْوَى مَوَاهِبِهَا الَّتِي هَبَطَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْمَحَلِّ

---

(١) هذا ينظر إلى قول أبي الفوارس الحمداني :

نسيبك من ناسبت بالود قلبه   وجارك من صافيته لا المصاقب

(٢) مناسمة : استنشاق ، وتنسم النسيم إذا تشممه كتنسم العليل والمحزون إياه فيجدان لذلك خفة وفرحا — والريا يريد بها الرائحة الذكية الطيبة

(٣) ما جدب السمر : أي ما عابه — وفي الحديث : أن عمر جدب السمر بعد العشاء أو بعد العتمة أي عابه وذمه « وفعله كنصر وضرب »

(٤) كذا بالاصل ، ويخيل إلي أنها مصحفة عن مثل « ومأوى فضائلها » وبه يتم المعنى ويستقيم موازنة الكلام مع « مثوى مواهبها » والمثوى : اسم مكان من ثوى أي أقام وثبت « أحمد يوسف نجاتي »

الْأَرْفَعِ (١) لَمَّا سُمِّيَ لَهَا وَسَمَا لَهَا (٢)، وَمَنْ هُوَ أَمِينُهَا (٣) الْمُصَدِّقُ لِظُنُونِهَا، وَيَمِينُهَا (٤) إِذَا كَانَ غَيْرُهُ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا، وَقَدْ

---

(١) يشير إلى قول الرئيس أبى على بن سينا فى مطلع قصيدته العينية المشهورة فى النفس :

هبطت إليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التى سفرت ولم تتبرقع

(٢) من قول الشاعر :

سموت فأدركت العلاء وإنما يلقى كريمات العلا من سمالها

(٣) يشير إلى قول الاول :

فدى نفسى وما ملكت يمينى
فوارس صدقت فيهم ظنونى

وإلى قول الآخر :

ومستخبر عن سر ليلى رددته
بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون أخبرنا فأنت أمينها
وما أنا إن أخبرتهم بأمين

(٤) يمينها هنا معناه يكذبها مقابل قوله « المصدق لظنونها » أما قوله وشمالها فان نصب — وهو ما يقتضيه قافية الفقرة — صح أن يكون معطوفا على محل جملة يمينها فهو خبر ثان لكان ، ويكون ملاحظاً فى هذا معنى قولهم فى اليمين والشمال فأنهم إذا قصدوا جعل الشىء فى جهة العناية جعلوه فى اليد اليمنى كما قال البحترى :

وإن يدى وقد أسندت أمرى
إليه اليوم فى يدك اليمين —

زَادَهَا إِفْرَاطَ(١) حُسْنِ التَّبْيَانُ ، فَلِلَّهِ دَرُّ ذَلِكَ الْبَيَانِ ،

— ومتى قصد خلاف ذلك جعل فى اليد اليسرى كما قال ابن ميادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى
فلا تجعلنى بعدها فى شمالك

أى كنت مكرما عندك فلا تجعلنى مهانا وكنت بالمكان الشريف منك فلا تحطنى إلى المنزل الوضيع — وقال أيضاً :

أبينى أفى يمنى يديك جعلتنى
فأفرح أو صيرتنى فى شمالك

أى أبينى منزلتى عندك أوضيعة هي أم رفيعة ؟ فذكر اليمين وجعلها بدلا من الرفعة والعناية والاهتمام ، وذكر الشمال وجعلها كناية عن الضعة والاهمال وعدم الاكتراث ويصح عطفه على قوله « يمينها بنصبه على الظرف » فيكون المخاطب الممدوح يميناً وشمالا للفضائل والمناقب ، يعنى أنه قوة لها لا تستغنى عنه — واليد الواحدة لا تصنق — وكل اعتمادها عليه . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) مأخوذ من قول البحترى فى قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان :

غرائب أخلاق هي الروض جادة
ملث الغزالى ذور باب وهيدب
فكم عجبت من ناظر متأمل
وكم حيرت من ناظر متعجب
وقد زادها إفراط حسن جوارها
خلائق أصفار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى
طوالع فى داج من الليل كوكب

ومن قول الآخر :

وما حسن الرجال لهم بحسن إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له بيان

فَلَكَمِ اُسْتَفَادَتْ حُجَّتُهُ إِلَى أَمْرِ اللهِ مِنَ الطَّوَائِفِ وَالْفِرَقِ[١]، وَكَمْ قَصَّ كِتَابُهُ[٢] مِنْ كَتَائِبِ الضَّلَالِ وَفَرَقَ.

ثُمَّ ذَكَرَ وَصْفَ بَلَاغَتِهِ بِمَا أَطَالَ فِيهِ، وَوَصَفَ الْبَحْرَ الَّذِي رَكِبَهُ حَتَّى خَلَصَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَرْسَلَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ[٣] مُسْتَخْرِجَةً لِلْإِذْنِ فِي الْحُضُورِ وَالتَّشَرُّفِ بِمَيْمُونِ اللِّقَاءِ، وَإِنْ زَاحَمَ بِهِ أَوْقَاتَ الطَّاعَاتِ وَمَوَاقِيتَ الْأَذْكَارِ. وَشَغَلَ عَلَى اخْتِصَارِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْمُهَامِّ وَالْأَوْطَارِ. وَلِلْمُتَوَكِّلِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ فِي ذَلِكَ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الْبِرِّ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي هَذَا

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فأن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » يريد الكاتب أن يمدح القاضى الفاضل أنه نصر بلسانه الدين وأيده بقوة حجته وحسن بيانه وبلاغته، ورد به على الفرق الزائغة فأدحض حجتها ومزق مكانتها

(٢) كان فيه تورية يريد قص بمعنى قطع أو تتبع، وورى عنه بالمتبادر أولا وهو قص الخبر عليه إذا أعلمه به — وفرق بين الشيئين فصل — وفرق البحر فلقه وشقه وجعله فرقا وأقساما — والتفريق التخريق، وفرق له عن الشىء إذا بينه له، وكل هذه المعانى محتملة هنا « احمد يوسف نجاتى »

(٣) كان المحدثون يطلقون لفظ « خدمة » على الرسالة يبعث بها الكاتب إلى عظيم وكثر ذلك فى كتاب المتأخرين من حلية القاضى الفاضل ومن بعده. وارجع الى مثل كتاب ثمرات الاوراق وصبح الاعشى ونحوهما تجد الاستعمال شائعاً.

الطَّرَفِ لِقَاطِنِيهِ وَطَارِقِيهِ كَالْأَبِ الْبَرِّ . وَالْمَنْشُودُ مِنَ الْأَرْيَحِيَّةِ (١) الْكَرِيمَةِ إِكْرَامُ مَثْوَى خِدْمَتِهِ ، وَتَلَقِّيهَا بِمَا يُزِيلُ عَنْهَا انْقِبَاضَ الْغَرِيبِ وَوَحْشَتَهُ ، وَحَيْرَةَ الْقَادِمِ وَدَهْشَتَهُ ، فَعِنْدَهُ حَيَاءٌ طَبِيعِيٌّ لِعِلَّةٍ مُتَجَاوِزَةٍ لِلْقَدْرِ الْمَحْمُودِ (٢) غُذِيتُ بِهِ طِفْلًا ، فَإِنْ رُمْتُ غَيْرَهُ عَصَانِي وَأَغْرَتْنِي بِهِ أُلْفَةُ الْمَهْدِ .
وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْحُضُورِ عِنْدَهُ رُقْعَةً مِنْهَا :

وَحَضَرَ الشَّيْخَ النَّفِيسَ وَصُحْبَتَهُ مَا قَابَلَ كَرِيمَ الاهْتِمَامِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَثْنِيَةِ (٣) بِمَا لَا يَزَالُ يُوَالِيهِ وَيَرْفَعُهُ وَيُهْدِيهِ ، وَلَقَدْ أَخْجَلَهُ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِي صُورَةِ مُثْقِلٍ ، أَوْ يُرَى بِعَيْنِ غَيْرِ مُوَحِّدٍ فِي دِينِ هَوَاهُ مُتَنَقِّلٍ . وَمُقْتَرَحُهُ أَنْ يُخَصَّ مِنْ حُسْنِ الرَّأْيِ الْعَالِي بِشِعَارٍ يُبْهِجُ

---

(١) الأريحية : خفة تحمل المرء على المروءة وهزة لها ، ورجل أريحي أي واسع الخلق ينبسط إلى المعروف ويهش للندى ويرتاح للجميل والكرم

(٢) في الاصل المحدود ، وفي الهامد « المحمود » وقد يكون الاصل : المحمود الحد أو للقدر المحمود الغاية التي تفوت الحد «مثلا» لتوافق قافية الفقرة بعدها « المهد » فأن الكاتب كما ترى قد التزم السجع وعني بمحسنات بديعية أخرى من الترصيع والازدواج والتورية والجناس والطباق والتوجيه « احمد يوسف نجاتي »

(٣) الأثنية جمع ثناء ، « ويرفعه » يعود إلى الادعية ويهديه يعود إلى « الاثنية »

وَلاَ يُنْهِجُ (١) ، وَيَشْرَعُ لَهُ سَبِيلاً فِى الْفَخْرِ وَيُنْهِجُ ، وَأَنْ يُشِيرَ بِأَسْطُرٍ بِالْخَطِّ الْكَرِيمِ يَفُوقُ الْمَالَ ، وَيَبْقَى الْجَمَالُ ، فَأَبْقَى السِّمَاتِ مَا خَطَّتْهُ يَمِينُهُ ، وَأَثْبَتُ الصِّفَاتِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ تَزْيِينُهُ ، وَأَزْكَى الشَّهَادَاتِ مَا تَطَوَّعَ بِهِ كَرَمُهُ ، وَأَعْطَرُ رِيَاضِ الْحَمْدِ مَا أَنْبَتَتْهُ دِيَمُهُ (٢) . وَقَدْ حَصَلَ الْخَادِمُ بَيْنَ نِزَاعٍ يَحُضُّهُ عَلَى حُضُورِ الْخِدْمَةِ وَيُنَشِّطُهُ ، وَخَوْفِ إِبْرَامٍ (٣) يَقْبِضُهُ وَيُثَبِّطُهُ . وَقَدْ تَرْجَمَ عَنْ حَالِهِ هَذِهِ بِأَبْيَاتِ الشَّاعِرِ أَبِى عَبْدِ اللهِ وَهِىَ :

---

(١) ينهج : أى يفرح ويسر . ولا ينهج : من أنهج البلى الثوب اذا أخلقه ، أومن أنهجه جعله ينهج : أى يبهر ويتتابع نفسه ، وأنهج الدابة إذا سار عليها حتى انبهرت وأعيت . وأما ينهج ، الثانى فمن أنهج الطريق أو الامر ، أى أبانه وأوضحه

(٢) الديم جمع ديمة : وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق

(٣) أى تثقيل . والمبرم: الثقيل. والغث الحديث الذى يصدع رأس جليسه بأحاديث فاترة لا فائدة منها ولامعنى لها ، وكأنه أخذ من المبرم وهو الذى يقتلع الحجارة من الجبال ، أو من المبرم وهو الذى يجنى ثمر الاراك لا طعم له ولا حلاوة ولا حموضة ولا معنى ، وقال الاصمعى : المبرم الذى هو كل على صاحبه لا نفع عنده ولا خير بمنزلة البرم الذى لايدخل مع القوم فى الميسر ويأكل معهم من لحمه

حَالَةٌ قَدْ حَصَلْتُ لِلْخَوْفِ مِنْهَا
حَوْلَ دَارِ الْأُسْتَاذِ فِي عَشْوَاءِ (١)

إِنْ تَأَخَّرْتُ أَوْ تَقَدَّمْتُ فِيهَا
سَاءَ ظَنِّي فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِرَائِي (٢)

لَسْتُ أَدْرِي مِنَ الضَّلَالِ أَقُدَّا
مِي خَيْرٌ فِي ذَاكَ أَمْ مِنْ وَرَائِي ؟

---

(١) من قولهم : ركب فلان العشواء إذا خبط أمره وحار فيه وركبه على غير بصيرة ولا هدى ولا بيان أو حمله على أمر غير مستبين الرشد فربما كان فيه ضلالة ، وأصله من العشواء وهي الناقة التي لا تبصر ما أمامها فهى تخبط بيديها كل شيء ولا تتعهد مواضع خفافها — أو من عشواء الليل أى ظلماته وقد يضرب هذا مثلا للشارد الذى يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته — والعشوة ركوب الأمر على غير بيان وبصيرة ، يقال أوطأتنى عشوة أى أمرا ملتبسا وذلك إذا أخبرتهم بما أوقعتهم به فى حيرة أو بلية « عبد الخالق »

(٢) الراء لغة فى الرأى من راء يراء لغة فى رأى والاسم منه الرأى والراء ، قال الشاعر :

أمرتنى بنزول البحر أركبه
غيرى لك الخير فاخصصه بذا الراء
ما أنت نوح فتنجينى سفينته
ولا المسيح أنا أمشى على الماء

والبيتان لابى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الشاعر الضرير ابن خالة أبى إسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب . ويروى . بذا الداء بدل الراء فلا شاهد فيه

« أحمد يوسف نجاتى »

أُوثِرُ الخِدْمَةَ الَّتِي تُؤْثِرُ اسْمِي[1]
عِنْدَكُمْ فِي جَرِيدَةِ الْأَوْلِيَاءِ

ثُمَّ أَخْشَى أَنِّي أُعَدُّ إِذَا جِئْـ
ـتُ مِنَ الْمُبْرِمِينَ وَالثُّقَلَاءِ

قَدْ تَحَيَّرْتُ فَاجْعَلُوا أَنْتُمُ اسْمِي
حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ

وَمِنْ خَطِّهِ : وَمِنْ عَبَثِ الْخَاطِرِ وَهَوَسِهِ أَبْيَاتٌ تَشَوَّفْتُ[2] فِيهَا الْحِجَازَ بَعْدَ مُجَاوَرَتِي بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِمَكَّةَ — قَدَّسَهَا اللهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَهِيَ :

---

(١) يؤثر الخدمة أى يفضلها ويقدمها فى رأيه ، ويؤثر اسمه أى يكرمه ويجعله أثيراً أى يجعله مكينا مكرما وقد يكون « تأثر » من أثر الحديث عن القوم إذا نقله ورواه وقيده والجريدة لفظ استعمله المولدون بمعنى دفتر أرزاق الجند وهي صحيفة حررت لبعض الامور أخذت من جريدة الخيل وهي التى حررت لوجه ، ثم توسع فيه فأطلق على كل دفتر أو صحيفة «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) فى الاصل : تشرفت

خَلِيلَيَّ هَلْ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ وَقْفَةٌ
بِخَيْفِ (١) مِنًى وَالسَّامِرُونَ هُجُوعُ ؟
وَهَلْ لِلُيَيْلَاتِ (٢) الْمُحَصَّبِ عَوْدَةٌ
وَعَيْشٍ مَضَى بِالْمَأْزِمَيْنِ (٣) رُجُوعُ ؟
وَهَلْ سَرْحَةٌ (٤) بِالسَّفْحِ مِنْ أَيْمَنِ الصَّفَا
رَعَتْ مِنْ عُهُودِي مَا أَضَاعَ مُضِيعُ ؟

(١) الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه : خيف منى ، وهو فى سفح جبل منى غرة بيضاء فى جبل الاسود الذى خلف جبل أبى قبيس ، وبها سمى مسجد الخيف . أو لانها خيف أى ناحية من منى

(٢) لييلات : تصغير ليلات ، أى ليلات قليلة ، والمحصب : موضع رمي الجمار فى منى والمحصب أيضاً : موضع بين مكة ومنى وإلى منى أقرب وهو بطحاء مكة ، وهو من الحصب أى الرمي بالحصباء أى صغار الحصى — وفى محصب منى يقول عمر بن أبى ربيعة :

نظرت إليها بالمحصب من منى … ولى نظر لولا التحرج عازم

وفى الخيف يقول نصيب أو المجنون :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة … بخيف منى ترمي جمار المحصب
ويبدى الحصا منها إذا قذفت به … من البرد أطراف البنان المخضب

وفى الهامش لعله : لليال بالمحصب (٣) المأزمان موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين وبه المسجد الذى يجمع فيه الامام بين الصلاتين الظهر والعصر — وأصل المأزم الطريق الضيق بين الجبال (٤) السرحة وجمعه سرح : شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل فيه ، وينبت بنجد فى السهل والغلظ ولا ينبت فى رمل ولا جبل . أو هو كل شجر طال . وقال أبو حنيفة الدينورى : السرحة : روضة محلال واسعة يحل تحتها الناس فى الصيف ويبنون تحتها البيوت وظلها صالح — قال الشاعر : —

وَهَلْ قُوِّضَتْ خَيْمٌ عَلَى أَبْرَقِ (١) الْحِمَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ غَدْرِ الزَّمَانِ بَدِيعُ ؟

وَهَلْ تَرِدَنْ مَاءً بِشِعْبِ (٢) ابْنِ عَامِرٍ
حَوَائِمُ لَوْ يُقْضَى لَهُنَّ شُرُوعُ ؟

— فيا سرحة الركبان ظلك بارد وماؤك عذب لا يحل لوارد
والعرب تكنى عن المرأة بالسرحة ولعل هذا البيت منه ، وكذا قول الشاعر :
يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود ؟
لحائم حام حتى لا حراك به محلأ عن ورود الماء مطرود
وقال حميد بن ثور :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه تروق

وسفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء — والصفا مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الاسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الابرق : موضع فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — والحمى أصله فى اللغة : الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه — وإذا أطلق « الحمى » ينصرف الى « حمى ضرية » الذى سار ذكره وعرف أمره وضرية : قرية عامرة فى طريق مكة من البصرة من نجد لها حاج بالبصرة وكذلك حمى الربذة من قرى المدينة

(٢) شعب ابن عامر ماء أوله الأبلة « بلدة على شاطىء دجلة والبصرة وهى أقدم من من البصرة » وكانت الأبلة تعد من جنان الدنيا وفى شعب ابن عامر يقول الشاعر :
إذا جئت بان الشعب شعب ابن عامر فاقرىء غزال الشعب منى سلاميا
الحوائم : العطاش وحوائم جمع حائمة مؤنث حائم ولعله يريد الاكباد الحرى والحائم العطشان الذى يحوم حول الماء . هذا أصله ، ثم كثر استعماله حتى صار كل عطشان حائماً والشروع الورود : يريد أنمى لو يقضى الخ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا عَارِضٌ مِنْ طَمَاعَةٍ
لَهُ بِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ وُلُوعُ
وَإِنِّي مَتَى أَعْصِ التَّجَلُّدَ وَالْأَسَى
فَلِلشَّوْقِ مِنِّي وَالْغَرَامِ مُطِيعُ
فَيَا جِيرَتِي إِذْ لِلزَّمَانِ نَضَارَةٌ
وَعُودِي نُضَارٌ (١) وَالْخِيَامُ جَمِيعُ
بِنَعْمَانَ (٢) وَالْأَيَّامُ فِينَا حَمِيدَةٌ
وَوَادِي الْهَوَى لِلنَّازِلِينَ مَرِيعُ

---

(١) العود النضار « بضم النون » المتشعبة الغصون والطويل بمعنى النضير من النضرة وهو النعمة والحسن والرونق — وجميع بمعنى مجتمعة

(٢) ونعمان : واد ينبت الاراك ويصب إلى ودان بلد غزاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين مكة والطائف وفيه يقول أبو العميثل :

أما والراقصات بذات عرق ومن صلى بنعمان الاراك
لقد أضمرت حبك فى فؤادى وما أضمرت حباً من سواك

وهناك نعمان آخر بالشام . مريع أى خصيب من مرع الوادى : كثر به الخصب والكلأ ويقال فى المثل : ومرع واديه يضرب لمن اتسع أمره واستغنى

« أحمد يوسف نجاتى »

وَمَا أَزْمَعَ الْحَىُّ الْيَمَانُونَ نِيَّةً
وَلَا رِيعَ [١] بِالْبَيْنِ الْمُشِتِّ مَرُوعُ

كَفَى حَزَنًا أَنِّى أَبِيتُ وَبَيْنَنَا
مِنَ الْبِيدِ [٢] مَعْدُوُّ [٢] الْفِجَاجِ وَسِيعُ

أُعَالِجُ نَفْسًا قَدْ تَوَلَّى بِهَا الْأَسَى
وَطَرْفًا يَجِفُّ الْمُزْنُ [٣] وَهْوَ هَمُوعُ

وَمِنْ خَطِّهِ أَيْضًا بَيْتَانِ صَدَّرْتُ بِهِمَا كِتَابًا فِى هَذِهِ الرُّقْعَةِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ بِمَكَّةَ — حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى — :

أَلَا قُلْ لِجِيرَانِ الصَّفَا لَيْتَ دَاعِيَ التْـ
تَفَرُّقِ أُعْمِيَ يَوْمَ رَاحَ مُنَادِيَا

---

(١) ريع : مجهول راعه الشىء : أى أفزعه وأخافه فهو مروع أى مخوف ، والبين : الفراق والبعد . والمشت : المفرق المشتت (٢) البيد : جمع بيداء ، وهي الفلاة، ومعدو: من عداه إذا تجاوزه إلى غيره وتركه ، أو من عداه إذا منعه ، يريد أن هذه البيد غير مطروقة ولا مسلوكة بل يعدوها السابلة إلى غيرها خشية أهوالها وخوف الضلال فيها ، والفجاج جمع فج : وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين أو ما انخفض من الطرق « عبد الخالق »

(٣) المزن : السحاب أو أبيضه ، أو ذو الماء ، واحده مزنة ، وهى القطعة منه ، والمطرة . والهموع : السيال الكثير

لَعَمْرِى لَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ وَدَاعِكُمْ
بِشِعْبِ (١) الْمُنَقَّى شُعْبَةً مِنْ فُؤَادِيَا

وَمِنْ خَطِّهِ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الْفَاضِلِ أَيْضاً يَسْأَلُهُ شَيْئاً مِنْ رَسَائِلِهِ ، قَالَ فِي آخِرِهَا : فَصَارَ مَثَلَ الْعَوَارِفِ (٢) الَّتِي قَدِ اقْتَصَرَ فِي ذِكْرِهَا عَلَى الْإِيمَاءِ وُقُوفاً مَعَ مَحْتِدِ (٣) سَيِّدِنَا — « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ » — مَبْسُوطَ الْيَدِ فِي عِبَادِ اللهِ بِالْفَرْضِ (٤) ، مُقْرِضاً لَهُ عَنَاءَ هَمِّهِ فِيهِمْ أَحْسَنَ

(١) الشعب : فى الأصل مسيل الماء فى بطن من الارض . وشعب المنق : مكان بين أحد والمدينة وهو طريق للعرب إلى الشام كان فى الجاهلية يسكنه أهل تهامة

(٢) العوارف جمع عارفة : وهى المعروف والصنيعة (٣) المحتد : الطبع ، يقال : رجع إلى محتده إذا فعل شيئاً يناسب طبعه وعدل إليه عن غيره مما لا يلائمه — وفى بعض المراجع « محبة » يعنى الكاتب أنه اقتصر فى تعداد هذه العوارف على الاشارة إليها مراعاة الطبع لممدوح « القاضى الفاضل » وإيثارا لما يحبه ويميل اليه من عدم الاشارة بذكر صنائعه حتى لا يظن فيه الامتنان بها

« أحمد يوسف نجاتى »

(٤) الفرض : العطية المرسومة ، يقال : ما أصبت منه فرضاً ولا قرضاً — والفرض أيضا ما أوجبه الكريم على نفسه فوهبه لغيره وجاد به على من يستحقه لغير ثواب أو انتظار عوض — والقرض ما أعطاه ليكافأ عليه أو ليسترده بعينه ، قال الحكم بن عبدل :

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتى ... وأدرك ميسور الغنى ومعى عرضى
وما نالها حتى تجلت وأسفرت ... أخو ثقة منى بقرض ولا فرض

« عبد الخالق »

القَرْضِ (١) ، مُنْجِزاً لَهُمْ مَا وَعَدَ . «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» عِنْدَ الْخَادِمِ . وَمَثَلُهُ كَالْبَيْتِ مِنَ الْقَرِيضِ قَبْلَ الْقَافِيَةِ ، وَالْمَرِيضِ الَّذِي مَطَلَتْهُ الْأَيَّامُ بِالْعَافِيَةِ ، فَلَا يَكْمُلُ ذَاكَ وَلَا يَرُوقُ ، وَلَا يَتَطَرَّبُ بِهِ الْمَشُوقُ ، وَلَا يَتَرَنَّمُ بِهِ الْكَئِيبُ ، وَلَا يَتَسَلَّى بِهِ الْغَرِيبُ دُونَ تَمَامِهِ ، وَتَكَافُؤِ أَجْزَاءِ نِظَامِهِ ، وَعَبَقِهِ بِمِسْكِ خِتَامِهِ ، وَلَا يُحِسُّ هَذَا بِلَذَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ — وَإِنْ شَرُفَتْ — حَتَّى يَجِدَ رُوحُهُ رُوحَ الشِّفَاءِ فَيُدْرِكَ مَزِيَّتَهَا بِطُرُقِ الصِّحَّةِ ، وَمُرُوءَتَهَا بِجَاسَّةِ سَمْعِهَا ، وَتُسَاعِفَهُ الْأَقْدَارُ بِتَكْمِيلِهَا لَكَ وَجَمْعِهَا .

وَمَا أَسَفِي إِلَّا عَلَيْهَا فَإِنَّنِي
بِقِرْطَاسِهَا لَا بِالدَّنَانِيرِ أَكْلَفُ (٢)

---

(١) يشير الى قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »

(٢) كلف بالشىء « كفرح » إذا أولع به واشتد غرامه ولهج بذكره

فَجُدْ لِي بِمَا أَهْوَاهُ مِنْهَا فَإِنَّنِي
سَأُلْحِفُ فِي اسْتِيهَابِهَا وَأُكَلِّفُ (١)

وَمَا هَذِهِ الْأَهْوَاءُ إِلَّا غَرَائِزٌ
قَبِيحٌ لَدَى نُقَّادِهَا الْمُتَكَلِّفُ (٢)

وَإِنْ كَانَ الْخَادِمُ عَنْ حَالِ مَنْ شَرُفَ بِهَذَا مِنْ أَفْنَاءٍ (٣)

---

(١) من كلفه الأمر فتكلفه : إذا جشمه على مشقة وعلى خلاف عادة ـ يعنى أن الشاعر سيلح فى طلب هذه الهبة « الرسائل » من القاضى الفاضل ويكلف نفسه فى هذا الالحاح والالحاف الذى لم يألفه ما يشق عليها لنفاسة المطلوب وعزته حتى لا يبالى أن يراق فى طلبه ماء الوجه فعلى قدر المطلوب يكون الجهد « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هذا مثل قول الشاعر :

دع التخلق يبعد عنك أوله إن التخلق يأتى دونه الخلق

(٣) الأفناء من الناس : الأخلاط واحدة « فنو » بكسر الفاء وأكثر ما يستعمل فى الجماعة : فيقال هؤلاء القوم من أفناء الناس ، يعنى أنهم قوم نزاع من هنا وههنا ، وقال الحطيئة :

وتعذلنى أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد

وكان الكاتب يريد أن يتواضع لمقام القاضى الفاضل ويقول : إن كنت بالنسبة لمن شرف بالحظوة برسائل الممدوح أعد من أخلاط الناس وعامتهم ، لا من خواصهم الذين يدركون بلاغة هذه الرسائل ، ويحق لهم أن يفوزوا بأهدائها لمعرفتهم قيمتها ، فليس لى أن أعترض على هذا الايثار بل ليس لى إلا التسليم بما يراه الفاضل الذى تبين أقدار الناس عنده وتتفاوت مراتبهم لديه بما يشرفهم به من رسائله السامية — وهو تواضع فيه شىء من للتعريض والاغراء حتى يبادر الفاضل بأهدائه ما يريد خشية أن يظن السائل أن القاضى يراه كما يصف نفسه وقد يحتمل الكلام معنى آخر وهو ظاهر

« أحمد يوسف نجاتى »

النَّاسِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ بِعُدَّتِهِ الاِسْتِئْنَاسُ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُعْتَرِضاً ، وَلَا أَنْ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِغَيْرِ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ، فَإِنَّ الْخِدْمَةَ السَّامِيَةَ هِيَ الَّتِي تَبَيَّنُ لَدَيْهَا الْأَقْدَارُ ، وَبِأَفْعَالِهَا تَتَرَتَّبُ الْمَنَازِلُ وَتَتَفَاتُ الْأَخْطَارُ .

وَكُنْتُ عِنْدَ كَوْنِي بِمَرْوَ(١) عَرَضَ عَلَيَّ شَيْخُنَا فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ تَاجِ الْإِسْلَامِ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ(٢)

---

(١) مرو : كانت أشهر مدن خراسان وقصبتها وتسمى مرو الشاهجان « والشاهجان لفظ فارسى معناه نفس السلطان ، وجان = نفس أو روح . وشاه = سلطان » سميت بذلك لجلالتها عندهم ، وقد أخرجت مدينة مرو من الاعيان وعلماء الدين وأقطاب الشريعة ماقل أن تخرجه مدينة أخرى . وقد كان مؤلف الكتاب بها سنة ٦١٦ وأقام فيها ثلاثة أعوام ، ويقول : ولولا ماعرا من ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها مافارقتها إلى الممات لما فى أهلها من الرفد ولين الجانب ، وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فأنى فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة . . . ثم قال وكانت « أى الكتب » سهلة التناول لايفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها وأنسانى حبها كل بلد ، وألهانى عن الاهل والولد . إلى أن خرجت عنها مفارقا ، وإلى تلك المواطن ملتفتا وامقا الخ

(٢) هو أبو المظفر فخر الدين عبد الرحيم بن الحافظ أبى سعيد عبد الكريم بن الحافظ أبى بكر محمد بن الامام أبى المظفر منصور بن محمد التميمى المروزى الشافعى الفقيه المحدث ولد سنة ٥٣٧ وتضلع من علوم الشريعة وروى جل كتبها القيمة ورحل الناس إليه ورووا عنه وانتهت اليه رياسة الشافعية ببلده . توفى عند دخول التتار بلاد خراسان وإبادتهم العباد والبلاد وإهلاكهم الحرث والنسل ، وذلك سنة ٦١٧ « أحمد يوسف نجاتى »

— تَغَمَّدَهُمَا اللهُ بِرَحْمَتِهِ — جُزْءًا يَشْتَمِلُ عَلَى رَسَائِلَ لِلْحَسَنِ الْقَطَّانِ إِلَى الرَّشِيدِ الْوَطْوَاطِ(١) مَحْشُوَّةً بِالسَّبِّ لَهُ وَالثَّلْبِ(٢) تَصْرِيحًا لَا تَعْرِيضًا، وَيُلْزِمُهُ الْحُجَّةَ فِي أَنَّهُ نَهَبَ كُتُبَهُ، وَسَلَبَهُ نَتِيجَةَ عُمْرِهِ، وَيَسْتَحْسِبُ(٣) اللهَ عَلَيْهِ. وَضَاقَ نِطَاقُ الزَّمَانِ مِنْ تَحْصِيلِهَا وَكَتْبِهَا، وَقُلْتُ:

وَكَمْ مُنْيَةٍ خَلَّفْتُ خَلْفِي وَبُغْيَةٍ
وَمِنْ حَاجِ نَفْسٍ حَالَ مِنْ دُونِهَا التَّرْكُ

(١) هو الكاتب المشهور محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كان من أفراد عصره جامعا بين جودة المنثور والمنظوم خبيرا باللغة وعلومها وآدابها واقفا على أسرار بلاغتها ودلائل أعجازها ملما باللغة الفارسية فجمع بذلك بين عزيمتين ونال باتقان اللغتين الحسنيين ولد بمدينة بلخ بخوارزم سنة ٥٧٣ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) ثلبه «كضرب» إذا لامه وعابه وصرح بسبه وقال فيه وتنقصه، أو الثلب: وشدة اللوم والاخذ باللسان وثلم الاعراض، ويقال: ما اشتهى الثلب إلا من أشبه الكلب

(٣) من قولهم: حسيبه الله أى طلب من الله مجازاته وحسابه وحسبه الله أى انتقم منه، وقال الفراء فى قوله تعالى: «وكفى بالله حسيبا»، وقوله تعالى: إن الله على كل شىء حسيبا»: أى مجازيا ومحاسبا، ومن ذلك: احتسب فلان على زيد عمله: إذا أنكر عليه قبيح فعله

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ حَنَّتْ وَأَرْزَمَتْ(١)

وَوَدَّتْ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَدْرَكَهَا الْفَتْكُ(٢)

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَقُدِّسَتْ

نُفُوسٌ بِمَثْوَاهَا(٣) ثَوَى الْعِلْمُ وَالنُّسْكُ

وَبَقِيَتْ نَفْسِي إِلَيْهَا مُتَطَلِّعَةً، وَإِلَى مَكْنُونِهَا مُتَلَفِّتَةً، فَظَفِرَتْ بِرَسَائِلِ الرَّشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْعُمَرِيِّ الْبَلْخِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْوَطْوَاطِ، مُتَضَمِّنَةً لِأَجْوِبَةٍ يَدُلُّ آخِرُهَا عَلَى إِضْرَابِ الْقَطَّانِ عَنْ تُهْمَتِهِ، وَالْإِذْعَانِ بِإِبْرَاءِ سَاحَتِهِ:

نُسْخَةُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: قَرَعَ سَمْعِي مِنْ أَفْوَاهِ الْوَارِدِينَ وَأَلْسِنَةِ الطَّارِئِينَ عَلَى خُوَارِزْمَ أَنَّ سَيِّدَنَا ـ أَدَامَ اللهُ

---

(١) أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها وكان لها صوت (٢) يريد لو أدركها الفتك، وقد عوملت «لو» هنا معاملة «أن» فحذفت لانها مصدرية مثلها. ولو قال: لو نالها الفتك لكان أسلم «عبد الخالق» (٣) المثوى مصدر ثوى يعني موتها —

فَضْلَهُ ـ كُلَّمَا تَفَرَّغَ(١) مِنْ مُهِمَّاتِ نَفْسِهِ ، وَوَظَائِفِ دَرْسِهِ أَقْبَلَ بِمَجَامِعِهِ عَلَى أَكْلِ لَحْمِى ، وَالْإِطْنَابِ فِى سَبِّى وَشَتْمِى ، وَيَنْسُبُنِى إِلَى الْإِغَارَةِ عَلَى كُتُبِهِ ، وَيُبَالِغُ فِى هَتْكِ أَسْتَارِ الْكَرَمِ وَحُجُبِهِ . أَهَـذَا يَلِيقُ بِالْفَضْلِ وَالْمُرُوَّةِ ؟ أَوْ يَجْمُلُ بِالْكَرَمِ وَالْفُتُوَّةِ أَنْ يَفْتَرِىَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِمِثْلِ هَذَا الْكَذِبِ الْمُقْلِقِ ، وَالْبُهْتَانِ الْمُؤْلِمِ ، وَاللهِ إِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ يَوْمَ النُّشُورِ ، وَبُعِثَتْ هَـذِهِ الرِّمَمُ الْبَالِيَةُ ، مِنَ الْأَجْدَاثِ مُتَدَرِّعَةً مَلَابِسَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ ، وَجُمِعَتْ عِبَادُ اللهِ فِى مَوَاقِفِ الْعَرَصَاتِ(٢) ، وَتَطَايَرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَسُئِلَتْ كُلُّ نَفْسٍ عَمَّا كَسَبَتْ ، فَمِنْ مُسِىءٍ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ ، وَمِنْ

---

(١) كلما تفرغ : هكذا فى الاصل وفى العماد وفى رسائل الوطواط ، وكلما أداة استغراقية لا يليها إلا الماضى كقوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه — كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » إلى غير ذلك من الشواهد ، وأنى ألفت نظر بعض الناشئين إلى هذا الاستعمال ليحتذوه « عبد الخالق »

(٢) جمع عرصة : البقعة الواسعة ليس فيها بناء

مُحْسِنٍ يُحْمَلُ عَلَى أَعْطَافِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْجَنَّةِ (١)، لَمْ يَتَعَلَّقْ فِى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْهَائِلِ أَحَدٌ بِذَيْلِى طَالِباً مِنِّى مُلْكاً غَصَبْتُهُ، وَلَا مَالًا نَهَبْتُهُ، أَوْ دَماً سَفَكْتُهُ، أَوْ سِتْراً هَتَكْتُهُ، أَوْ شَخْصاً قَتَلْتُهُ، أَوْ حَقًّا أَبْطَلْتُهُ، وَهَأَنَذَا قَدْ آتَانِى اللهُ مِنَ الْوَجْهِ الْحَلَالِ قَرِيباً مِنْ أَلْفِ مُجَلَّدٍ مِنَ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ، وَالدَّفَاتِرِ الْفَائِقَةِ، وَالنُّسَخِ الشَّرِيفَةِ، وَوَقَفْتُ كُلَّهَا عَلَى خَزَائِنِ الْكُتُبِ الْمَبْنِيَّةِ فِى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ـ عَمَّرَهَا اللهُ ـ لِيَنْتَفِعَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا، وَمَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ هَكَذَا كَيْفَ يَسْتَجِيزُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُغِيرَ عَلَى كُتُبِ إِمَامٍ مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ، أَنْفَقَ جَمِيعَ عُمُرِهِ حَتَّى حَصَّلَ أَوْرَاقاً يَسِيرَةً، لَوْ بِيعَتْ فِى الْأَسْوَاقِ لَمَا أُحْضِرَ بِثَمَنِهَا مَائِدَةُ لَئِيمٍ، اللهَ اللهَ، لَا يَفْتَرِيَنَّ سَيِّدُنَا — أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ —، فَافْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى مِثْلِى ذَنْبٌ يَتَعَثَّرُ فِى أَذْيَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلْيَخَافَنَّ اللهَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلْيَتَذَكَّرَنَّ يَوْماً يُثَابُ

(١) لا يخفى أنه استعان فى هذه الرسالة السهلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف

الصَّادِقُ فِيهِ عَلَى صِدْقِهِ ، وَيُعَاقَبُ الْكَاذِبُ عَلَى كَذِبِهِ ، وَالسَّلَامُ . فَوَرَدَ عَلَى الرَّشِيدِ جَوَابٌ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَكُونُ فِي نَحْوِ كُرَّاسَتَيْنِ يُغْلِظُ لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَيُصَرِّحُ فِيهِ بِالسَّبِّ وَالتُّهْمَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وَرَدَ كِتَابُ سَيِّدِنَا — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — فِي دَوْلَةٍ مُفْتَرَّةِ[1] الْمَبَاسِمِ ، وَنِعْمَةٍ مُتَجَدِّدَةِ الْمَرَاسِمِ — مُشْتَمِلًا مِنَ الْإِيذَاءِ وَالْإِيحَاشِ ، وَالْإِبْذَاءِ[2] وَالْإِفْحَاشِ عَلَى كَلِمَاتٍ ، بَلْ عَلَى ظُلُمَاتٍ ، لَوْ أَطْفَأَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - بَعْضَ لَهَبِهِ ، وَسَكَّنَ نَائِرَةَ[3] غَضَبِهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ مُتَصَفِّحًا لِأَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ ، مُتَفَحِّصًا عَنْ مَقَاطِعِهِ وَمَبَانِيهِ ، لَمَا ارْتَضَى ذَلِكَ مِنْ دِينِهِ وَعَقْلِهِ ، وَلَمَا

---

(١) افتر : أى ضحك ضحكا حسنا ، وأبدى أسنانه ، وافتر عن ثغره : إذا تبسم ضاحكا ومنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم : ويفتر عن مثل حب الغمام ، أى يكشف إذا تبسم فى غير قهقهة . عن مثل حب الغمام (٢) من البذاءة : وهى الأفحاش فى القول ، والبذىء : الرجل الفاحش ، وبذا عليهم وأبذاهم : إذا تكلم بكلام قبيح مفحش

(٣) النائرة : العداوة والشحناء ونائرة : الحرب شرها وهيجها ، من نارت الفتنة : وقعت وانتشرت فهى نائرة .

أَسْتَحْسَنَهُ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، إِلَّا أَنِّى أَعْذِرُهُ فِيمَا قَالَ ، قَصُرَ كَلَامُهُ أَوْ طَالَ ، لِعِلْمِى أَنَّهُ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ مَسْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، جَرِيحُ أَسِنَّةِ الْقَهْرِ ، طَرِيحُ صَدَمَاتِ الدَّهْرِ ، عَضَّتْهُ أَنْيَابُ النَّوَائِبِ ، وَخَدَشَتْهُ أَظْفَارُ الْمَصَائِبِ ، نُهِبَتْ كُتُبُهُ وَأَمْوَالُهُ ، وَغُصِبَتْ رِحَالُهُ[1] وَأَثْقَالُهُ ، وَطَالِبُ الثَّأْرِ يَقْصِدُ كُلَّ رَاجِلٍ وَفَارِسٍ ، وَصَاحِبُ الضَّالَّةِ يَتَّهِمُ كُلَّ قَائِمٍ وَجَالِسٍ ، وَلَقَدْ عَلِمَ سَيِّدُنَا ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ أَنَّ وَقْعَةَ مَرْوٍ[2] عَمَرَهَا اللهُ كَانَتْ وَاقِعَةً عَامَّةً ، شَمِلَتْ كُلَّ جَبْهَةٍ[3] وَحَافِرٍ ، وَطَبَقَتْ كُلَّ صَائِحٍ[4] وَصَافِرٍ[5] ، وَكَانَ قَدْ لَحِقَتْ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ بِعَسْكَرِ

---

(١) أثقال جمع ثقل « بفتحتين » : وهو متاع المسافر وأدواته وحشمه ، وكل شىء خطير نفيس مصون له قدر وقيمة ، ورحل الرجل : منزله وبيته وما يستصحبه من الأثاث والمتاع

(٢) أظنه يريد حوادث التتار (٣) يريد العموم والشمول ، وبالجبهة ماعلا ، وبالحافر : ماسفل ، أو كنى بالجبهة عن الناس ، وبالحافر عن الحيوان ، أو أراد بالجبهة : سادة الناس وسروات القوم ووجوههم ، وبالحافر : الطبقات الدنيا منهم .

(٤) يريد كذلك العموم والشمول ، وأنهم لم يبقوا على شىء . فكنى بالصائح عن أنواع الحيوان . والصافر : كل ذى صوت من الطير . ويقال أيضا : ما بالدار من صافر أى أحد يصفر

(٥) يريد بكل صائح وصافر كل مكان عامر ، وكل مكان خرب ، فجعل الصياح كناية عن الأمكنة العامرة ، والصفر كناية عن الأمكنة الخربة . « عبد الخالق »

خُوارِزمشاه مِنْ طبقاتِ النّاسِ أَوْزَاعٌ[١] وأَخْيافٌ ، ومِنْ حشَراتِ الأَرْضِ أَنواعٌ وأَصنافٌ ، قُصارى[٢] هِمَمِهِمُ القتلُ والإغارةُ ، ومُنْتهى أَربِهِمُ الإحْراقُ والإبارةُ[٣] وأَوْباشٌ مَرْوَ أَيْضاً كانُوا يَخْرُجُونَ مِنْ مَكامِنِهِمْ فِى اللّيالِى ، ويَتعرّضُونَ لِبيُوتِ السّاداتِ والمَوالِى ، فَلَيْسَ بِمُستَبْعَدٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ ظفرَ بِكُتُبِهِ مِنْ أُولَئِكَ الأَقْوامِ أَحدٌ لا يُعْرَفُ شأْنُهُ ، ولا يُعْلَمُ مَكانُهُ[٤] ، أَمّا أَنا فاللهُ تعالى يَعْلَمُ — وقَدْ خابَ مَنِ اسْتَشْهَدَهُ باطِلًا — أَنِّى ما فتحْتُ لِلإغارةِ بابَهُ[٥] ، ولا نَهبْتُ كِتابَهُ ، بَلْ ذَهبْتُ يوْماً على مُقْتَضَى إشارَتِهِ الكَرِيمَةِ لِأَحْمِلَ كُتُبَهُ إلى المُعَسْكَرِ ، فَلَمّا دَخلْتُ دارَهُ الرّفِيعةَ ، ورَأَيْتُ كُتُباً كَثِيرةً فوْقَ

---

(١) أوزاع : أى جماعات وضروب متفرقة ، والأخياف : الأقوام المختلفون ، ومنه : إخوة أخياف : أى أمهم واحدة والآباء شتى (٢) أى غاية وجهد (٣) أبار الشىء : أهلكه وأفسده وأباده (٤) يريد أحدا من الناس مجهولا هذا إذا بنى الفعلان يعرف ويعلم للمجهول ويرفع « شأنه ، ومكانه » نائبى فاعل ، وإن بنى الفعلان للمعلوم ونصب قافية السجع ، كان الغرض أن السارق لم يعرف منزلة الشيخ صاحب الكتب ولم يعلم حاله ، ولو عرف ذلك لأبقاها عليه « عبد الخالق »

(٥) فى مجموع الرسائل : بابا وكتابا « وذلك أعم وأشمل » .

مَا يُحِيطُ بِهِ عَدٌّ ، أَوْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حَدٌّ ، فَقُلْتُ : ثِقَلُ هٰذِهِ أَمْرٌ مُشْكِلٌ ، وَحَمْلُ هٰذِهِ خَطْبٌ مُعْضِلٌ ، فَتَرَكْتُهَا بِحَالَتِهَا فِى أَمَاكِنِهَا ، وَخَلَّيْتُهَا بِرُمَّتِهَا فِى مَعَادِنِهَا ، وَخَرَجْتُ كَمَا دَخَلْتُ خَالِىَ الْحَقَائِبِ ، فَارِغَ الزَّكَائِبِ[١] ، فَإِنْ كُنْتُ غَصَبْتُ يَوْمَ وَقْعَةِ مَرْوَ أَوْ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا مِنْ كُتُبِهِ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ كِتَاباً أَوْ جُزْءاً أَوْ دَفْتَراً[٢] أَوْ مِنْ سَائِرِ أَمْوَالِهِ شَيْئاً صَغُرَ أَوْ جَلَّ ، كَثُرَ أَوْ قَلَّ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَغْصِبَهُ أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِى وَالْمُنْتَمِينَ إِلَىَّ ، أَوْ عَرَفْتُ غَاصِباً غَصَبَهُ ، أَوْ نَاهِباً نَهَبَهُ ، فَأَخْفَيْتُ ذٰلِكَ عَنْهُ ، أَوْ كَتَمْتُهُ مِنْهُ ، فَأَنَا بَرِىءٌ مِنَ اللهِ وَهُوَ بَرِىءٌ مِنِّى ، وَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ بِنَفْسِى شَيْئاً مِمَّا ذَكَرْتُ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِى ، أَوْ عَرَفْتُ فَاعِلاً فَعَلَهُ ، فَعَلَىَّ لِلّٰهِ أَنْ أَحُجَّ بَيْتَهُ الْمُعَظَّمَ الْمُكَرَّمَ رَاجِلاً حَافِياً ، وَعَلَى عَاتِقِى الزَّادُ وَالْمَزَادَةُ[٣] عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَإِنْ

---

(١) الزكائب : شبه الجوالق كلمة مصرية (٢) فى المجموع « أو ورقا »
(٣) أى الراوية « كالقربة »

كُنتُ فعلتُ شيئًا مِن ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعلَه أَحدٌ مِنَ الْمُتعلِّقِينَ بِي ، أَوْ عرفتُ فاعِلًا فعلَه ، فَكلُّ مالٍ مَلَكتُه يَمِينِي فهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى مسَاكِينِ الحَرَمَيْنِ ، وَإِنْ كُنتُ فَعَلتُ فعلتُ شيئًا مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعَلَهُ أَحدٌ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِي أَوْ عرفتُ فَاعِلًا فعلَهُ ، فَكُلُّ عبدٍ مَلَكتُهُ أَوْ أَمْلِكُهُ فهُوَ حرٌّ ، وَإِنْ كُنتُ فَعَلتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعلَهُ أَحدٌ مِنَ الْمُتعلِّقِينَ بِي أَوْ عرفتُ فاعِلًا فَعلَهُ ، فَكلُّ امْرأَةٍ تزَوَّجتُهَا أَوْ أَتزوَّجهَا فهِيَ طَالِقٌ مِنِّي ثَلاثَ طلَقاتٍ ، هَذِهِ الْأَيْمَانُ وَالنُّذورُ كَتَبْتُهَا بِبنَانِي ، وَأَجْرَيتُهَا عَلَى لِسَانِي ، لَاخوْفًا مِنْ غوَائِلِهِ ، وَلَا هرَبًا مِنْ حبَائِلِهِ ، فَإِنَّ الصُّلْحَ آمنَ أَهْلَهُ ، وَالْإِسْلَامَ جبَّ مَاقبلَهُ ، وَلَكِنْ إِظهارًا لِخُلُوِّ رَاحتِي ، وَبرَاءَةِ سَاحتِي ، وَشفقَةً دَلَيْهِ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — وَصِيَانَةً لِفَاضِلٍ مِثْلِهِ لَامثِيلَ لَهُ فِي أَقطَارِ الشَّرقِ وَالْغَربِ ، وَأَقَاصِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، أَنْ يَسلُكَ طَرِيقَةً غيرَ مُستَصْوَبَةٍ .

وَيَخْتَارَ شَرِيعَةً غَيْرَ مُسْتَعْذَبَةٍ . — عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ — مِمَّا يُورِثُ ذَمًّا ، وَيُعْقِبُ إِثْمًا .

وَقَدْ بَعَثَ فِي قِرَانِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ خِدْمَةً أُخْرَى مُفْرِطَةً فِي الطُّولِ ، مُجَرِّرَةً لِلذُّيُولِ ، مَنْسُوجَةً عَلَى مِنْوَالٍ آخَرَ ، كَالْكَيِّ لِلدَّاءِ[1] إِذَا اسْتَحْكَمَتْ شِدَّتُهُ ، وَتَطَاوَلَتْ مُدَّتُهُ ، وَعَجَزَ الْأُسَاةُ عَنْ مُعَالَجَتِهِ ، وَالْأَطِبَّاءُ عَنْ مُدَاوَاتِهِ ، وَهَدَيْتُهُ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — فِيهَا النَّجْدَيْنِ ، وَأَرَيْتُهُ الطَّرِيقَيْنِ ، وَدَفَعْتُ عِنَانَ الِاخْتِيَارِ إِلَيْهِ ، وَوَضَعْتُ زِمَامَ الْإِيثَارِ فِي يَدَيْهِ ، لِيَسْلُكَ مِنْهُمَا مَا يَشَاءُ ، إِمَّا مَا يُسَرُّ بِهِ وَإِمَّا مَا يُسَاءُ[2] . — وَفَّقَهُ اللهُ لِلصَّوَابِ وَالْأَصْلَحِ ، وَأَسْعَدَهُ بِالْأَرْشَدِ وَالْأَنْجَحِ ، وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ ، وَالْفَائِزِينَ الْمُفْلِحِينَ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ الْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : صَادَفَنِي — أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ —

---

(١) فى هذا إشارة للمثل العربى السائر : « آخر الدواء الكى »

(٢) لعل هنا جارا ومجرورا لم يذكر مثل به أو منه

– فِى دَوْلَةٍ مُشْرِقَةِ الْكَوَاكِبِ، وَنِعْمَةٍ هَاطِلَةِ السَّحَائِبِ، وَسَلَامَةٍ طَيِّبَةِ الْمَشَارِعِ وَالْمَشَارِبِ – خِطَابُهُ الْكَرِيمُ وَكِتَابُهُ الشَّرِيفُ بِخُوَارِزْمَ، وَأَنَا نَاعِمُ الْبَالِ مُنْتَظِمُ الْحَالِ، وَمِنَ النَّفْسِ فِى دَعَةٍ، وَمِنَ الْعَيْشِ فِى سَعَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ذَلِكَ، وَبِهِ الثِّقَةُ[1] وَالْحَوْلُ، وَلَهُ الْمِنَّةُ وَالطَّوْلُ، وَحِينَ تَنَسَّمْتُ مِنْ يَدِ حَامِلِهِ رَيَّاهُ، وَثَبْتُ مِنْ مَكَانِى مُسْتَقْبِلًا إِيَّاهُ، وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ يَمِينِى مَدَّ مُعِزٍّ مُكْرِمٍ. وَأَخَذْتُهُ بِطَرَفِ كُمِّى أَخْذَ مُجِلٍّ مُعَظِّمٍ، وَقُلْتُ فِى نَفْسِى: كَرَامَةٌ سَاقَهَا اللّٰهُ تَعَالَى إِلَىَّ، وَسَعَادَةٌ أَلْقَتْ أَنْوَارَهَا عَلَىَّ، وَأَرْسَلْتُ فِى الْحَالِ قَاصِدًا ذِرْوَاتِ الْأَشْرَافِ، وَسَرَوَاتِ الْأَطْرَافِ، وَبَعَثْتُ فِى السَّاعَةِ مُسْرِعًا إِلَى رِجَالَاتِ الْأَخْبِيَةِ وَالْأَبْنِيَةِ، وَسَاكِنَةِ الْأَبَاطِحِ وَالْأَوْدِيَةِ، وَدَعَوْتُ مِنْ كُلِّ حِلَّةٍ[2] رَئِيسَهَا وَزَعِيمَهَا، وَمِنْ كُلِّ خِطَّةٍ[3] كَبِيرَهَا وَعَظِيمَهَا، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدِى الْبَدَوِىُّ

(١) فى المجموعة: القوة وهى أنسب (٢) الحلة بفتح الحاء: المحلة

(٣) الخطة: بالكسر: الأرض التى يختطها الرجل لنفسه، بأن يعلم عليها علامة يخطها بها ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها، والجمع خطط.

وَالْحَضْرِىُّ ، وَاحْتَشَدَ فِى رَبْعِي[١] الرَّبَعِىُّ وَالْمُضَرِىُّ ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كِتَاباً شَرِيفاً بِخَتْمِهِ ، وَحَنَيْتُ ظَهْرِى لِتَقْبِيلِهِ وَلَثْمِهِ ، وَطَالَبْتُ خَطِيباً مِصْقَعاً مِنْ بُلَغَاءِ بَنِى مَعَدٍّ صَحِيحَ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، وَوَضَعْتُ لَهُ فِى مَنْزِلِى مِنْبَراً مِنَ السَّاجِ[٢] ، مُغَشًّى بِالدُّرَرِ وَالدِّيبَاجِ ، لِيَصْعَدَ بِهِ ذُرَا الْأَعْوَادِ ، وَيَقْرَأَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، فَرَفَعَ الْكُلُّ أَصْوَاتَهُمْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَسَأَلُونِى خِفْيَةً وَجَهْرَةً ، مَا هَذَا الَّذِى تُظْهِرُهُ لَنَا وَتَعْرِضُهُ ؟ وَتُوجِبُ عَلَيْنَا سَمَاعَهُ وَتَفْرِضُهُ ؟ فَقُلْتُ : كِتَابُ إِمَامٍ لَمْ تَلْمَحْ عَيْنُ الزَّمَانِ لِمِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمَحْ يَدُ اللَّيَالِى بِشَكْلِهِ ، كِتَابُ إِمَامٍ هُوَ فِى الْعِلْمِ صَاحِبُ آيَاتٍ ، وَفِى الْفَضْلِ سَابِقُ غَايَاتٍ ، إِمَامٌ تَطْلُعُ نُجُومُ الْجَوِّ دُونَ قَدْرِهِ ، وَتَحْسُدُ رِيَاضُ الْخُلْدِ أَطَايِبَ صَدْرِهِ ، كِتَابُ إِمَامٍ تَمَّ بِهِ حِسَابُ الْعُلَمَاءِ ، كَمَا تَمَّ بِرَسُولِ اللهِ

---

(١) الربع فى الاصل : الموضع يتربعون فيه فى الربيع ، ثم أطلق على كل موضع إقامة والربعى : نسبة إلى ربيعة بن نزار (٢) الساج : شجر خشبه أسود رزين لا تكاد الارض تبليه وهو يشبه الأبنوس ، أو هو نوع من الصنوبر

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِسَابُ الأَنْبِيَاء ، صَحِيفَةُ نَخْرٍ حَرَّرَتْهَا يَدٌ بَيْضَاء ، وَقِلَادَةُ مَجْدٍ رَصَّعَتْهَا هِمَّةٌ رَوْعَاء ، وَنَشَرَتْ مِنْ مَعَالِى سَيِّدِنَا — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَمَفَاخِرَهُ — وَذَكَرَتْ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَمَآثِرِهِ ، مَا امْتَلَأَ بِنَشْرِهِ النَّادِى ، وَسَالَ مِنْ ذِكْرِهِ الْوَادِى ، فَسَكَنُوا وَسَكَتُوا ، وَأَصْغَوْا وَأَنْصَتُوا ، فَلَمَّا فَضَضْتُ خِتَامَهُ ، وَحَدَرْتُ لِثَامَهُ ، شَاهَدْتُ فِى أَثْنَائِهِ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَعَايَنْتُ فِى أَدْرَاجِهِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ ، مَا أَطَالَ السُّهَادَ ، وَأَطَارَ الرُّقَادَ ، وَشَقَّ جِلْبَابَ الصَّبْرِ وَمُرَيْطَاءَ [1] الْجَلَدِ ، وَجَرَحَ سَوَادَ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءَ الْخَلَدِ [2] ، حَسِبْتُهُ حُلَّةً خُسْرُوَانِيَّةً [3] ، فَوَجَدْتُهُ حَرْبَةً هُنْدُوَانِيَّةً ، كِتَابٌ لَا بَلْ كَتَائِبُ تَفُلُّ كُلَّ جَيْشٍ ، وَخِطَابٌ لَا بَلْ خُطُوبٌ تُكَدِّرُ كُلَّ عَيْشٍ ، وَكَلَامٌ

(١) المريطاء : بالتصغير والمد ، مابين السرة أو الصدر إلى العانة . أو جلدة رقيقة بينهما ، أو عرقان يعتمد عليهما الصائح . ومنه فى حديث عمر لأبى محذورة ، وقد رفع صوته بالأذان : « أما خشيت أن تنشق مريطاؤك » وفى ظنى أنها مريط لأنه يناسب جلباب ولكن هكذا وردت فشرحت كما ترى (٢) الخلد : البال والقلب والنفس ، والمراد هنا القلب (٣) منسوبة إلى « خسرو »

لَابَلْ فِي الْأَصَابِعِ كِلَامٌ[1] ، وَفُصُولٌ لَابَلْ فِي الْجَوَانِحِ نُصُولٌ ، وَأَسْجَاعٌ مُؤْنِقَةٌ لَابَلْ أَوْجَاعٌ مُوبِقَةٌ ، كُلُّهُ كَأَنَّهُ نَازِلَةُ الدَّهْرِ ، وَقَاصِمَةُ[2] الظَّهْرِ ، كَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ أَنْيَابُ الْأَرَاقِمِ ، وَمَعَانِيهِ أَظْفَارُ الضَّرَاغِمِ ، هُوَ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ دَفَّاعُ الْأَمْرَاضِ بِطِبِّهِ ، فَلِمَ أَمْرَضَنِي بِفَضَائِحِ سَبِّهِ ؟ . وَنِطَاسِيُّ الْجِرَاحِ بِعِلْمِهِ ، فَلِمَ جَرَحَنِي بِقَبَائِحِ ظُلْمِهِ ؟ !

وَمِمَّنْ أُرَجِّي شِفَاءَ السَّقَامِ
وَمُسْقِمَتِي جَفَوَاتُ الطَّبِيبِ ؟ !

مَاهَذَا الْإِنْذَارُ وَالْإِيعَادُ ؟ وَمَاهَذَا الْإِبْرَاقُ وَالْإِرْعَادُ ؟ كَأَنَّهُ صَاحِبُ دُلْدُلٍ[3] وَفَارِسُ يَلْيَلٍ[4] ، أَوْ كَأَنَّهُ

(١) كلام بكسر الكاف جمع كلم بفتحها : الجرح (٢) يقال : نزلت بهم قاصمة الظهر : أى الهلاك (٣) دلدل : بغلة شهباء كانت للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) يليل : جبل بالبادية أو موضع قرب وادى الصفراء « وهو واد ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير فى طريق الحاج بينه وبين بدر مرحلة » وكان من أعمال المدينة قرب ينبع ، وقد جاء ذكره فى غزوة بدر « وفارس يليل » هو عمرو بن عبد وفيه يقول مسافع بن عبد مناف :

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل

جزع المكان قطعه والمذاد : موضع بالمدينة ، وهو الموضع الذى حفر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق . هذا وفى الاصل « بلبل » وهو تصحيف لامعنى له « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ أَقْيَالِ الْيَمَنِ ، وَأَبْطَالِ الزَّمَنِ ، أَوْ كَأَنَّهُ ثُعْبَانُ الْحَرْبِ ، وَشَيْطَانُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَذِكْرُ الْبَوْلِ ، أَوْلَى بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْهَوْلِ . وَحَدِيثُ الْبَرَازِ[١] . أَوْلَى بِهِ مِنْ حَدِيثِ الْبِرَازِ :

إِنَّ لِلْهَجْرِ رِجَالًا وَرِجَالًا لِلْوِصَالِ

قَالَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - : مَصَصْتَ دَمِي مِنْ عِرْقٍ ، أَوَلَيْسَ يَدْرِي أَنَّ امْتِصَاصَ الدِّمَاءِ مِنْ خَصَائِصِ بِضَاعَتِهِ ، وَالتَّصَرُّفَ فِي اللُّحُومِ وَالْعِظَامِ مِنْ لَوَازِمِ صِنَاعَتِهِ ؟؟ - رَحِمَ اللهُ - امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ ، وَشَرُّ مَا فِي بَنِي آدَمَ مِنَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ ، وَالْأَفْعَالِ اللَّئِيمَةِ ، إِيذَاءُ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَإِيحَاشُ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ . وَهَذَا لَهُ : - أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ - جِبِلَّةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا ، وَطَبِيعَةٌ اسْتَرْسَلَ مَعَهَا ، وَسَجِيَّةٌ شُهِرَ

---

(١) أصل البراز : الفضاء الواسع كنى به عن قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضونها فى الفضاء ، ولا يخفى أن المرسل إليه كان يتطب ويشتغل بعلاج المرضى كما تصرح به الرسالة فى غير موضع ، فهو يقول له : إنه طبيب من شأنه أن ينظر فى بول المرضى وبرازهم فلا شأن له بغيره . ولا يخفى ما فى ذلك من التعريض فقد جعله « وإن كان طبيبا » لا يحسن به أن ينظر إلا فى هذه الفضلات القذرة التى تناسب عمله « أحمد يوسف نجاتى »

بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِهَا ، يَشْتُمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِهِ وَمَكَانِهِ ، وَعَلَى سُدَّةِ دَارِهِ وَطَرَفِ دُكَّانِهِ ، خَلْقاً كَثِيراً ، وَجَمّاً غَفِيراً ، مِنَ الرَّافِعِينَ قَصَصاً إِلَيْهِ ، وَالْعَارِضِينَ عِلَلَهُمْ عَلَيْهِ ، فَيَرْجِعُونَ وَجُفُونُهُمْ تَتَصَوَّبُ (١) عَبَرَاتُهَا ، وَقُلُوبُهُمْ تَتَصَعَّدُ زَفَرَاتُهَا ، لِمَا يُلَاقُونَ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ ، وَيُقَاسُونَ مِنْ خُشُونَةِ نُطْقِهِ ، وَيَنْقُلُونَ وَأَلَمُ ذَلِكَ التَّهَجُّمِ وَالْإِعْرَاضِ ، وَالْوَقِيعَةِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَعْرَاضِ ، أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَلَمِ الْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ ، وَلِهَذَا جَعَلَ شَخْصَهُ وَصَيَّرَ نَفْسَهُ ، — مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ زَمَانِهِ ، وَأَعْلَمُ أَوْلَادِ قِرَانِهِ — ضُحْكَةَ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي ، وَسُخْرَةً لِلْأَذْنَابِ (٢) وَالنَّوَاصِي ، حَتَّى صَارَ بِحَيْثُ إِذَا مَشَى فِي الْأَسْوَاقِ تَعَادَى (٣) صِبْيَانُ الْبَلَدِ حَوْلَهُ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَيَضْحَكُونَ عَلَيْهِ ، وَيَنْعَرُونَ (٤)

---

(١) تصوب الشيء: انحدر من أعلى إلى أسفل (٢) الأذناب جمع ذنب ، والنواصى جمع ناصية ، ويراد بهما هنا : المتأخرون والمتقدمون . أو يراد بأذناب الناس : سفلتهم وعامتهم وغوغاؤهم ، وبالنواصى : العلية والسادة منهم وخاصتهم يعنى أن كل طبقات الناس تهزأ به وتسخر منه . (٣) تعادى : جرى

(٤) ينعرون الخ : نعر ينعِر وينعَر : نعيراً ونُعارا : صاح وصوت بخيشومه

فى قفاه ، ولا أقولُ فيه — أدامَ اللهُ عُلوَّهُ — إلّا ما قالَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ فى ابنِ المقفعِ حينَ رأى كمالَ فضلِه ، ونقصانَ عقلِه : « علمٌ وافرٌ ، وعقلٌ قاصرٌ » ومن قصورِ عقلِ ابنِ المقفعِ : أنهُ مرَّ ببيتِ النارِ وكانَ من أولادِ كسرى ، فتنفسَ الصعداءَ ، وتمثَّلَ ببيتِ الأحوصِ بنِ محمدٍ الأنصاريِّ :

يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزَّلُ (١)

حذرَ العدى وبهِ الفؤادُ موكَّلُ

فاتُّهِمَ بالمجوسيةِ ، فأُلقِىَ فى تنورٍ مسجورٍ فأُحرِقَ ، وما أصدقَ مَنْ قالَ : « قيراطُ عقلٍ ، خيرٌ من قنطارِ فضلٍ ، ومثقالُ حلمٍ ، أنفعُ من مكيالِ علمٍ » أنكرَ - أدامَ اللهُ علوَّهُ - رشادَ مذهبِي وإنكارُهُ ضلالٌ ، وجحدَ سدادَ سيرتِي وجحودُهُ باطلٌ محالٌ ، فياطيرَ اللهِ جمجمةً فرختْ (٢) فيها الأضاليلُ

(١) أى أتكلف الابتعاد عنه ، وبعد البيت :

إنى لامنحك الصدود وإننى قسما إليك مع الصدود لأميل

« عبد الخالق »

(٢) فرخت فيها الأضاليل : أى جعلها تنتج أضاليل

وَبَاضَتْ ، وَيَا أَسْكَتَ اللهُ شِقْشِقَةً دُفِعَتْ مِنْهَا الْأَبَاطِيلُ وَفَاضَتْ ، وَلَا أَعْنِي بِهَذِهِ الْجُمْجُمَةِ إِلَّا جُمْجُمَتَهُ الَّتِي لَا عَقْلَ فِيهَا ، وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الشِّقْشِقَةِ (١) إِلَّا شِقْشِقَتَهُ الَّتِي يُبَايِنُهَا الصِّدْقُ وَيُنَافِيهَا . حَتَّى مَتَى يَتَّهِمُنِي بِظَنِّهِ ؟! وَإِلَى كَمْ يُجَرِّعُنِي دُرْدِيَّ (٢) دَنِّهِ ؟ أَيَحْسَبُ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - أَنَّ ظَنَّهُ الْبَاطِلَ، وَخَيَالَهُ الْفَاسِدَ ، وَوَهْمَهُ الْكَاذِبَ ، وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَهِيٌّ ، أَوْ إِلْهَامٌ فِي الْحَقِيقَةِ رَبَّانِيٌّ ، أَوْ آيَةٌ (٣) نَفَثَ بِهَا رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِهِ ، لَا بَلْ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِنَا ، وَهَذَا شَرُّ الْأَزْمِنَةِ ، عَجَمَ الشَّيْطَانُ عُودَهُ فَاسْتَلَانَهُ ، فَصَيَّرَ خِزَانَةَ خَيَالِهِ مَكَانَهُ ، فَهَذِهِ الْخَطَرَاتُ الَّتِي تَخْتَلِجُ (٤) فِي

---

(١) الشقشقة : ما يخرج من فم البعير وإليه نسبت الخطبة الشقشقية للامام على — رضى الله عنه — لأنه كان عند الكلام يهدر كما يهدر البعير بشقشقته مما لحقه من غضب وانفعال « عبد الخالق »

(٢) الدردى : من الزيت ونحوه : الكدر الراسب فى أسفله (٣) فى الأصل : « أنه » وهو تصحيف يكون به مقر الكلام قلقة والمعنى مبهماً « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) تختلج فى جنانه : اختلج الشىء فى صدره : احتك مع شك ، والجنان : القلب

جَنَانِهِ ، وَتَدُورُ حَوْلَ حِسْبَانِهِ (١) مِنْ تِلْكَ الْخَيَالَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، لَا مِنَ الْإِلْهَامَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ . وَلَقَدْ بَلَغَنِي مِنْ أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ وَأَلْسِنَةِ الثِّقَاتِ ، أَنَّهُ : — أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ — أَخَذَ بِعَيْنِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ قَبْلَ هَذَا وَاحِدًا مِنْ أَعْيَانِ جِلْدَتِهِ ، وَسُكَّانِ بَلْدَتِهِ ، وَهُوَ مَسْعُودُ بْنُ الْمُنْتَخَبِ ، — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَبَيْتِهِ ، وَتَعَرَّضَ لِحَيِّهِ وَمَيِّتِهِ ، وَخَرَّبَ دُورَهُ وَرِبَاعَهُ ، وَغَصَبَ أَثَاثَهُ وَبَاعَهُ ، مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ صَحَّحَهَا ، وَلَا بَيِّنَةٍ أَوْضَحَهَا ، ـ اللَّهُمَّ أَصْرِعِ الظَّالِمَ عَلَى الْهَامَةِ (٢) ، وَخُذْ مِنْهُ لِلْمَظْلُومِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ وَمِمَّا أَقْضِي (٣) مِنْهُ الْعَجَبَ أَنَّ عَهْدِي بِهِ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ — قَدْ كَانَ يُخَرِّبُ الْأَبْدَانَ ، فَهَا هُوَ الْآنَ يُخَرِّبُ الْأَوْطَانَ ، وَمَا أَسْرَعَ الدَّهْرَ إِلَى تَغْيِيرِ الْبَشَرِ ، وَمَا أَقْدَرَهُ عَلَى تَبْدِيلِ الصُّوَرِ وَالسِّيَرِ !! .

(١) حسبانه : بالكسر أى ظنه — ومنه : ما كان فى حسبانى كذا ، أى فى ظنى

(٢) الهامة : الرأس (٣) فى المجموع « ومما أنفى منه إلى العجب »

قرأتُ في بعضِ الكتبِ أنَّ خليفةً من الخلفاء رأى في منامِهِ أنَّ واحداً من ندمائِهِ وثبَ عليه ليقتلَهُ، فلما أصبحَ استدعى النديمَ وأمرَ بقتلِهِ، فقالَ لهُ النديمُ: ماذا فعلتُ من الذنبِ حتى استوجبتُ هذهِ العقوبةَ؟ قالَ الخليفةُ: ما فعلتَ شيئاً، ولكنِّي رأيتُ في المنامِ أنكَ تقتلُني، فقالَ لهُ النديمُ: إنَّ يوسفَ بنَ يعقوبَ - صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهما - معَ كونِهِ صدِّيقاً نبياً احتاجتْ رؤياهُ إلى تعبيرٍ، وافتقرتْ أحاديثهُ إلى تأويلٍ وتفسيرٍ. أفتستغني رؤياكَ عن مثلِ ذلكَ؟ فضحكَ الخليفةُ وخلاهُ. وأنا أقولُ: هكذا ظنونُ جميعِ ذوي الألبابِ، معرَّضةٌ للخطإِ والصوابِ، كأنَّهُ - أدامَ اللهُ علوهُ - تفردَ من بينهم بذاتِهِ، وتوحدَ بعظمةِ صفاتِهِ، فتنزهتْ ظنونُهُ عن السهوِ، وتقدستْ أحاديثُهُ عن اللغوِ، عصمَنا اللهُ من الكبرِ البائنِ[1]، والعجبِ الشائنِ، أمَا حانَ أنْ ينتبهَ - أدامَ اللهُ علوهُ -

(١) البائن اسم فاعل من بان يبين بمعنى ظهر واتضح

مِنْ غفلته ، ويستيقظ من رقدته ، وقد بلغ غاية شيبه ، وأخذ الموت بلحيته وجيبه ، يقرع كل ساعة منادي الفناء ، في أذنه الصماء ، أن اترك أوطانك ، واهجر أهلك وجيرانك ، وارحل إلى جهنم بخيلك ورجلك ، فإنها قد قد أوقدت نيرانها لأجلك ، وما حرص جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخ غوي ، وهم [1] غبي ، سيئ الخليقة ، مذموم الطريقة ، يتظاهر بالإثم والعدوان ، ويتبع خطوات الشيطان ، هو — أدام الله علوه — بلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع [2] ، وهم بحر عمره بالنضوب [3] ومال نجم بقائه للغروب ، فما ظنه ؟ هل في الحياة طمع وقد بليت جدته [4] وفنيت مدته ، وتراجع أمره ، وأربى على الثمانين عمره ؟ :

(١) الهم بالكسر : الشيخ الفانى (٢) ثنية الوداع : منعطف يودع الحاج فيه الاماكن المطهرة ، فكأنه يودع الحياة . (٣) النضوب : نفاد الماء

(٤) جدة الثوب بالكسر : كونه جديدا .

أَيَرْجُو الْفَتَى عَوْداً إِلَى طَيِّبَاتِهِ
وَقَدْ جَاوَزَتْ رَأْسَ الثَّمَانِينَ سِنُّهُ ؟

كَتَبْتُ هَذِهِ الْأَحْرُفَ عَلَى سَبِيلِ النَّمُوذَجِ ، وَالْجَوَابُ بَعْدُ فِي الْجِرَابِ ، وَالسَّيْفُ لَمْ يُسَلَّ مِنَ الْقِرَابِ ، فَإِنِ انْزَجَرَ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — وَاتَّعَظَ ، وَتَرَكَ الْفَظَاظَةَ وَالْغِلَظَ ، وَعَادَ إِلَى كَرَمِ الْعَهْدِ ، وَصَفَاءِ الْوُدِّ ، فَأَنَا خَادِمٌ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ مُطِيعٌ ، وَتِلْمِيذٌ مُعْتَقِدٌ :

وَإِلَّا فَعِنْدِي لِلْعَدُوِّ وَقَائِعٌ
تُرِيهِ الْمَنَايَا [1] لَا يُنَادَى وَلِيدُهَا

(١) المنايا : جمع منية : وهى الموت ، لأنها مقدرة ، وقوله لا ينادى وليدها : جملة حالية من المنايا أى الموت الشديد الذى يذهل الأم عن ولدها . والعرب تقول فى أمثالها « هم فى أمر لا ينادى وليده » كناية عن كونه أمرا جليلا وخطبا شديدا لاينادى فيه الوليد ، ولكن ينادى فيه الجلة ذوو الغناء من الرجال ، أو أنهم لشدة اشتغالهم به لهوا عن غيره حتى لو مد الوليد يده إلى أعز الاشياء ليعبث بها لا ينادى عليه زجراً له ، ثم قيل ذلك لكل أمر عظيم ولكل شىء كثير ، فيقال : جاء بطعام لا ينادى وليده ، وفى الارض عشب لا ينادى وليده الخ

« أحمد يوسف نجاتى »

﴿ ١٢ – الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسن بن محمد المهلبي

« قَدْ سَقَطَتْ مِنْ نُسْخَتِنَا أَوَائِلَ التَّرْجَمَةِ » قَصِيدَةٌ يُخَاطِبُ فِيهَا أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ ، وَيَذْكُرُ الْمُهَلَّبِيَّ – وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ – :

مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْقَاطُولِ (١) لَا هَطَلَتْ
فِيهِ السَّحَابُ وَلَا سَقَتْهُ تَهْتَانَا (٢)
فَقَدْ سَدَدْنَاهُ وَارْتَدَّتْ غَوَادِيهِ (٣)
حَسْرَى وَلَمْ نَأْلُ إِحْكَاماً وَإِتْقَانَا
وَقَدْ دَعَمْنَا لَهُ سِكْراً (٤) سَمَا وَطَمَا
حَتَّى تَوَهَّمَهُ رَاءُوهُ ثَهْلَانَا

(١) القاطول : موضع على دجلة بالعراق (٢) تهتانا : مصدر هتنت السماء تهتن : انصبت . أو هو فوق المطل ، أو الضعيف الدائم ، أو مطر ساعة ، ثم يفتر ثم يعود .
(٣) الغوادى : جمع غادية : السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة
(٤) السكر بالكسر : إسم من سكر النهر أى سده ، وما سد به النهر وثهلان : جبل
(*) راجع فوات الوفيات جزء أول صفحة ١٧٨
وتجد ترجمته فى وفيات الاعيان « لابن خلكان » فى حرف الحاء وتوفى سنة ٣٥٢

وَاسْتَفْرَغَ الْوُسْعَ حَتَّى طَمَّ (١) خَادِمَكَ الْـ

مُهَلَّبِيَّ وَقَاسَى فِيـهِ أَشْجَانَا

نَجَّاهُ مِنْـهُ بِآرَاءٍ مُثَقَّفَـةٍ

تَخَالُهَـا فِي ظَلَامِ اللَّيْـلِ نِيرَانَا

رَمَيْتَ بَحْرًا بِطَوْدٍ (٢) فَاسْتَكَانَ لَهُ

كُرْهًا وَأَيْقَظْتَ فِيمَا بَاتَ يَقْظَانَا

وَمَا تُقَابِلُ بِالْإِقْبَالِ مُمْتَنِعًا

إِلَّا تَبَـدَّلَ بِالْعِصْيَانِ إِذْعَانَا

ثُمَّ خَرَجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالصَّيْمَرِيُّ إِلَى الْمَوْصِلِ لِقِتَالِ نَاصِرِ (٣) الدَّوْلَةِ ، فَاسْتَخْلَفَ الصَّيْمَرِيُّ الْمُهَلَّبِيَّ وَأَبَا الْحَسَنِ طَازَادَ بْنَ عِيسَى عَلَى الْأُمُورِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ إِلَى أَنْ عَادَ ،

---

(١) طمه : غلبه وعضه (٢) الطود : الجبل أو عظيمه .

(٣) ناصر الدولة هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أخو سيف الدولة وابن عم أبي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان ، استولى على الموصل وبعض البلاد بنواحيها — وكان خروج معز الدولة إلى الموصل سنة ٣٤٦ ولكن ناصر الدولة لما علم بذلك أرسل إلى معز الدولة مالا فعاد إلى بغداد وقبل الصلح لما كان ببغداد من الحوادث والفتن المثيرة وكانت بين ناصر الدولة وبين معز الدولة ببغداد من قبل ذلك حروب شعواء في سنة ٣٣٤ واستولى معز الدولة على الموصل سنة ٣٤٧ « أحمد يوسف نجاتي »

ثُمَّ خَرَجَ الصَّيْمَرِىُّ إِلَى الْبَطِيحَةِ لِطَلَبِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ (١)، وَاسْتَنَابَ بِحَضْرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ وَحْدَهُ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَخَدَمَ أَبُو مُحَمَّدٍ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ خِدْمَةً خَفَّفَ بِهَا عَنْهُ وَخَفَّ عَلَى قَلْبِهِ، فَقَبِلَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ، وَبَلَغَ أَبَا جَعْفَرٍ ذَلِكَ فَثَقُلَ عَلَيْهِ، فَتَطَلَّبَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الذُّنُوبَ وَتَحَمَّلَ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ، وَأَطْلَقَ فِيهِ لِسَانَهُ بِالْوَقِيعَةِ (٢) وَالتَّهَدُّدِ، وَبَلَغَ أَبَا مُحَمَّدٍ ذَلِكَ، فَقَلِقَ وَاسْتَشْعَرَ النَّكْبَةَ وَالْهَلَكَةَ (٣)، لِأَنَّهُ لَمْ يَطْمَعْ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِى نُصْرَتِهِ عَلَيْهِ، وَعِصْمَتِهِ مِنْهُ، فَمَا رَاعَهُ إِلَّا وُرُودُ كِتَابِ الطَّائِرِ بِوَفَاةِ الصَّيْمَرِىِّ (٤)، فَجَلَسَ لَهُ فِى

---

(١) هو رجل خارج ثائر وأصله من أهل الجامدة: وهى قرية كبيرة من أعمال واسط وهرب إلى البطيحة خوفاً من السلطان وأقام بين الآجام يقطع الطريق، وانضم إلى أناس من أهل الشر وجماعة من الفتاك فقوى بهم أمره ثم أبدى صفحته لمعز الدولة وحاربه سنة ٣٣٨ وقاسى معز الدولة منه عناء «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) الوقيعة: غيبة الناس (٣) الهلكة: محركة: الهلاك (٤) هو أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى، كان وزيرا جليلا شجاعاً توفى سنة ٣٣٩ بأعمال الجامدة وكان قد عاد من فارس إليها وأقام يحاصر عمران بن شاهين فأخذته حمى حادة مات منها، واستوزر معز الدولة بعده الوزير المهلبى وكان من قبل يخلف الصيمرى بحضرة —

العزاء ، وأظهر له الحزن الشديد ولزم منزله ، واستدعاه معز الدولة وأمره بالحضور وتمشية الأمور ، إلى أن يقلد من يرى تقليده الوزارة ، وترشح للوزارة جماعة ، منهم أبو علي الحسن بن هارون بن نصر ، وأبو علي الحسن ابن محمد الطبري ، وأبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي (١) وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني وبذلوا البذول ، وضمنوا الأموال ، ووسط أبو علي الطبري في أمره والدة معز الدولة ، وبذل مائتى ألف درهم عاجلة على سبيل الهدية بمطالبة (٢) معز الدولة ، فحمل منه مائة وثمانين ألف درهم وقال : قد بقي بقية يسيرة إذا ظهر أمري حملتها ، فقال

— معز الدولة ، فعرف أحوال الدولة والدواوين ، وامتحنه معز الدولة فرأى فيه ما يريده من الأمانة والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة ، فاستوزره ومكنه من وزارته ، فأحسن السيرة وأزال كثيرا من المظالم ، وقرب أهل العلم والادب وأحسن اليهم ، وتنقل فى البلاد لكشف ما فيها من الظلم ، ورد الحقوق إلى ذويها وتخليص الأموال من غاصبيها ، فحسن أثره ، وحمدت سيرته — رحمه الله تعالى — والصيمرى منسوب إلى صيمرة وهى قرب البصرة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) كان كاتباً لمعز الدولة وتوفى سنة ٣٤٨ فاستكتب معز الدولة بعده أبا بكر بن أبى سعيد

(٢) لأن معز الدولة طلب ذلك

مُعِزُّ الدَّوْلَةِ : لَا أَفعلُ إِلَّا بعْدَ اُستيفاء الْمَالِ ، فَعَلِمَ الطَّبَرِىُّ أَنَّهُ خُدِعَ ، وَنَدِمَ عَلى ما حَمَلَهُ . ثُمَّ حضَرَ الْجَمَاعَةُ الْمُتَرَشِّحُونَ الْخَاطِبُونَ وَكُلٌّ مِنهمْ يَعتقِدُ أَنَّهُ الْمُخْتَارُ الْمُقَلَّدُ ، وَجَلَسُوا فِى خَرْكَاةٍ (١) يَنْتَظِرُونَ الإِذْنَ ، ثُمَّ وَصَلَ الْقَوْمُ وَوَقَفُوا عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَدَخَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ بَعْدَهُمْ وَقَامَ فِى أُخْرَيَاتِهِمْ ، فَلَمَّا تَكَامَلَ النَّاسُ أَسَرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِى عَلِىٍّ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَازِنِ قَوْلًا لَمْ يُسْمَعْ ، فَمَشَى إِلَى أَبِى مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىِّ وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَخَاطَبَهُ بِالأُسْتَاذِيَّةِ عَلَى مَا كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يُخَاطِبُ بِهِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى الْخِزَانَةِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْقَبَاءَ وَالسَّيْفَ وَالْمِنْطَقَةَ .

قَالَ هِلَالٌ : قَالَ جَدِّى : فَوَاللهِ يَا بُنَىَّ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ مِمَّنْ أَسْمَيْنَاهُ وَمَنْ يَتْلُوهُمْ مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَصَلَ إِلَى يَدِهِ فَقَبَّلَهَا . وَعَادَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى حَضْرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فَخَاطَبَهُ بِالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ فِى تَقَلُّدِ وَزَارَتِهِ وَتَدْبِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَشَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ شُكْرًا أَطَالَ

(١) خركاة : الحركاة بالفارسية : القبة التركية ، ويقال فى تعريبها : خرقاهة وجمعها خركات ، وخركاهات .

فِيهِ ، وَخَرَجَ مُنْصَرِفًا إِلَى دَارِهِ ، فَقُدِّمَ لَهُ شِهْرِيٌّ (١) بِمَرْكَبِ ذَهَبٍ ، وَسَارَ أَبُو مُحَمَّدٍ سُبُكْتِكِينُ الْحَاجِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْقُوَّادُ وَالنَّاسُ فِي مَوْكِبِهِ ، وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ جُدِّدَتْ لَهُ الْخِلَعُ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بِالسَّوَادِ (٢) وَالسَّيْفِ وَالْمِنْطَقَةِ ، فَأَثْقَلَتْهُ هَذِهِ الْخِلَعُ — وَكَانَ ذَا جُثَّةٍ وَالزَّمَانُ صَيْفٌ — وَقَدْ مَشَى فِي تِلْكَ الصُّحُونِ (٣) الْكَثِيرَةِ ، فَسَقَطَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ وَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأُقِيمَ ، وَظُنَّ أَنَّهُ يَحْصَرُ (٤) لِمَا جَرَى ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

خَرْسَنُوهُ (٥) وَمَا دَرَى مَا خُرَاسَا
نُ بِلُبْسِ الْقَبَاءِ وَالْمَوْزَجَيْنِ (٦)

(١) شهرى : الشهرى : ضرب من البراذين ، والجمع شهارى

(٢) بالسواد : السواد : شعار العباسيين (٣) الصحون جمع صحن : وهو وسط الدار (٤) يحصر : أى يعيا فى المنطق ، من حصر يحصر حصرا ، أى عى ولم يقدر على النطق (٥) خرسنوه : أى نسبوه إلى خراسان ، ولم يعلم بها الخ

(٦) فى الاصل : « موزخين » وهو تصحيف : والموزجان مثنى « موزج » : وهو الخف ، وهو لفظ فارسى معرب « موزه » « أحمد يوسف نجاتى »

ثُمَّ أَكْثَرَ الشُّكْرَ وَأَطَالَ فِيهِ، فَاسْتَحْسَنْتُ مِنْهُ هَذِهِ الْبَدِيهَةَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ، وَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ مَعَهُ وَحُجَّابُ الْخِلَافَةِ وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، لَهِجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِذِكْرِ عُمَانَ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا، وَأَغْرَاهُ بِذَلِكَ الْمَعْرُوفُ بِكَرْكَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَأَمَرَ الْمُهَلَّبِيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهَا فَدَافَعَهُ وَوَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ يُزَهِّدُهُ فِيهَا فَلَمْ يَزْدَدْ إِلَّا لَجَاجًا، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يُؤْذِي (١) حَاشِيَةَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَإِنَّهُ أَلْزَمَهُمْ تَقْسِيطًا فِي نَفَقَةِ الْبِنَاءِ الَّذِي اسْتَحْدَثَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى عَسْفٍ، فَأَحْفَظَهُمْ (٢) فِعْلُهُ، فَبَعَثُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ عَلَى إِخْرَاجِهِ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ ضَمِنَ لَهُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ هَؤُلَاءِ جُمْلَةً كَبِيرَةً يَسْتَعِينُ بِهَا فِي هَذَا الْوَجْهِ، فَمَكَّنَهُ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ شَرَطَ عَلَيْهِ أَخْذَ الْعَفْوِ وَتَجَنُّبَ الْإِجْحَافِ، فَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَأَخَذَ مِنْهُمْ

---

(١) في الأصل: «وزر» ولا معنى لها (٢) أحفظهم: أي أغضبهم

أَلْفَىْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مِنْهَا خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَانِيِّ الْخَازِنِ ، وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى غَايَةِ الْعِنَايَةِ بِأَمْرِهِ وَالثِّقَةِ بِأَنَّهُ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَظْهَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَقْرَ وَسُوءَ الْحَالِ ، وَأَنَّهُ اُقْتَرَضَ الْمَالَ الَّذِي أَدَّاهُ مِنَ النَّاسِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَظَنَّهُ حَقًّا ، وَاُعْتَلَّ أَبُو عَلِيٍّ عَقِيبَ ذَلِكَ وَمَاتَ ، فَاعْتَقَدَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ قَتَلَهُ لِمَا عَامَلَهُ بِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَلُومُهُ وَيَحْلِفُ لَهُ أَنَّهُ يُقِيدُهُ [1] بِهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَادَرَ إِلَى دَارِ أَبِي عَلِيٍّ وَقَبَضَ عَلَى خَادِمٍ لَهُ صَغِيرٍ كَانَ يَخْتَصُّهُ وَيَثِقُ بِهِ ، وَمَنَّاهُ [2] وَوَعَدَهُ ، فَدَلَّهُ عَلَى دَفِينٍ [3] كَانَ لِأَبِي عَلِيٍّ فِي الدَّارِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِدَّةَ قَمَاقِمَ فِيهَا نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَهَا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَقَالَ لَهُ : هَذَا قَدْرُ أَمَانَةِ خَازِنِكَ الَّذِي ظَنَنْتَ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ بِالْيَسِيرِ

(١) يقيده به : أى يقتله به قودا من أقاد القاتل بالقتيل : قتله به

(٢) مناه الشيء وبه : جعل له أمنية منه (٣) فى الاصل « دفتر »

الَّذِي أَخَذْتُهُ لَكَ مِنْهُ ، وَمَا فِيهِ دِرْهَمٌ مِنْ مَالِكَ ، وَإِنَّمَا اقْتَرَضْتُهُ مِنْ أَوْلَادِكَ وَحُرَمِكَ وَغِلْمَانِكَ وَشَنَّعَ (١) عَلَيْكَ ، ثُمَّ تَتَبَّعَ أَسْبَابَهُ (٢) وَأَخَذَ مِنْهُمْ تَمَامَ مِائَتَىْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَدَّرَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ يُمَكِّنُهُ مِنَ الْحَاشِيَةِ الْبَاقِينَ وَيُعْفِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَجَدَّ بِهِ جِدًّا شَدِيدًا فِي الِانْحِدَارِ ، فَانْحَدَرَ (٣) فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتَمَادَتْ أَيَّامُهُ بِالْبَصْرَةِ لِلتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَامْتَنَعَ الْعَسْكَرُ الْمُجَرَّدُ (٤) مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ ، فَبَلَغَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، فَاتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَ الْعَسْكَرَ عَلَى الشَّغْبِ (٥) ، فَكَاتَبَهُ بِالْجِدِّ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي تَوَقُّفِهِ وَإِلْزَامِ الْمَسِيرِ ، وَوَجَدَ أَعْدَاؤُهُ طَرِيقًا لِلطَّعْنِ عَلَيْهِ ، وَاغْتَنَمُوا

---

(١) شنع من الشناعة : وهى التشهير بالشخص (٢) أى من لهم به رابطة

(٣) الانحدار : الانتقال والخروج إلى ما يراد منه (٤) المجرد : الذى جرد من الاقامة ويتأهب للسفر (٥) الشغب بسكون الغين : تهييج الشر ، ولا يقال شغب بالتحريك

تَنَكَّرَ (١) مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ (٢) ، وَأَقَامُوا فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَنْحَدَرَ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ الْعَوْدَ إِلَيْهَا ، وَأَنَّهُ سَيَغْلِبُ عَلَى الْبَصْرَةِ كَمَا تَغَلَّبَ الْبَرِيدِيُّونَ ، وَأَنَّ الْعَسْكَرَ الَّذِي مَعَهُ وَالْعَشَائِرَ هُنَاكَ عَلَى طَاعَةٍ لَهُ ، وَعَظَّمُوا عِنْدَهُ أَحْوَالَهُ ، فَتَدَوَّخَ (٣) مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِأَقَاوِيلِهِمْ ، وَعَرَفَ أَبُو مُحَمَّدٍ ذَلِكَ فَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيهِمْ ، وَخَرَقَ السِّتْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَتَطَابَقَتِ الْجَمَاعَةُ فِي الْمَشُورَةِ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِيَاضِ بِأَمْوَالِهِ عَمَّا يُقَدَّرُ حُصُولُهُ مِنْ عُمَانَ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُمْ يَسُدُّونَ مَسَدَّهُ ، فَمَالَ إِلَى قَوْلِهِمْ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ يُعْفِيهِ مِنَ الْإِتْمَامِ إِلَى عُمَانَ ، وَيَرْسُمُ لَهُ الِانْكِفَاءَ (٤) إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَعَلِمَ

(١) تنكر : أى تغير (٢) كان أعداء الوزير المهلبي لايجدون فرصة للسعاية به إلى مخدومه معز الدولة إلا انتهزوها حتى أنه فى سنة ٣٤١ ضربه بالمقارع مائة وخمسين مقرعة ، ووكل به فى داره ولكنه لم يعزله من وزارته ، وكان قد نقم منه أمورا جسمها له أعداؤه حتى ضربه بسببها « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) تدوخ : مطاوع دوخ فلاناً : أى أذله ، فتدوخ وذل والمراد تأثر

(٤) أى الرجوع

أَبُو مُحَمَّدٍ بِالْحَالِ، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَرُكُوبِ أَصْعَبِ الْمَرَاكِبِ فِيهِ، وَأَنْ يَدْخُلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْقَوْمُ، وَيَتَوَلَّى هُوَ مُصَادَرَةَ نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخُصُومِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَكَانَ مَلِيًّا (١) بِذَلِكَ، فَهَجَمَتْ عَلَيْهِ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ مِنْهَا، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ إِفَاقَةٍ وَنَكْسَةٍ (٢) إِلَى أَنْ وَرَدَتِ الْكُتُبُ بِالْيَأْسِ مِنْهُ، فَأَنْفَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ أَحَدَ ثِقَاتِهِ عَلَى ظَاهِرِ الْعِيَادَةِ لَهُ، وَبَاطِنِ الِاسْتِظْهَارِ عَلَى مَالِهِ وَحَاشِيَتِهِ، فَأَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ مَحْمُولًا فِي مِحَفَّةٍ (٣) كَبِيرَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفُرُشِ الْوَثِيرَةِ، وَمَعَهُ فِيهَا مَنْ يَخْدُمُهُ وَيُعَلِّلُهُ (٤)، وَيَتَنَاوَبُ فِي حَمْلِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَمَّالِينَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى زَاوَطَا (٥) قَضَى نَحْبَهُ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ، وَسَقَطَ

---

(١) أى ممتلئا بفكرته واثقاً من نجاحها — ويقال أيضاً : فلان ملى بالأمر « مخفف ملىء » إذا كان أهلا له يوثق به فيه — والملى أيضاً : حسن القضاء للمال فى إعطاء الدين وتسليمه لصاحبه ومتقاضيه بلا مشقة (٢) النكس والنكاس : عود المرض بعد النقه، والنكسة بفتح النون : المرة منه (٣) المحفة : مركب للنساء ولكنها لا تقبب أى ليس لها قبة (٤) يعلله : يعالجه من علته (٥) زاوطا : بليدة بين واسط وخوزستان والبصرة، وقد يقال لها زواطة .

الطَّائِعُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِذَلِكَ ، فَقُبِضَ عَلَى أَسْبَابِهِ وَحُرَمِهِ وَوَلَدِهِ ، فَصُودِرَتِ الْجَمَاعَةُ ، وَوَقَعَ السَّرَفُ فِي الاِسْتِقْصَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لِأَبِي مُحَمَّدٍ مَالٌ صَامِتٌ (١) وَلَا ذَخِيرَةٌ بَاطِنَةٌ ، وَبَانَتْ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ نَصِيحَتُهُ ، وَبُطْلَانُ النَّكِيرِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ الرِّقَابِ فِي ضِيَاعِهِ وَمَا يَأْخُذُهُ مِنْ إِقْطَاعِهِ ، وَيَسْتَثْنِي بِهِ عَلَى عُمَّالِهِ مَالٌ كَثِيرٌ يَسْتَوْفِيهِ جَهْرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوُقِّعَ فِيهِ أَمَانَةٌ ، وَيَصْرِفُ جَمِيعَهُ فِي مَئُونَتِهِ وَنَفَقَاتِهِ وَصِلَاتِهِ وَهِبَاتِهِ ، وَإِلَى هَدَايَا جَلِيلَةٍ كَانَ يَتَكَلَّفُهَا لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي أَيَّامِ النَّوَارِيزِ (٢) وَالْمَهَارِيجِ (٣)

وَعَطَفَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْجَمَاعَةِ يُطَالِبُهُمْ بِالْقَمَانَاتِ

(١) الصامت من المال : الذهب والفضة ، والناطق منه : الأبل ونحوها من الماشية

(٢) النوارز : جمع نيروز ، وهو أول يوم من السنة الشمسية . لكن عند الفرس : عند نزول الشمس برج الحمل ، معرب نوروز ، بالفارسية ، ومعناه : يوم جديد وربما أريد به : يوم حظ وتنزه (٣) المهاريج : جمع مهرجان : وهو عيد الفرس ، وهى كلمتان مهر . وجان ـ ركبتا حتى صارتا كالكلمة الواحدة ، ومعناها : محبة الروح . قيل كان المهرجان يوافق أول الشتاء ، ثم يقدم عند إهمال الكبس حتى بقى فى الخريف وهو اليوم السادس عشر من مهرماه ، وذلك عند نزول الشمس برج الميزان

الّتي ضمنوها ، فاحتجّوا بوفاته ، ووعدوا بالبحث عن ودائعه ، وتدافعت الأيّام واندرج الأمر ، فكان الّذي صحّ من مال أبي محمّد ومال حرمه وأولاده وأسبابه خمسة آلاف درهم ، فيها الصّامت والنّاطق والباطن ، وأثمان الغلّات وارتفاق[1] الأملاك والأموال ، وأموال جماعة من التّجّار أخذت بالتّأويلات ، وكانت وفاته سببًا لصيانته عن عاجل ابتذالهم له ، وصيانتهم عن آجل بلواهم به ، وكانت مدّة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . ووفاته في يوم السّبت لثلاث ليال بقين من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة . ولأبي محمّد :

قضيت نحبي فسرّ قوم ... حمقى لهم غفلة ونوم

كأنّ يومي عليّ حتم ... وليس للشّامتين يوم

قال هلال : وحدّثني أبو إسحاق جدّي قال : صاغ

(١) كانت في الاصل « ارتفاع »

أَبُو مُحَمَّدٍ دَوَاةً وَمَرْفَعاً[١] وَحَلَّاهُمَا حِلْيَةً كَثِيرَةً مُشْرِفَةً وَكَانَتْ ذِرَاعاً وَكَسْراً فِي عَرْضِ شِبْرٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ آلَاتُهُ عِظَاماً ، حَتَّى إِنَّ آلَةَ[٢] دَسْتِهِ مِثْلَ مَخَادِّهِ مِثْلُ مَسَانِدِ الدُّسُوتِ إِلَى مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مِنْ آلَاتِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَقُدِّمَتِ الدَّوَاةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَرْفَعِهَا وَأَبُو أَحْمَدَ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشِّيرَازِيُّ وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ ، فَتَذَاكَرْنَا سِرًّا حُسْنَ الدَّوَاةِ وَجَلَالَتَهَا وَعِظَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِي :

مَا كَانَ أَحْوَجَنِي إِلَيْهَا لِأَبِيعَهَا وَأَتَّسِعَ بِثَمَنِهَا ! فَقُلْتُ : وَأَيَّ شَيْءٍ يَعْمَلُ الْوَزِيرُ ؟ قَالَ : يَدْخُلُ فِي حِرِ أُمِّهِ . وَسَمِعَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَاجَرَى بَيْنَنَا بِالْإِصْغَاءِ مِنْهُ إِلَيْنَا ، وَذَهَبَ ذَاكَ عَلَيْنَا ، فَاجْتَمَعْتُ مَعَ أَبِي أَحْمَدَ مِنْ غَدٍ فَقَالَ لِي : عَرَفْتَ خَبَرَ الدَّوَاةِ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : جَاءَنِي الْبَارِحَةَ رَسُولُ الْوَزِيرِ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَمَرْفَعُهَا ، وَمِنْدِيلٌ فِيهِ عَشْرُ

---

(١) شيء توضع فيه الدواة وكأنه مرتفع (٢) كانت في الاصل هكذا « آلت »

قِطَعٍ ثِيَاباً حِسَاناً وَخَمْسَةُ آلافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : الْوَزِيرُ يَقُولُ لَكَ : أَنَا عَارِفٌ بِأَمْرِكَ فِي قُصُورِ الْمَوَادِّ عَنْكَ ، وَتَضَاعُفِ الْمُؤَنِ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ شُغْلِي وَانْقِطَاعِي بِهِ عَنْ كُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُنِي ، وَقَدْ آثَرْتُكَ بِهَذِهِ الدَّوَاةِ لِمَا ظَنَنْتُهُ مِنَ اسْتِحْسَانِكَ إِيَّاهَا الْيَوْمَ عِنْدَ مُشَاهَدَتِكَ ، وَحَمَلْتُ مَعَهَا مَاتُجَدِّدُ بِهِ كُسْوَتَكَ وَتُصَرِّفُهُ فِي بَعْضِ نَفَقَتِكَ ، وَانْصَرَفَ الرَّسُولُ ، وَبَقِيتُ مُتَحَيِّراً مُتَعَجِّباً مِنِ اتِّفَاقِ مَاتَجَارَيْنَا بِهِ أَمْسِ وَحُدُوثِ هَـذَا عَلَى أَثَرِهِ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِصِيَاغَةِ دَوَاةٍ أُخْرَى عَلَى شَكْلِهَا وَمِرْفَعٍ مِثْلِ مِرْفَعِهَا ، فَصِيغَتْ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ ، وَدَخَلْنَا إِلَى مَجْلِسِهِ وَقَدْ فُرِغَ مِنْهَا وَتُرِكَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوَقِّعُ مِنْهَا .

وَنَظَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَيَّ وَإِلَى أَبِي أَحْمَدَ وَنَحْنُ نَلْحَظُهَا فَقَالَ : هِيهِ مَنْ مِنْكُمَا يُرِيدُهَا بِشَرْطِ الإِعْفَاءِ مِنَ الدُّخُولِ [1] ؟ فَخَجِلْنَا وَعَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَنَا . وَقُلْنَا :

(١) إشارة إلى الجملة التى سبقت ، وأبو اسحاق وأبو أحمد يتحادثان سراً

بَلْ يُمَتِّعُ اللهُ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا الْوَزِيرَ بِهَا، وَيُبْقِيهِ حَتَّى يَهَبَ أَلْفًا مِثْلَهَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ جَدِّدِ الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، بَلْ لَحْظَةٍ بَلْ لَمْحَةٍ، وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ شَرِيفَةٍ وَهِمَّةٍ عَالِيَةٍ، إِنَّكَ الْعَلِيُّ تُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَتُبْغِضُ سَفْسَافَهَا[1].

قَالَ: وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ: كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ يُنَاصِفُ[2] الْعِشْرَةَ أَوْقَاتَ خَلْوَتِهِ، وَيَبْسُطُنَا[3] فِي الْمَزْحِ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ، فَإِذَا جَلَسَ لِلْعَمَلِ كَانَ امْرَأً وَقُورًا، وَمَهِيبًا وَمَحْذُورًا، آخِذًا فِي الْجِدِّ الَّذِي لَا يَتَخَوَّنُهُ نَقْصٌ، وَلَا يَتَدَاخَلُهُ ضَعْفٌ، فَاتَّفَقَ أَنْ صَعِدَ يَوْمًا مِنْ طَيَّارَةٍ إِلَى دَارِهِ - وَقَدْ حَقَنَهُ الْبَوْلُ وَمَا كَانَ يَعْتَرِيهِ مِنْ سَلَسِهِ - فَقَصَدَ بَعْضَ الْأَخْلِيَةِ فَوَجَدَهُ مُقْفَلًا - وَكَذَاكَ كَانَتْ عَادَتُهُ جَارِيَةً فِي أَخْلِيَةِ دَارِهِ حِفَاظًا لَهَا عَنْ

(١) السفساف: الردىء من كل شىء. والأمر الحقير (٢) يناصف العشرة: أى ينصف ويعدل فى المعاشرة بينه وبين معاشريه (٣) بسط فلانا يبسطه كنصر: سره

الابْتِذَالِ ـ فَأَبَى أَنْ يَدْعُوَ الفَرَّاشَ وَيُحْضِرَ[١]، فَقَالَ لِي مُتَبَادِراً عَلَى نَفْسِهِ :

فَهَبْكَ طَعَامَكَ اسْتَوْثَقْتَ مِنْهُ
فَمَا بَالُ الْكَنِيفِ عَلَيْهِ قُفْلُ ؟

فَقُلْتُ : لَعَمْرِى إِنَّهُ مَوْضِعُ عَجَبٍ، وَإِذَا وَقَعَ الِاحْتِيَاطُ فِي الأَصْلِ فَقَدْ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ فِي الفَرْعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَوْسَعْتَنَا هِجَاءً . فَقُلْتُ : وَجَدْتُ مَقَالاً[٢] . فَقَالَ : اسْكُتْ يَا فَاعِلُ يَا صَانِعُ .

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَأَجْلَسَنِي مُعِزُّ الدَّوْلَةِ لِأَكْتُبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ـ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَائِمٌ فَحَجَبَنِي عَنِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى هَذَا الظِّلَّ ؟ فَقُلْتُ : ثَخِينٌ . فَقَالَ : وَاعَجَبًا ! أُحْسِنُ وَتُسِيءُ . وَضَحِكَ ! وَمِنْ شِعْرِ الْمُهَلَّبِيِّ :

---

(١) بياض بالاصل ولعله يريد « المفتاح » (٢) يريد أنت دعوتني للقول

يَا هِلَالًا يَبْدُوا لِتَهْتَاجَ[1] نَفْسِى
وَهَزَاراً[2] يَشْدُو فَيَزْدَادُ عِشْقِى

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ رِقَّكَ مِلْكِى
كَذَبَ النَّاسُ أَنْتَ مَالِكُ رِقِّى

وَحَدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ : كُنْتُ أَيَّامَ حَدَاثَتِى وَقِصَرِ حَالِى ، وَصِغَرِ تَصَرُّفِى أَسْكُنُ دَاراً لَطِيفَةً ـ وَنَفْسِى مَعَ ذَلِكَ تُنَازِعُ فِى الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ ، إِلَّا أَنَّ الْجَدَّ[3] قَاعِدٌ ، وَالْمَقْدُورَ غَيْرُ مُسَاعِدٍ ـ فَأَصْبَحْتُ يَوْماً وَقَدْ جَاءَ الْمَطَرُ وَازْدَادَتِ الْحُجْرَةُ إِظْلَاماً ، وَصَدْرِى بِهَا ضِيقاً ، فَقُلْتُ :

أَنَا فِى حُجْرَةٍ تَجِلُّ عَنِ الْوَصْـ
ـفِ وَيَعْمَى الْبَصِيرُ فِيهَا نَهَارَا

هِىَ فِى الصُّبْحِ كَالظَّلَامِ وَفِى اللَّيْـ
ـلِ يُوَلِّى الْأَنَامُ عَنْهَا فِرَارَا

---

(١) لتهتاج : أى لتثور . ولعله « فتهتاج » (٢) الهزار : العندليب من نوع الطيور المفردة المتجية (٣) الجد : الحظ

أَنَا مِنْهَا كَأَنَّنِي جَوْفَ[1] بِئْرٍ
أَتَّقِي عَقْرَبًا وَأَحْذَرُ فَارَا

وَإِذَا مَا الرِّيَاحُ هَبَّتْ رُخَاءً[2]
خِلْتُ حِيطَانَهَا تَمِيدُ انْهِيَارَا[3]

رَبِّ عَجِّلْ خَرَابَهَا وَأَرِحْنِي
مِنْ حِذَارِي فَقَدْ مَلِلْتُ الْحِذَارَا

وَتَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ قَالَ: حَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُزَيْمَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ بِالْأَهْوَازِ، فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ شَهْرِ رَمَضَانَ ـ، وَالزَّمَانُ صَائِفٌ وَالْحَرُّ شَدِيدٌ، وَنَحْنُ فِي خَيْشٍ بَارِدٍ ـ، فَسَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ يُنَادِي عَلَى النَّاطِفِ[4] فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْقَاضِي صَوْتَ هَذَا الْبَائِسِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟ وَالشَّمْسُ عَلَى رَأْسِهِ، وَحَرُّهَا تَحْتَ قَدَمِهِ، وَنَحْنُ نُقَاسِي فِي مَكَانِنَا هَذَا الْبَارِدِ مَا يُقَاسِيهِ

(١) جوف ظرف مكان (٢) الرخاء: الريح اللينة (٣) في الأصل « تبيد انتشاراً » (٤) الناطف: القبيطى وهو نوع من الحلوى، سمى به لأنه ينطف قبل استضرابه أي يقطر

مِنَ الْحَرِّ ؟ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَأُحْضِرَ ، فَرَآهُ شَيْخًا ضَعِيفًا عَلَيْهِ قَمِيصٌ رَثٌّ وَهُوَ بِغَيْرِ سَرَاوِيلَ وَفِي رِجْلِهِ تَاسُومَةٌ مُخْلَقَةٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِئْزَرٌ ، وَمَعَهُ نَبِيخَةٌ(١) فِيهَا نَاطِفٌ لَا تُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَكُنْ لَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ مَنْدُوحَةٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَتَنَفَّسَ وَقَالَ : مَا أَهْوَنَ عَلَى الرَّاقِدِ سَهَرَ السَّاهِدِ ! وَقَالَ :

مَا كُنْتُ بَائِعَ نَاطِفٍ فِيمَا مَضَى
لَكِنْ قَضَتْ لِي ذَاكَ أَسْبَابُ الْقَضَا
وَإِذَا الْمُعِيلُ(٢) تَعَذَّرَتْ طَلَبَاتُهُ
رَامَ الْمَعَاشَ وَلَوْ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا(٣)

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَرَاكَ مُتَأَدِّبًا ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَيُّهَا الْوَزِيرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ صِنَاعَتُهُ مَا تَرَى ـ وَأَسَرَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ مَعْنِ بْنِ

(١) فى القاموس عجين أنبخانى ما يسوى من الكعك فينتفخ فيصب عليه الماء فيسترخى ، وخبزة أنبخانية : ضخمة والظاهر أن الأداة التى يباع فيها سميت نبيخة باسم ما فيها والناطف نوع من هذه العجائن «عبد الخالق»

(٢) المعيل : ذو العيال (٣) جمر الغضا : الغضا شجر عظيم واحدته غضاة

زَائِدَةَ - فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَارٍ وَخَمْسَةَ أَثْوَابٍ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ رَسْمًا لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : شَاهَدْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ قَدِ ابْتِيعَ لَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَرْدٌ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَرَشَ بِهِ مَجَالِسَ وَطَرَحَهُ فِي بِرْكَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ فِي دَارِهِ ، وَلَهَا فَوَّارَاتٌ(١) عَجِيبَةٌ يَطْرَحُ الْوَرْدُ فِي مَائِهَا وَيَنْفُضُهُ ، وَبَعْدَ شُرْبِهِ عَلَيْهِ وَبُلُوغِهِ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ أَنْهَبَهُ . وَلِأَبِي عُبَيْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَجَّاجِ يَرْثِي أَبَا مُحَمَّدٍ :

يَا مَعْشَرَ الشُّعَرَاءِ دَعْوَةُ مُوجَعٍ
لَا يُرْتَجَى فَرَحُ السُّلُوِّ لَدَيْهِ
عَزُّوا الْقَوَافِيَ بِالْوَزِيرِ فَإِنَّهَا
تَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ
مَاتَ الَّذِي أَمْسَى الثَّنَاءُ وَرَاءَهُ
وَجَمِيلُ عَفْوِ اللهِ بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) الفوارات : جمع فوارة ، وهي منبع الماء

هَدَمَ الزَّمَانُ بِمَوْتِهِ الْحِصْنَ الَّذِى
كُنَّا نَفِرُّ مِنَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ
وَتَضَاءَلَتْ هِمَمُ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
وَانْبَتَّ حَبْلُ الْمَجْدِ مِنْ طَرَفَيْهِ
عَمْرِى لَئِنْ قَادَتْهُ أَسْبَابُ الرَّدَى
مِثْلَ الْجَوَادِ يُقَادُ فِى شَطَنَيْهِ (١)
فَلْيَعْلَمَنَّ بَنُو بُوَيْهٍ أَنَّمَا
فُجِعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُوَيْهِ

وَلِأَبِى مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىِّ :

أَمِثْلِى يَا أَخِى وَقَسِيمَ نَفْسِى
يُفَارِقُ عَهْدَهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ ؟
وَيَسْلُو سَلْوَةً مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ
وَيَنْسُبُهُ الشَّقِيقُ إِلَى الشِّقَاقِ
فَأُقْسِمُ بِالْعِنَاقِ وَتِلْكَ أَشْفَى
وَأَوْفَى مِنْ يَمِينِى بِالْعَتَاقِ (٢)

---

(١) شطنيه : مثنى شطن : وهو الحبل مطلقا ، أو الحبل الطويل (٢) العتاق : قوله إن فعلت كذا عتق عبيدى وإمائى

لَقَدْ أَلْصَقْتَ بِي طَلَباً قَبِيحاً
تَجَافَى جَانِبَاهُ عَنِ ٱلْتِصَاقِ (١)

وَحَدَّثَ أَبُو النَّجِيبِ شَدَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَزَرِيُّ الشَّاعِرُ الْمُلَقَّبُ بِالظَّاهِرِ قَالَ: كُنْتُ كَثِيرَ الْمُلَازَمَةِ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ، فَاتَّفَقَ أَنِّي غَسَلْتُ ثِيَابِي وَأَنْفَذَ إِلَيَّ يَدْعُونِي، فَاعْتَذَرْتُ بِعُذْرٍ فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَأَلَحَّ فِي ٱسْتِدْعَائِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

عَبْدُكَ تَحْتَ ٱلْحَبْلِ عُرْيَانُ
كَأَنَّهُ — لَا كَانَ — شَيْطَانُ
يَغْسِلُ أَثْوَاباً كَأَنَّ الْبِلَى
فِيهَا خَلِيطٌ (٢) وَهْيَ أَوْطَانُ
أَرَقُّ مِنْ دِينِي إِنْ كَانَ لِي
دِينٌ كَمَا لِلنَّاسِ أَدْيَانُ

---

(١) قوله تجافى الخ: يريد استناداً إلى فرش، وذلك كناية عن الأرق «عبد الخالق»

(٢) خليط: شريك أو الجماعة المخالطون المعاشرون

كَأَنَّهَا حَالِيَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُصْبِحَ عِنْدِي لَكَ إِحْسَانُ
يَقُولُ مَنْ يُبْصِرُنِي مُعْرِضاً (١)
فِيهَا وَلِلْأَقْوَالِ بُرْهَانُ
هَذَا الَّذِي قَدْ نُسِجَتْ فَوْقَهُ
عَنَاكِبُ الْخِيطَانِ إِنْسَانُ ؟ (٢)

فَأَنْفَذَ لِي جُبَّةً وَقَمِيصاً وَعِمَامَةً وَسَرَاوِيلَ وَكِيساً فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَقَالَ :

قَدْ أَنْفَذْتُ لَكَ مَا تَلْبَسُهُ وَتَدْفَعُهُ إِلَى الْخَيَّاطِ لِيُصْلِحَ لَكَ الثِّيَابَ عَلَى مَا تُرِيدُهُ ، فَإِنْ كُنْتَ غَسَلْتَ التِّكَّةَ

---

(١) أى أعرض فيها (٢) يريد أهذا إنسان فالذى بدل من هذا ومن أحسن مافى البيت تشبيه ثيابه بنسيج العنكبوت ، ويرى زميلى حضرة الاستاذ أحمد يوسف نجاتى الرأى الآتى فى إعراب هذا البيت وهو أن يكون « إنسان » خبرا لمبتدإ « هذا » وجملة قد نسجت فوقه الخ من الفعل ونائب فاعله صلة أى هو إنسان وإن كان يلبس نسيج العناكب فلا تظنوا أنه عنكبوت وفيه تعريض بمن أهملوه وحسن طلب من الوزير أن الانسان لاينبغى له أن يلبس نسيج العناكب وبنو نوعه من بنى الانسان قادرون على كسوته ثياب الناس لاثياب الحشرات ونسيجها
« عبد الخالق »

وَاللَّالَكَةَ فَعَرَّفَنِي لِأُنْفِذَ لَكَ عِوَضَهَا. وَلِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ:

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْغَيْمُ دُونَهَا
حِجَابٌ بِهِ صِينَتْ فَمَا يَتَهَتَّكُ
عَرُوسٌ بَدَتْ فِي زُرْقَةٍ مِنْ ثِيَابِهَا
تَجَلَّلَهَا[1] فِيهَا رِدَاءٌ مُمَسَّكُ

قَرَأْتُ بِخَطِّ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِىءِ: أَنْشَدَنِي وَالِدِي قَالَ: أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ:

إِذَا تَكَامَلَ لِي مَا قَدْ ظَفِرْتُ بِهِ
مِنْ طِيبِ مُسْمِعَةٍ وَصَوْتِ رَنَّانِ[2]
وَقَهْوَةٍ لَوْ تَرَاهَا خِلْتَ رِقَّتَهَا
دِينِي وَمِنْ حَاجِزٍ[3] إِنْ شِئْتُ أَغْنَانِي
فَمَا أُبَالِي بِمَا لَاقَى الْخَلِيفَةُ مِنْ
بَغْيِ الْخَصِيِّ وَعِصْيَانِ ابْنِ حَمْدَانِ

(١) أى عمها وجلل الشىء تجليلا، أى عم (٢) كانت فى الأصل «ظرف رمان» وفى نفسى من قوله ظرف رمان شىء وأراها صوت رنان كما ذكرت ولعلى مصيب لانى لا أرى للجملة الاولى معنى (٣) والحاجز من يقوم فيمنع الظالم أو يمنع الداخلين عليه وفى الاصل هكذا:

* دينى حافز ومن أين شئت غنانى *

«عبد الخالق»

وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عبَّادٍ : أَنْشَدَنِي الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ :

قَالَ لِي مَنْ أُحِبُّ وَالْبَيْنُ قَدْ جَدْ
دَ وَفِي مُهْجَتِي لَهِيبُ الْحَرِيقِ
مَا الَّذِي فِي الطَّرِيقِ تَصْنَعُ بَعْدِي
قُلْتُ أَبْكِي عَلَيْكَ طُولَ الطَّرِيقِ ؟

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى طَعَامِهِ وَكَانَ طَيِّبَ الْحَدِيثِ ، وَأَكْثَرُهُ مُذَاكَرَةٌ بِالْأَدَبِ وَضُرُوبِ الْحَدِيثِ عَلَى الْمَائِدَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ يَجْمَعُهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالنُّدَمَاءِ ، وَكُنْتُ كَثِيراً مَا أَحْضُرُ ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ حَجَلٌ[1] فَقَالَ لِي :

أَذْكَرَنِي هَذَا حَدِيثاً طَرِيفاً ، وَهُوَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ

---

(١) الحجل واحده حجلة : وهو الكروان

من كان يعاشر الراسيّ[١] الأمير قال : كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله ، وكان ممن يقطع الطريق ، ثم استأمن إليه فآمنه واختصه ، وطالت أيامه معه ، وكان في ذلك اليوم على مائدته إذ قدم حجل فألقى الراسيّ منه واحدة إلى الكردي كما تلاطف الرؤساء مؤاكليهم ، فأخذها الكردي فجعل يضحك ، فتعجب الراسيّ من ذلك وقال : ما سبب هذا الضحك وما جرى ما يوجبه ؟ فقال : خبر كان لي ، فقال أخبرني به ، فقال : شيء طريف ذكرته لما رأيت هذه . قال : فما هو ؟ قال :

كنت أيام قطع الطريق قد اجتزت في المحجة[٢] الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه ، فاستقبلني رجل وحده ، فاعترضته وصحت عليه فاستسلم إليّ ووقف ، فأخذت ما كان معه وطالبته أن

(١) في الأصل « الشرابي » والراسي عامل خوزستان كما قال الذهبي في طبقاته

(٢) المحجة : جادة الطريق

يتعرّى ففعل ومضى لينصرف ، فخفت أن يلقاه في الطريق من يستفزّه عليّ فأُطلب وأنا وحدي فأوخذ ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله ، فقال يا هذا : أيّ شيء بيني وبينك ؟ أخذت ثيابي ولا فائدة لك في قتلي ، فكتفته ولم ألتفت إلى قوله ، وأقبلت أُقنّعه (١) بالسيف ، فالتفت كأنّه يطلب شيئاً فرأى حجلة قائمة على الجبل فصاح : يا حجلة اشهدي لي عند الله تعالى أنّي أُقتل مظلوماً ، فما زلت أضربه حتى قتلته ، وسرت فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة ، فذكرت حماقة هذا الرجل فضحكت ، فانقلب عليه الراسبيّ في رأسه حرد (٢) وقال :

لا جرم والله إنّ شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة ، وما آمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل ، فأمّا الدماء فمعاذ الله أن أسقطها

(١) أقنعه بالسيف : أي أغشيه به وأضربه (٢) حرد : أي غضب . يقال حرد عليه : أي غضب

عَنكَ يَابْنَ الفَاعِلَةِ بِالأَمَانِ ، وَقَدْ أَجرَى اللهُ عَلى لِسانِكَ الإِقْرَارَ عِندِي . يَا غِلْمَانُ اضْرِبُوا عُنُقَهُ ، قَالَ : فَبَادَرَ الغِلْمَانُ إِلَيْهِ بِسيُوفِهِمْ يَخْبِطُونَهُ حَتَّى تَدَحْرَجَ رَأْسُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى المَائِدَةِ وَجُرَّتْ جُثَّتُهُ ، وَمَضَى الرَّاسِبِيُّ حَتَّى أَتَمَّ غَدَاءَهُ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : حَضَرْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ فِي وِزَارَتِهِ ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ شَاعِرٌ رُقْعَةً صَغِيرَةً فَقَرَأَهَا وَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَطَرَحَ الرُّقْعَةَ فَقَرَأْتُهَا وَإِذَا فِيهَا :

يَا مَنْ إِلَيْهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ
قَدْ مَسَّ حَالَ عُبَيْدِكَ الضُّرُّ
لَا تَتْرُكَنَّ الدَّهْرَ يَظْلِمُنِي
مَا دَامَ يَقْبَلُ قَوْلَكَ الدَّهْرُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّابِئُ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يُخَاطَبُ بِالأُسْتَاذِيَةِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : كُنتُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ ، نَحْضُرُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَاصْطَحَبْتُ أَنَا وَأَبُو الفَتْحِ عَبْدُ الوَاحِدِ

ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ الْكَاتِبُ فِي دَارِ أَبِي الْغَنَائِمِ الْفَضْلِ بْنِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ لِنُهَنِّئَهُ بِالشَّهْرِ عِنْدَ تَوَجُّهِ أَبِيهِ إِلَى عُمَانَ ، وَبَلَغَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِعَلْيَابَاذَ[(١)] ، فَفَتَرَتْ نِيَّتُهُ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى عُمَانَ ، وَاسْتَوْحَشَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْهُ وَفَسَدَ رَأْيُهُ فِيهِ ، وَاعْتَلَّ الْمُهَلَّبِيُّ هُنَاكَ ، ثُمَّ أَمَرَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالرُّجُوعِ مِنْ عَلْيَابَاذَ ، وَأَلَّا يَتَجَاوَزَهُ ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ مُرْجِفٍ[(٢)] بِأَنَّهُ يَقْبِضُ عَلَيْهِ إِذَا حَصَلَ بِوَاسِطَ أَوْ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَقَوْمٌ يُرْجِفُونَ بِوَفَاتِهِ ، وَخَلِيفَتُهُ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْوِزَارَةِ بِبَغْدَادَ : أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، وَأَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَجِئْنَا إِلَى أَبِي الْغَنَائِمِ ، وَدَخَلْنَا إِلَيْهِ

---

(١) هو غير الموضع المذكور فى معجم البلدان (٢) مرجف : من أرجف القوم : أى خاضوا فى أخبار الفتن ونحوها على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب ، من غير أن يصح عندهم شىء . ومنه قوله تعالى فى سورة الأحزاب : « والمرجفون فى المدينة »

وَهُوَ جَالِسٌ فِي عُرْضِيٍّ دَارِهِ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِيهِ عَلَى دِجْلَةَ عَلَى الصَّرَاةِ عِنْدَ شُبَّاكٍ عَلَى دِجْلَةَ ، وَهُوَ فِي دَسْتٍ كَبِيرٍ عَالٍ جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، فَهَنَّأْنَاهُ بِالشَّهْرِ وَجَلَسْنَا ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَبِيٌّ غَيْرُ بَالِغٍ إِلَّا أَنَّهُ مُحَصِّلٌ(١) ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْفَرَجِ فَدَخَلَا إِلَيْهِ وَهَنَّآهُ بِالشَّهْرِ ، فَأَجْلَسَ أَحَدَهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ عَلَى طَرَفِ دَسْتِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ فَضْلَةُ الْمَخَادِّ إِلَى الدَّسْتِ ، مَا تَحَرَّكَ لِأَحَدِهِمَا وَلَا انْزَعَجَ وَلَا شَارَكَاهُ فِي الدَّسْتِ ، وَأَخَذَا مَعَهُ فِي الْحَدِيثِ ، وَزَادَتْ مُطَاوَلَتُهُمَا ، وَأَبُو الْفَضْلِ يَسْتَدْعِي خَادِمَ الْحَرَمِ فَيُسَارُّهُ فَيَمْضِي وَيَعُودُ وَيُخَاطِبُهُ سِرًّا ، إِلَى أَنْ جَاءَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ فَسَارَّهُ فَنَهَضَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَرَجِ : إِلَى أَيْنَ يَاسَيِّدِي ؟ فَقَالَ : أُهَنِّئُ مَنْ يَجِبُ تَهْنِئَتُهُ وَأَعُودُ إِلَيْكَ ، فَكُنْ مَكَانَكَ ، وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ زَوْجَ زِينَةَ ابْنَةِ أُخْتِ أَبِي الْغَنَائِمِ

---

(١) يقال حصل الشيء : أي جمعه فهو محصل أي جامع لصفات الرجولة وكمال الأدب

مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ تَجَنّى ، فَحِينَ دَخَلَ وَاطْمَأَنَّ قَلِيلًا وَقَعَ الصُّرَاخُ وَتَبَادَرَ الْخَدَمُ وَالْغِلْمَانُ ، وَدُعِيَ الصَّبِيُّ وَكَانَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِ خَبَرُ مَوْتِ أَبِيهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِشِدَّةِ عِلَّتِهِ ، فَقَامَ فَأَمْسَكَهُ أَبُو الْفَرَجِ وَقَالَ : اجْلِسْ - وَقَبَضَ عَلَيْهِ - وَخَرَجَ أَبُو الْفَضْلِ وَقَدْ قَبَضَ عَلَى تَجَنّى أُمِّ الصَّبِيِّ وَوَكَّلَ بِهَا خَدَمًا وَخَتَمَ الْأَبْوَابَ ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّبِيِّ : قُمْ يَا أَبَا الْغَنَائِمِ إِلَى مَوْلَانَا — يَعْنِي مُعِزَّ الدَّوْلَةِ — فَقَدْ طَلَبَكَ ، وَقَدْ مَاتَ أَبُوكَ ، فَبَكَى الصَّبِيُّ وَسَعَى إِلَيْهِ وَعَلِقَ بِدُرَّاعَتِهِ [1] وَقَالَ :

يَا عَمِّ اللهَ اللهَ فِيَّ — يُكَرِّرُهَا — فَضَمَّهُ أَبُو الْفَضْلِ إِلَيْهِ وَاسْتَعْبَرَ وَقَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ وَلَا خَوْفٌ ، وَانْحَدَرُوا إِلَى زَبَازِبِهِمْ [2] ، فَجَلَسَ أَبُو الْفَرَجِ فِي زَبْزَبِهِ ، وَجَلَسَ أَبُو الْفَضْلِ فِي زَبْزَبِهِ وَأَجْلَسَ الْغُلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأُصْعِدَتِ الزَّبَازِبُ تُرِيدُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ .

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ، والجمع دراريع

(٢) زبازبهم : جمع زبزب : وهو ضرب من السفن

فَقَالَ أَبُو الفَتْحِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ : مَارَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قطُّ وَلَا سَمِعْتُ ، لَعَنَ اللهُ الدُّنْيَا ، أَلَيْسَ السَّاعَةَ كَانَ هَذَا الْغُلَامُ فِي الصَّدْرِ مُعَظَّماً وَخَلِيفَتَا أَبِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَا افْتَرَقَا حَتَّى صَارَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ذَلِيلًا حَقِيراً ، ثُمَّ جَرَى مِنَ الْمُصَادَرَاتِ عَلَى أَهْلِهِ وَحَاشِيَتِهِ مَالَمْ يَجْرِ عَلَى أَحَدٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ وِشَاحٍ الْكَاتِبُ : قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ [1] بْنِ سُكَّرَةَ الْهَاشِمِيُّ مِنْ وَلَدِ الْمَهْدِيِّ : خَرَجْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ قَاصِداً لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ مَادِحاً لَهُ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ أَنْشَدْتُهُ :

قِفِي حَيْثُ انْتَهَيْتِ مِنَ الصُّدُودِ
وَلَا تَتَعَمَّدِي قَتْلَ الْعَمِيدِ [2]
فَقَدْ وَهَوَاكِ وَهُوَ أَجَلُّ حِلْفِي
حَمَيْتِ نَظِيرَتَيْكِ مِنَ الْهُجُودِ

(١) في اليتيمة : عبد الله (٢) أي المعمود من الحب . والعميد منه : من هده العشق

هَجَرْتِ مُقِيمَةً وَظَعَنْتِ (١) غَضْبَى

تَخَرَّبْتِ الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ

فِرَاقُ ظَعِينَةٍ وَفِرَاقُ رَأْيٍ

يَكُرُّهُمَا عَلَيَّ فِرَاقُ جُودِ

ثَلَاثٌ مَا اجْتَمَعْنَ عَلَى ابْنِ حُبٍّ

صُدُودٌ فِي صُدُودٍ فِي صُدُودِ

قَالَ وَانْصَرَفْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اسْتَدْعَانِي وَقَالَ :

اسْمَعْ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّاذِ (٢) يَمْشِي

عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

فَقُلْتُ لَهُ فَدَيْتُكَ كَيْفَ هَذَا

بِلَا وَاشٍ أَتَيْتَ وَلَا رَقِيبِ ؟

فَقَالَ الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصاً

رَقِيقَ الْجِسْمِ مِنْ شَفَقِ الْغُرُوبِ

---

(١) ظعنت : رحلت (٢) اللاذ : واحده لاذة . واللاذة : ثوب حرير أحمر صيني فارسي معرب

فَثَوْبِي وَالْمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي

قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

﴿ ١٣ – الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَبِي الشَّخْبَاءِ * ﴾

الحسن بن محمد العسقلاني

أَبُو عَلِيٍّ الْعَسْقَلَانِيُّ صَاحِبُ الرَّسَائِلِ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مُعْتَقَلًا بِمِصْرَ فِي خِزَانَةِ الْبُنُودِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُجِيدِ ذِي الْفَضِيلَتَيْنِ، أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ الشُّعَرَاءِ، لَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ مَشْهُورَةٌ، قِيلَ: إِنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنَ الْبَيْسَانِيِّ مِنْهَا اسْتَمَدَّ، وَبِهَا اعْتَدَّ، وَأَظُنُّهُ كَتَبَ فِي دِيوَانِ الرَّسَائِلِ لِلْمُسْتَنْصِرِ صَاحِبِ مِصْرَ، لِأَنَّ فِي رَسَائِلِهِ جَوَابَاتٍ إِلَى الْفَسَاسِيرِيِّ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ رَسَائِلِهِ إِخْوَانِيَّاتٌ، وَمَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَوُزَرَاءِ أُمَرَاءِ زَمَانِهِ، وَهَا أَنَا أَكْتُبُ مِنْهَا مَاسَنَحَ لِتَعْرِفَ

(*) راجع وفيات الأعيان ج ثان ص ١٣٣

قَدْرَ بِضَاعَتِهِ ، وَمَغْزَى صِنَاعَتِهِ نَظْمًا وَنثرًا . قَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَخَذَتْ لَحَاظِى مِنْ جَنَا خَدَّيْكِ
أَرْشَ (١) الَّذِى لَاقَيْتُ مِنْ عَيْنَيْكِ
هَيْهَاتَ ، إِنِّى إِنْ وَزَنْتُ بِمُهْجَتِى
نَظَرِى إِلَيْكِ فَقَدْ رَبِحْتُ عَلَيْكِ
غُضِّى جُفُونَكِ وَانْظُرِى تَأْثِيرَ مَا
صَنَعَتْ لَحَاظُكِ فِى بَنَانِ يَدَيْكِ
هُوَ - وَيْكِ - نَضْحُ دَمِى وَعَزَّ عَلَىَّ أَنْ
أَلْقَاكِ فِى عُرْضِ الْخِطَابِ بِوَيْكِ
فَسَلَكْتُ فِى فَيْضِ الدُّمُوعِ مَسَالِكًا
قَصُرَتْ بِهَا يَدُ عَامِرٍ وَسُلَيْكِ
صَانُوكِ بِالسُّمْرِ اللِّدَانِ وَصُغْتِهِمْ
بِنَوَاظِرٍ فَحَمَيْتِهِمْ وَحَمَوْكِ

(١) الأرش : الدية ، وفى الشرع : بدل مادون النفس من الأطراف

لَوْ يُشْهِرُونَ سُيُوفَ لَحْظِكِ فِى الْوَغَى
لَاسْتَقْرَءُوا فِيهَا قَنَا أَبَوَيْكِ

وَقَدْ كَتَبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: لَمَّا حُدِيَتْ رِكَابُ مَوْلَاىَ أَخَذَ صَبْرِى مَعَهُ، وَصَحِبَهُ قَلْبِي وَتَبِعَهُ:

فَعَجِبْتُ مِنْ جِسْمٍ مُقِيمٍ سَائِرٍ
كَمَسِيرِ بَيْتِ الشِّعْرِ وَهْوَ مُقَيَّدُ

وَبَقِيتُ بَعْدَهُ أُقَاسِى أُمُوراً تُخِفُّ (١) الْحَلِيمَ، وَتُرْعِي الْهَشِيمَ، إِنْ رَجَوْتُ مِنْهَا غَفْلَةً اقْتَحَمَتْ، وَإِنْ رُمْتُ مِنْهَا فُرْجَةً تَضَايَقَتْ وَالْتَحَمَتْ، وَأَمَّا الْوَحْشَةُ فَقَدِ اصْطَبَحْتُ مِنْهَا كَأْساً مُتْرَعَةً، وَتَجَرَّعْتُ مِنْ صَابِهَا أَمَرَّ جُرْعَةٍ، وَرَأَيْتُ فُؤَادِى إِذَا مَرَّ ذِكْرُ مَوْلَاىَ، يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ خِدْرِهِ، وَيَرْغَبُ فِى مُفَارَقَةِ صَدْرِهِ، حَنِيناً يُجَدِّدُهُ السَّمَاعُ،

(١) تخف الحليم: من أخف: أى تزيل حلمه وتحمله على الخفة

وَصُدُوداً يَنْتَفِضُ مِنْهُ الأَضْلاعُ (١) وَزَفْرَةً يَذْمِي فِي غِرَارِهَا، وَيَطْلُعُ فِي التَّرَائِبِ (٢) شَرَارُهَا:

أُدَارِي شَجَاهَا (٣) كَيْ تُخَلِّي مَكَانَهَا
وَهَيْهَاتَ أَلْقَتْ رَحْلَهَا وَاطْمَأَنَّتِ

وَأَمَّا مَا أُعَانِي بَعْدَ مَسِيرِهِ فَأَشْيَاءُ: مِنْهَا عَيْثُ (٤) الأَلَمِ مَرَّةً، وَزَوَالُ الاسْتِمْتَاعِ بِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَرَّةِ، وَمِنْهَا اضْطِرَارِي إِلَى كَثْرَةِ مُكَابَرَةِ مَنْ أَعْلَمُ دَخَلَ (٥) سَرَائِرِهِ، وَاخْتِلافَ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَتَكَلُّفَ اللِّقَاءِ لَهُ بِصَفْحَةٍ مُسْتَبْشِرَةٍ، وَأَخْلَاقٍ غَيْرِ مُتَوَعِّرَةٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ نُفُورَ طِبَاعِي مِمَّنْ رَآهُ أَهْلُ الأَدَبِ مِنَ الأَدَبِ غُفْلاً (٦)، وَمِنْ ذَخَائِرِهِ مُقْفَلاً، لَكِنَّ السِّيَاسَةَ تَقْتَضِي اعْتِمَادَ مَا ذَكَرْتُ، وَتُوجِبُ قَصْدَ مَا شَرَحْتُ، وَإِنْ كَانَ مَوْرِداً غَيْرَ عَذْبٍ، وَثَقِيلاً عَلَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ:

(١) فى الاصل: الاظلاع (٢) الترائب: عظام الصدر. جمع تريبة (٣) الشجى: الهم والحزن (٤) العيث: مصدر عاث الشىء يعيث يريد الافساد وفى رأيى أنها عبء الألم أى ثقله «عبد الخالق» (٥) فى الاصل «ذحل سرائره» الذحل: العداوة والحقد، والجمع أذحال وذحول وقد جعلناها «دخل» لمناسبة ما بعدها (٦) غفلا: أى لا نصيب له منه

وَلَرُبَمَا ابْتَسَمَ الْفَتَى وَفُؤَادُهُ
شَرِقُ الضُّلُوعِ بِرَنَّةٍ وَعَوِيلِ

وَمِنْهَا انْعِكَاسُ كَثِيرٍ مِنَ الآمَالِ ، وَارْتِشَافُ[١] الصُّبَابَةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْحَالِ ، بِجَوائحَ[٢] مِصْرِيَّةٍ وَشَامِيَّةٍ ، وَفَوَادِحَ[٣] أَرْضِيَّةٍ وَسَمَاوِيَّةٍ ، وَلَا أَشْكُو بَلْ أُسَلِّمُ لَهُ مُذْعِنًا ، وَأَرَى فِعْلَهُ كَيْفَ تَصَرَّفَتِ الْأَحْوَالُ جَمِيلًا حَسَنًا :

وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ
خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا

وَاللهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَهَبَ لِي مِنْ قُرْبِ مَوْلَايَ مَا يَأْسُو هَذِهِ الْكُلُومَ ، وَيُجَدِّدُ مِنَ الْمَسَرَّةِ عَافِيَ الرُّسُومِ ، بِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ ، وَسَائِرِ النَّوَائِبِ الْكَوَارِثِ ،

---

(١) الارتشاف : المبالغة فى مص الماء (٢) الجوائح جمع جائحة : وهى الشدة والمصيبة العظيمة التى تجتاح المال وتستأصله كله (٣) الفوادح : خطوب الدهر ، جمع فادحة

إِذَا قَرُبَتِ الْخُطْوَةُ ، وَاسْتُجِيبَتْ هَـٰذِهِ الدَّعْوَةُ ، تُمْسِي غَيْرَ مَذْكُورَةٍ ، وَبِجَنَاحِ التَّجَاوُزِ مَكْفُورَةً .

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْفَرَجِ الْمُوَفَّقِ جَوَابًا عَنْ رُقْعَةٍ :

وَصَلَتْ رُقْعَةُ مَوْلَايَ وَالصُّبْحُ قَدْ سَلَّ عَلَى الْأُفُقِ مِقْضَبَهُ (١) ، وَأَزَالَ بِأَنْوَارِ الْغَزَالَةِ غَيْهَبَهُ (٢) ، فَكَانَتْ بِشَهَادَةِ اللهِ صُبْحَ الْآدَابِ وَنَهَارَهَا ، وَثِمَارَ الْبَلَاغَةِ وَأَزْهَارَهَا ، قَدْ تَوَشَّحَتْ بِضُرُوبٍ مِنَ الْفَضْلِ تُقَصِّرُ قَاصِيَةَ الْمَدَى ، وَيَجْرِي بِهِ فِي مِضْمَارِ الْأَدَبِ مُفْرَدًا :

فَكَأَنَّ رَوْضَ الْحُسْنِ تَنْثُرُهُ الصَّبَا
فَأَطَلْتُ مِنْ قِرْطَاسِهَا أَتَصَفَّحُ (٣)

فَأَمَّا مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ وَصْفِي ، فَقَدْ صَارَتْ حَضْرَتُهُ السَّامِيَةُ تَتَسَمَّحُ فِي الشَّهَادَةِ بِذَلِكَ مَعَ مُنَاقَشَتِهَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَنَّهَا لَا تُوقِعُ أَلْفَاظَهَا إِلَّا مَوَاقِعَ الْحَقِيقَةِ . فَإِنْ

---

(١) المقضب : آلة القضب ، وهو القطع (٢) الغيهب : الظلمة (٣) عجز البيت كما فى العماد وفى الاصل : « فأطلعت » وأصلها أطلات فحذفت العين فصار أطلت على حد قولهم فى أقررت أقرت « عبد الخالق »

كُنْتُ قَدْ بَهْرَجْتُ عَلَيْهَا فَلْتُرَاجِعْ (١) نَقْدَهَا تَجِدْنِي لَا أَسْتَحِقُّ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْهَابِ فَضْلًا، وَلَا أُعَدُّ لِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ أَهْلًا، وَبِالْجُمْلَةِ فَاللهُ يُنْهِضُنِي بِشُكْرِ هَذَا الْإِنْعَامِ الَّذِي يَقِفُ عِنْدَهُ الثَّنَاءُ، وَيَضْلَعُ (٢)، وَيَحْصَرُ دُونَهُ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ:

هَيْهَاتَ تُعْيِي الشَّمْسُ كُلَّ مُرَامِقٍ (٣)
وَيَعُوقُ دُونَ مَنَالِهَا الْعَيُّوقُ (٤)

وَأَمَّا الْفَضْلُ الَّذِي أَوْدَعَهُ الرُّقْعَةَ الْكَرِيمَةَ مِنْ قَوْلِهِ: « فَأَمَّا فُلَانٌ فَيَحُلُّ فِي قَوْمِهِ، وَيَفْرَحُ بِالضُّيُوفِ فَرَحَ حَنِيفَةَ بِابْنِ الْوَلِيدِ، قُدُورُهُ عَمَّارِيَّةٌ، وَعَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّةٌ، وَيَهْوَيْنَ لَوْ خَلْقَ الرِّجَالُ خَلْقَ الضِّبَابِ، يَتَضَوَّعْنَ النَّشْرَ الْعَبْقَسِيَّ، وَيَرْضَعْنَ مَرَاضِعَ ثُعَالَةَ الْمُجَاشِعِيِّ » وَمَا أَمَرَتْ حَضْرَتُهُ السَّامِيَةُ مِنْ ذِكْرِ مَا عِنْدِي فِيهِ فَقَدْ تَأَمَّلْتُهُ

(١) فى الأصل : فتراجع (٢) يضلع : أى يعيا لأنه لا يفى بما له
(٣) المرامق : الذى ينظر إلى الشىء (٤) العيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا لا يتقدمها

طَوِيلًا ، وَعَبَّرَ الخَادِمُ فِيهِ بِمَا أَنَا ذَاكِرُهُ ، رَاغِباً فِي الرِّضَا بِمَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ المَقْدُرَةُ ، وَتَجْلِيلِ ذَلِكَ بِسُجُوفِ(١) الصَّفْحِ .

أَمَّا قَوْلُهُ : « يَفْرَحُ بِالضُّيُوفِ فَرَحَ حَنِيفَةَ بِابْنِ الْوَلِيدِ » فَيَقَعُ لِي أَنَّهُ أَرَادَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيَّ ، وَذَلِكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الْحَنَفِيَّ كَانَ قَدْ تَنَبَّأَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ - فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَفَتَحَ الْيَمَامَةَ وَقَتَلَ مُسَيْلِمَةَ وَأَبَادَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ(٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ . « قُدُورُهُ عَمَّارِيَّةٌ » فَإِنَّ هَذَا الْفَصْلَ لَمَّا كَانَ مَبْنِيّاً عَلَى الذَّمِّ وَجَبَ أَنْ يُتَطَلَّبَ لِهَذَا السَّبَبِ مَعْنًى يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ نَجِدْ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا قَوْلَ الفَرَزْدَقِ :

لَوْ أَنَّ قِدْراً بَكَتْ مِنْ طُولِ مَا حُبِسَتْ
عَنِ(٣) الْحُقُوقِ بَكَتْ قِدْرُ ابْنِ عَمَّارِ

(١) السجوف جمع سجف وسجاف : وهو الستر (٢) وأرى أن هذا لا يكون فكيف تفرح حنيفة بخالد وقد أباد من أباد إلا إن قلنا إن حنيفة كانت تكره مسيلمة (٣) فى الأصل : على

مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مُذْ فُضَّ (١) مَعْدِنُهَا
وَلَا رَأَتْ بَعْدَ نَارِ الْقَيْنِ مِنْ نَارِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « عَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّةٌ » فَيَقْوَى فِي وَهْمِي أَنَّهُ أَرَادَ قَوْلَ الْأَوَّلِ فِي هِجَائِهِ :

إِذَا أَسَدِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكْهَا
فَإِنَّ عُطَاسَهَا طَرَقُ الْوِدَاقِ (٢)

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَهْوَيْنَ لَوْ خُلِقَ الرَّجُلُ خَلْقَ الضِّبَابِ » فَإِنَّ الْجَاحِظَ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانِ ، أَنَّ لِلضَّبِّ أَيْرَيْنِ وَلِلضَّبَّةِ حِرَيْنِ ، وَحَكَى أَنَّ أَيْرَ الضَّبِّ أَصْلُهُ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا يَتَفَرَّقُ فَيَصِيرُ أَعْلَاهُ اثْنَيْنِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ (٣) :

رَعَيْنَ الدَّبَا وَالْبَقْلَ حَتَّى كَأَنَّمَا
كَسَاهُنَّ سُلْطَانٌ ثِيَابَ مَرَاجِلِ

---

(١) فض : أى ثقب : والقين : الحداد (٢) الوداق : اسم من ودقت ذات الحافر ودقا : أرادت النحل ، فهى وادق (٣) فى كتاب الحيوان « ٦ : ٢٢ » أورد للفرزدق أربعة أبيات ، منها البيتان

سِبَحْلٌ لَهُ نِزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً
عَلَى كُلِّ حَافٍ فِى الْبِلَادِ وَنَاعِلِ

وَالنِّزْكُ : اسْمُ أَيْرِ الضَّبِّ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِابْنِ دَزْمَاءَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو خَالِدٍ النُّمَيْرِيُّ [١] :

تَفَرَّقْتُمُ لَا زِلْتُمُ قَرْنَ وَاحِدٍ
تَفَرُّقَ أَيْرِ الضَّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدُ

وَمِنْ هٰهُنَا قَالَتْ حُبَّى [٢] الْمَدَنِيَّةُ لَمَّا عَذَلَهَا أَبُوهَا فِى تَزَوُّجِهَا ابْنَ أُمِّ كِلَابٍ :

وَدِدْتُ بِأَنَّهُ ضَبٌّ وَأَنِّى
ضُبَيْبَةُ كُدْيَةٍ [٣] وَجَدَتْ خَلَاءَ

---

(١) النميرى : هو أبو حية دون أبى خالد . وقد غلط الراوى كثيرا فيما أورده ههنا

(٢) كانت بالاصل . « الحسبي » وأصلحناه إلى « حبي » فهى المشهورة بأنها كانت تهوى ابن أم كلاب ، وفى ذلك يقول هدبة بن خشرم العذرى :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد حبي بابن أم كلاب

وهي حبي بنت الأسود من بنى بحتر بن عتود ، وكان حريث بن عتاب الطائى يهواها فخطبها ولم ترضه وتزوجت غيره من بنى ثعل فطفق يهجو بنى ثعل لذلك « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) الكدية والكداية : الارض الغليظة . ويقال : ضب الكدية ، وضباب الكدى لولعها بحفرها .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَتَضَوَّعْنَ النَّشْرَ » فَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : هُوَ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخِ مَهْوٍ ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ابْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ إِيَادًا كَانَتْ أَفْسَى الْعَرَبِ ، فَوَفَدَ وَافِدُهُمْ إِلَى الْمَوْسِمِ بِسُوقِ عُكَاظَ وَمَعَهُ حُلَّةٌ نَفِيسَةٌ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، مَنْ يَشْتَرِى مِنِّى مَثَابَةَ (١) قَوْمٍ لَا تَضُرُّهُ بِحُلَّتِى هَذِهِ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ الْمَهْوِىُّ : أَنَا أَشْتَرِيهَا . فَقَالَ الْإِيَادِىُّ : أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَنِّى قَدْ بِعْتُ فُسَاءَ إِيَادٍ لِوَافِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِحُلَّتِى هَذِهِ ، وَتَصَافَحَا وَافْتَرَقَا مُتَرَاضِيَيْنِ وَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهِمَا أَهْلُ الْمَوْسِمِ ؛ فَصَارَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ أَفْسَى الْعَرَبِ . وَقِيلَ لِابْنِ مَنَاذِرٍ (٢) : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ فَقَالَ شُمَّ وَمُرَّ :

فَإِنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ مِنْ لُؤْمِهَا تَفْسُو فُسَاءً رِيحُهُ تَعْبَقُ

---

(١) المثلبة بفتح اللام وضمها : اللوم والعيب (٢) مناذر : بفتح الميم وقد تضم شاعر بصرى وسمى كذلك لأنه منذر بن منذر بن منذر

مَنْ كَانَ لَا يَدْرِى لَهَا مَنْزِلًا
فَقُـلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « أَعْطَشُ مِنْ ثُعَالَةَ الْمُجَاشِعِىِّ » فَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْـكَلْبِىُّ قَالَ : هُمَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِى مُجَاشِعٍ عَطِشَا فَالْتَقَمَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيْرَ صَاحِبِهِ يَشْرَبُ بَوْلَهُ ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا شَيْئًا ، وَمَاتَا عَطَشًا وَوُجِدَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو بَنِى دَارِمٍ :

رَضَعْتُمْ ثُمَّ بَالَ عَلَى لِحَاكُمْ
ثُعَالَةُ حِينَ لَمْ يَجِدَا الشَّرَابَا

هَذَا مَا وَقَعَ لِى فِى هَذَا الْفَصْلِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ(١) قَدْ ذَهَبْتُ إِلَى مَاقَصَدَهُ قَائِلُهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ يَهْنِئُ بِكَسْرِ أَتْسِزَ(٢) بْنِ أَوْقٍ الْغُزِّىِّ ، وَكَانَ

(١) فى الاصل : تكون (٢) هو أتسز بن أوق الخوارزى التركمانى صاحب الشام ومقدم الاتراك ظهر سنة ٤٦٣ ، وفتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وخرب الشام ، وفى سنة ٤٦٨ استولى على دمشق وخطب بها للخليفة المقتدى العباسى ، وقتله تاج الدولة تتش السلجوق سنة ٤٦٨ ، واستولى على الشام « أحمد يوسف نجاتى »

ذَلِكَ لِثَمَانِ سَاعَاتٍ مَضَيْنَ مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» قَدِ ارْتَفَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْكَافَّةِ أَنَّ اللهَ ذَخَرَ لِلدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ـ ثَبَّتَ اللهُ أَرْكَانَهَا ـ، مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ الْجُيُوشِيَّةِ ـ خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهَا ـ، مَنْ حَمَى سَوَادَهَا، وَنَصَرَ أَعْلَامَهَا، وَضَمَّ نَشْرَهَا، وَحَفِظَ سَرِيرَهَا وَمِنْبَرَهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ ارْتَضَعُوا دَرَّ إِنْعَامِهَا، وَتَوَسَّمُوا بِشَرَفِ أَيَّامِهَا، فَطَرَدَتْ يَدُ الاصْطِنَاعِ[1] إِمْلَاقَهُمْ، وَأَثْقَلَتْ قَلَائِدُ الْإِحْسَانِ أَعْنَاقَهُمْ، نَخَفَرُوا[2] ذِمَمَ الْوَلَاءِ، وَكَفَرُوا سَوَابِغَ الْآلَاءِ، فَفَجَأَتْهُمُ الْحَوَادِثُ

(١) الاصطناع: الاحسان، والاملاق: الفقر والحاجة (٢) خفر العهد: أى نقضه وغدر

من كل طريق ، ونعب بهم غراب الشتات والتفريق ، واستباحتهم يد الشدائد « وأتى الله بنيانهم من القواعد » ، ولم تزل النفوس منذ طرق أتسز اللعين هذه البلاد ، وأنجم فيها أنجم الفساد ، وتعدى حدود الله وكلماته ، وتعرض لمساخطته ونقماته . عالمة بأن إملاء الحضرة العلية — مد الله ظلها على الكافة — لم يكن عن استعمال رخصة فى هذه الحال ، ولا سكون إلى عوارض من الإغفال والإهمال ، بل هو أمر ركب فيه متن التدبير ، وجرت بمثله[1] المقادير ، واتبع فيه قوله تعالى : « فأمليت[2] للذين كفروا ، ثم أخذتهم فكيف كان نكير » وحين خدعته[3] المطامع المؤدية إلى الأعمال القاهرة مؤملا انفصام عروة الله المتينة ، وأفول ما توقد من شجرة مباركة زيتونة ، سكنت

(١) فى الاصل : « بعقلة » فأصلحت إلى مثله وفى العماد « عليه »

(٢) أملى الله له : أى أمهله وطول له (٣) فى الاصل « خدمته المطالع » وصوابها ما فى العماد مما أصلح الاصل به ، فأنه مناسب المقام

النُّفُوسُ إِلَى أَنَّ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ – ثَبَّتَ اللهُ مَجْدَهَا – سَتُجَرِّدُ لَهُ مِنْ عَزَمَاتِهَا الْمَاضِيَةِ مَا يُعَجِّلُ دَمَارَهُ[1]، وَتَنْتَضِى لَهُ مِنْ آرَائِهَا الْكَامِلَةِ مَا يُعَفِّى آثَارَهُ، وَحِينَ اصْطَدَمَتِ الرِّجَالُ، وَتَوَالَتِ الْأَنْبَاءُ بِانْكِسَارِ اللَّعِينِ، وَمَا مَنَحَتْهُ الْحَضْرَةُ مِنَ النَّصْرِ الْمُبِينِ، حَتَّى نُهِبَتِ الْأَمْوَالُ، وَتَحَكَّمَتِ السُّيُوفُ بِحُكْمِ الْقَادِرِ الْغَالِبِ. وَأَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ أَكْلَ الْغَرْثَانِ[2] السَّاغِبِ، وَأَنْشَبَتْ فِيهِمْ أَظْفَارَهَا الْمَنِيَّةُ، وَكُسِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ دِمَائِهِمْ حُلَّةً عَسْجَدِيَّةً، وَوَلَّى الْمَخْذُولُ عَلَى أَدْبَارِهِ، وَنَكَصَ عَلَى أَعْقَابِهِ بِوَبِيلِ أَوْزَارِهِ، يَخَافُ مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ أَنْ تَرْجُمَهُ، وَمِنْ شَمْسِ النَّهَارِ أَنْ تَصْطَلِمَهُ، وَتَرَكَ مَا مَعَهُ يُقَسَّمُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَمَنْ حَشَدَهُ يُقْتَلُ رُكْبَانًا وَرِجَالًا، عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِنَايَةً بِالدَّوْلَةِ الزَّاهِرَةِ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ رِعَايَةً بِالْمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ، تَحُوطُ أَقْطَارَهَا، وَتُضَاعِفُ أَنْوَارَهَا، وَلُطْفًا خَفِيًّا بِهَذِهِ الرَّعِيَّةِ،

(١) الدمار: الهلاك، وفى الاصل «ذماره بالذال» (٢) الغرثان: الجائع

وَمَشِيئَةً نَافِذَةً فِى هَذِهِ الْبَرِيَّةِ ، الَّتِى لَوْلَا مَقَامُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ لَمُزِّقَ أَدِيمُهَا ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهَا ، وَاللهُ الْمَحْمُودُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَالْمَسْئُولُ أَنْ يَشُدَّ بِبَقَاءِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ ، وَيَسِمَ بِمَحَامِدِهَا أَغْفَالَ الْأَيَّامِ ، وَيَسْتَخْدِمَ لَهَا السُّيُوفَ وَالْأَقْلَامَ ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَفْحَصُ[1] قَطَاةٍ إِلَّا وَقَدْ دَوَّخَهَا سَنَابِكُ[2] خُيُولِهَا ، وَلَا مَسْقَطُ نَوَاةٍ إِلَّا وَقَدْ رَكَزَتْ فِيهِ صُدُورَ رِمَاحِهَا وَنُصُولِهَا ، فَقَدْ دَفَعَتْ — أَدَامَ اللهُ جَمَالَ الدُّنْيَا بِبَقَائِهَا ، وَأَعَزَّ كَمَالَ الدِّينِ بِبَأْسِهَا وَأَصَالَةِ رَأْيِهَا — خَطْبًا جَسِيمًا ، وَاسْتَلْقَحَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ أَمْرًا عَقِيمًا ، وَأَعَادَتْ شَمْلَ الْأُمَّةِ مَلْمُومًا نَظِيمًا « ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » فَأَمَّا الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ فَقَدْ تَلَاعَبَتْ بِهِ أَيْدِى الْأَقْدَارِ ، وَقَذَفَتْهُ الْعُطْلَةُ فِى هُوَّةٍ بَعِيدَةِ الْأَقْطَارِ ، وَهُوَ يَعِدُ نَفْسَهُ وَيُوَقِّيهَا ، وَيُسَوِّفُهَا وَيُمَنِّيهَا ، أَنَّ مَرَاحِمَ

(١) مفحص القطاة : مجثمها ، وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه ، أى تكشفه وتنحيه لتبيض فيه (٢) سنابك الخيل : حوافرها

الْحَضْرَةِ نَصَرَ اللهُ أَعْلَامَهَا ، تُعِيدُ(١) كَسَادَ بِضَاعَتِهِ نَفَاقاً ، وَاضْطِرَابَ حَالِهِ انْتِظَاماً وَاتِّسَاقاً ، وَسُكُونَ رِيحِهِ خُفُوقاً(٢) ، وَغُرُوبَ حَظِّهِ شُرُوقاً ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ : أَغَبَّ كِتَابُ مَوْلَاىَ حَتَّى أَضْرَمَ نَاراً فِى الْفُؤَادِ ، وَحَالَفَ بَيْنَ جَفْنِى وَالسُّهَادِ :

ثُمَّ وَافَى بِلَفْظِهِ الرَّائِقِ الْعَذْ ... بِ وَأَغْنَى عَنِ الزُّلَالِ(٣) الْبَرُودِ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

وَقَرَأْتُهُ مُتَنَزِّهاً فِى رَوْضِهِ ... وَغَدِيرِهِ
جَمَعَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا تَخْتَالُ بَيْنَ سُطُورِهِ
فَالدُّرُّ فِى مَنْظُومِهِ ... وَالسِّحْرُ فِى مَنْثُورِهِ

وَعَرَفْتُ ذِكْرَ الشَّوْقِ الَّذِى هَيَّجَ أَحْزَاناً ، وَنَكَأَ(٤) قُرْحاً لَا يَنْدَمِلُ زَمَاناً ، وَإِنَّ عِنْدِى بِشَهَادَةِ اللهِ مَا يُضْرِمُ

(١) فى الأصل : تسعد (٢) خفقت الريح : صوتت بهبوبها ، وسمع لها حفيف ودوى . (٣) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد « الزلزال »
(٤) نكأ القرحة ينكؤها نكأ : تشرها قبل أن تبرأ فنديت

نَارَهُ ، وَيُشِبُّ[١] أُوارَهُ ، وَاللّٰهُ تعَالَى يُسَهِّلُ مِنْ أَلْطَافِهِ الْخَفِيَّةِ مَا يَجْمَعُ الشَّمْلَ ، وَيَصِلُ الْحَبْلَ ، وَيُقَرِّبُ الدَّارَ ، وَيُدْنِى الْمَزَارَ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ .

وَأَمَّا حَالِى بَعْدَهُ ، وَارْتِيَاحِى إِلَى مَاعِنْدَهُ ، وَتَأَسُّفِى عَلَى الْفَائِتِ مِنْ أَخْلَاقِهِ الَّتِى هِىَ مِنَ الْحُسْنِ أَدَقُّ ، وَمِنَ الْمَاءِ أَصْفَى وَأَرَقُّ : فَحَالُ صَبٍّ أُخِذَ مَا فِى فُؤَادِهِ ، وَحِيلَ بَيْنَ طَرْفِهِ وَسُهَادِهِ ، فَحُرِمَ لِذَلِكَ لَذِيذَ رُقَادِهِ ، وَأَمَّا عَتْبُهُ عَلَىَّ لِتَأَخُّرِ كُتُبِى عَنْهُ ، وَبُعْدِهَا مِنْهُ : فَهُوَ يَعْلَمُ — حَرَسَ اللّٰهُ مُدَّتَهُ — أَنَّنِى إِذَا وَاصَلْتُ أَوْ أَغْبَبْتُ أَنَّهُ سَمِيرُ خَاطِرِى ، وَإِنْ غَابَ عَنْ نَاظِرِى ، وَهُوَ نَازِلٌ بِضَمَائِرِى ، وَإِنْ بَانَ مِنْ بَيْنِ مُخَالِطِى وَمُعَاشِرِى :

يَا غَائِبًا عَنْ نَاظِرِى وَحَاضِرًا فِى خَاطِرِى
لَا تَخْشَ مِنِّى جَفْوَةً فَبَاطِنِى كَالظَّاهِرِ

وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَنِّى لَمْ أُغْفِلْ كِتَابَهُ صَرْمًا وَهَجْرًا ،

(١) أشب النار وشبها : أوقدها وأذكاها . والأوار : اسم من أورى الزند إيراء : أخرج ناره

وَلَا أَهْمَلْتُ مُجَاوَبَتَهُ نَقْضًا لِمَوَدَّتِهِ الْكَرِيمَةِ وَلَا غَدْرًا، فَإِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ بِمَكَانِ السَّوَادِ، وَمِنَ الصَّدْرِ بِمَوْضِعِ الْفُؤَادِ، وَبِسَبَبِ هَذَا الاعْتِقَادِ وَمَا ذَكَرْتُ مِنْ مَحْضِ الْوِدَادِ، أَبُثُّهُ أَشْجَانًا، وَأُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِي إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا، ثِقَةً بِوُدِّهِ، وَتَمَسُّكًا بِوَثِيقِ عَهْدِهِ وَعَقْدِهِ، — لَوْ رَآنِي فَسَحَ اللهُ مُدَّتَهُ، وَضَاعَفَ عَلَيَّ مَوَدَّتَهُ — ، لَرَأَى صَبًّا قَلْبُهُ خَفِيقٌ، وَدَمْعُهُ طَلِيقٌ:

قَاقَ الضَّمِيرِ بِظَبْيَةٍ وَهْنَانَةٍ (١)
فَلَهَا بِقَلْبِي هِزَّةٌ وَعُلُوقُ

أَلْوَجْهُ طَلْقٌ وَالْوِشَاحُ مُهَفْهَفٌ
وَالرِّدْفُ دِعْصٌ (٢) وَالْقَوَامُ رَشِيقُ

وَتَبَسَّمَتْ عَنْ وَاضِحٍ فَضَحَتْ بِهِ
سَطْعَ الْبُرُوقِ وَنَمَّ مِنْهُ رَحِيقُ

(١) الوهنانة من النساء: التى فيها فتور وأناة عند القيام (٢) الدعص: الكثيب من الرمل المجتمع. وشبه الردف بالدعص: لكثرة اللحم عليه

هذهِ الأَبياتُ تُغني عمّا أَردْتُ أَنْ أَشرحَهُ ، وتُنْبِئ عَنْ مكْنُونِ ما سبِيلِي أَنْ أُثْبِتَهُ وأُوضّحَهُ ، واللهُ المَسْئُولُ أَنْ يقْفِيَ مآرِبي بِسعادةِ جدّهِ ، ويُزِيلَ عنّي ما أَخشاهُ بتمامِ إِقبالِهِ ومجْدِهِ ، وكِتابُهُ هُوَ فُسْحَةُ لِلصدْرِ ، ومُنْيَةُ ما يُطْلَبُ مِنَ الدّهْرِ ، ولِرَأْيِهِ عُلُوُّهُ فِي إِمْضائِهِ إِلَيَّ ووُفُودِهِ عَلَيَّ .

وكتب إِلى ابْنِ المَغْرِبيّ يهنّئهُ بالفتوحِ :ـ أَطالَ اللهُ بَقاءَ سيِّدِنا الوزيرِ الأَجلِّ ـ، ما سطعَ الصُّبْحُ بِعمُودِهِ ، وهمْهمَ (١) السّحابُ برُعُودِهِ ، وطلعَتْ فِي الأُفُقِ أَنْجمُ سعُودِهِ :

نعْتدُّهُ ذُخْرَ العُلا وعَتادَها (٢)
ونَراهُ مِنْ كَرَمِ الزّمانِ وجُودِهِ
الدّهْرُ يضْحَكُ مِنْ بشاشةِ بِشْرِهِ
والعَيْشُ يطْرَبُ مِنْ نضارةِ عُودِهِ

فقدْ أَلبَسَ اللهُ الدّهْرَ مِنْ مناقِبِ الحَضْرةِ السّامِيةِ

---

(١) الهمهمة : كل صوت معه بحح (٢) العتاد : العدة

مَا أَخرَسَ اللاَّئِمَةَ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْكَافَّةِ مِنْ آلائِهَا مَا تَمَلَّكُ بِهِ رِقَّ الْمَآثِرِ ، وَيَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ نَاظِمٍ وَنَاثِرٍ ، يَقْصُرُ عَنْهُ لِسَانُ الْبَلِيغِ وَيَفْضُلُ عَنْ مُقْلَةِ النَّاظِرِ ، فَمَا يَنْفَكُّ — خَلَّدَ اللهُ أَيَّامَهُ — يَذُودُ عَنِ الدَّوْلَةِ بِرَأْيٍ صَائِبٍ ، وَحُسَامٍ قَاضِبٍ ، يَتَحَاسَدُ عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَالدُّرَّاعَةُ ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الصَّمْصَامَةُ وَالْيَرَاعَةُ ، وَالْمُلْكُ بَيْنَ هَذَيْنِ مَتِينُ الْعِمَادِ ، مُسْتَبْحِرُ الثَّمَادِ (١) :

مَا زَالَ قَائِدَ كُتْبَةٍ وَكَتِيبَةٍ
بِأَصِيلِ رَأْيٍ مُنْصَلٍ (٢) وَفُؤَادِ
شِبْهَانِ مِنْ قَلَمٍ وَمِنْ صَمْصَامَةٍ
شُهِرَا لِيَوْمِ نَدًى وَيَوْمِ جِلَادِ

وَمَا وَقَفْتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَوْقِفًا وَحْشِيًّا ، وَلَا وَقَعَ عِنْدَهَا مَوْقِعًا أَجْنَبِيًّا ، بَلِ اقْتَفَتْ آثَارَ أَسْلَافٍ خَفَقَتْ

---

(١) صوابه : مستبحر الثماد بالثاء كما ذكرنا : وهو القليل من الماء — والمعنى أن القليل فى عصر غيره من الملوك صار كثيرا وافيا فى عصره ، وكانت فى الأصل « مستبحر التماد » (٢) المنصل : بفتح الصاد وضمها : السيف ، والجمع مناصل

عَلَيْهِمْ أَلْوِيَةُ الْمَعَالِي وَبُنُودُهَا ، وَوُسِمَتْ بِأَسْمَائِهِمْ جِبَاهُ الْمَمَالِكِ وَخُدُودُهَا ، وَتَحَيَّفَ[1] الْكَرَمُ أَمْوَالَهُمْ وَهِيَ أَثِيثَةُ[2] الْجَنَاحِ ، وَذَلَّلَتْ عَزَائِمُهُمْ النُّوبَ وَهِيَ شَدِيدَةُ الْجِمَاحِ :

كُتَّابُ مُلْكٍ يَسْتَقِيمُ بِرَأْيِهِمْ
أَوَدُ الْخِلَافَةِ أَوْ أُسُودُ صِبَاحِ
بِصُدُورِ أَقْلَامٍ تَرُدُّ إِلَيْهِمْ
شَرَفَ الرِّيَاسَةِ أَوْ صُدُورِ رِمَاحِ

كَانَ الْعَبْدُ خَدَمَ الْمَجْلِسَ السَّامِيَ بِخِدْمَةٍ قَصَدُهَا التَّهْنِئَةُ بِمَا فَتَحَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الظَّفَرِ بِالْعَدُوِّ الَّذِي أَطَاعَ شَيْطَانَهُ ، وَمَدَّ فِي مِضْمَارِ الْغَيِّ أَشْطَانَهُ ، وَاتَّبَعَ مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهَ رِضْوَانَهُ ، وَجَرَى اللهُ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي

(١) تحيفه : تنقصه من حيفه ، أى من نواحيه ، كتحوفه (٢) الأثيث : الأث : يقال نبت أثيث وشعر أثيث : أى كثير عظيم

زَلْزَلَةِ أَطْوَادِهِ [(١)]، وَاسْتِئْصَالِ أَحْزَابِهِ وَأَجْنَادِهِ، الَّذِينَ غَدَتِ الرِّمَاحُ تَسْتَقِى مِيَاهَ نُحُورِهِمْ، وَالسُّيُوفُ تَنْتَهِبُ وَدَائِعَ صُدُورِهِمْ، وَالْحِمَامُ يَجُولُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَجَالٍ، وَيَسْتَدْنِى إِلَيْهِمْ نَوَازِحَ الْآجَالِ:

مَا طَالَ بَغْىٌ قَطُّ إِلَّا غَادَرَتْ
فَعَلَاتُهُ الْأَعْمَارَ غَيْرَ طِوَالِ
فَتْحٌ أَضَاءَ بِهِ الزَّمَانُ وَفَتَّحَتْ
فِيهِ الْأَسِنَّةُ زَهْرَةَ الْآمَالِ

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ التَّوْفِيقُ قَضَى بِوُصُولِهَا، وَأَذِنَ فِى قَبُولِهَا، فَيَمْتَدَّ ظِلٌّ، وَيُثْرِىَ مُقِلٌّ، وَيَصُوبَ عَارِضٌ مُسْتَهِلٌّ [(٢)].

---

(١) الطود : الجبل المنيف الثابت فى مقره — وهو مستعار للحصون والقلاع

(٢) أظنه تصحيف بيت صوابه :

أممتد ظل يثرى مقل ☆ فيمتد ظل ويثرى المقل ☆ من صوب عارض مستهل

والبيت بعده يحقق ما أقول فهو فى سوقه ومن بحره .

أَيَعْجِزُ فَضْلُكَ عَنْ خَادِمٍ
وَأَنْتَ بِأَمْرِ الْوَرَى مُسْتَقِلُّ؟

وَبِحُكْمِ مَا الْعَبْدُ عَلَيْهِ مِنْ تَطَلُّعِ الْأَمَلِ الْقَوِىِّ ، وَتَوَقُّعِ الْإِنْعَامِ الْكِسْرَوِىِّ ، عَزَّزَهَا بِهَذِهِ الْمُنَاجَاةِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ رِشَاهُ قَدْ أُلْقِىَ فِى الْغَدِيرِ الْقَرِيبِ ، وَرَائِدَهُ (١) قَدْ خَيَّمَ بِالْمَرْتَعِ الْخَصِيبِ :

لَوْ رَأَيْنَا التَّوْكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ
مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ (٢)

وَلَهُ - أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ - الرَّأْىُ الْعَالِى فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَكَتَبَ إِلَى صَارِمِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَعْرُوفٍ :- أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْحَضْرَةِ الصَّارِمِيَّةِ - يُجْرِى الْقَدَرُ عَلَى حَسَبِ أَهْوِيَتِهَا ، وَيَعْقِدُ الظَّفَرُ بِعَزَائِمِ أَلْوِيَتِهَا ، وَيُحَلِّى بِذِكْرِهَا تَرَائِبُ

(١) الرائد : هنا : الرسول (٢) ثوب المؤذن : دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله حى على الصلاة أو ثنى الدعاء

الْأَيَّامِ الْعَاطِلَةِ، وَيُنْجِزُ بِكَرَمِهَا عِدَاتُ الْحُظُوظِ الْمَاطِلَةِ، مَا أَصْحَبَ (١) الْجَامِحُ، وَأَضَاءَ السِّمَاكُ الرَّامِحُ، وَعَافَتِ الْمَاءَ الْإِبِلُ الطَّوَامِحُ (٢).

وَمَا سَحَبَتْ فِي مَفْرِقِ الْأَرْضِ ذَيْلَهَا
خَوَافِقُ رِيحٍ لِلسَّحَابِ لَوَاقِحُ
إِذَا رَفَضَ النَّاسُ الْمَدِيحَ وَطَلَّقُوا
بَنَاتِ الْعُلَا زُفَّتْ إِلَيْهِ الْمَدَائِحُ (٣)

أَيَّامُ النَّاسِ شُهُودٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَقْوَالِ، وَصُنُوفٌ مُتَبَايِنَةُ الْأَحْوَالِ، فَيَوْمٌ تُؤَرِّخُ السِّيَرُ بِسُودَدِهِ وَسَنَائِهِ، وَيَنْطِقُ بِمَحَامِدِ قَوْمٍ أَلْسِنَةُ أَبْنَائِهِ، وَيَوْمٌ يَخْبُو فِي مَوْقِفِ الْجِدِّ شِهَابُهُ، وَيَعْبَقُ بِمِسْكِ الْمُدَامِ إِهَابُهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَضْرَةَ

---

(١) أصحب الجامح : ذل وانقاد والصفة منه مصحب كمحسن بمعنى الذليل المنقاد

(٢) يقال طمحت الابل كفرح بشمت وسمت وهي إذا تعاف الماء وترى في البلاد إبلا صائمة عن الماء زمن البرسيم ولا تأكل إلا إذا ألقمها قائدها فلعل الكلمة الطوائح بالنون ولقد يكون الطوامح من طمح في الطلب أبعد فهي إذا لاتقبل على الماء جدا فيما يراد منها (٣) في الوقت الذي يرفض الناس المدح ويصدون عن المكارم « بنات العلا » يتفسح صدره للمادحين « عبد الخالق »

السَّامية عِقالَ الْخطُوبِ الْعوارِمِ (١)، وَنِظَامَ الْمحَاسنِ والْمكَارِم، يَعتَدُّهَا الزَّمنُ نَسِيمَ أَصَائِلِهِ، وَزَهْرَ خَمائِلِهِ، وَشُمُوسَ مشَارِقِهِ، وَتِيجَانَ مفَارِقِهِ، فيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّ الْيرَاعَةَ بنَانُهُ، وأُطلِقَ فِي مَيْدَانِ الْبرَاعَةِ عِنانُهُ، أَلَّا يُخْلِيَ مَجْلِسَهُ مِنْ مِدَحٍ مَعْرُوضَةٍ، وَخِدَمٍ مفْرُوضَةٍ، يُسْهِبُ فِيهَا الْوَاصِفُ، وَيُوجِبُهَا الإِنعامُ الْمُتَرَاصِفُ (٢):

عَسَى مُنَّةٌ تَقْوَى عَلَى شُكْرِ مِنَّةٍ
وَهَيْهَاتَ أَعْيَا الْبَحْرُ مَنْ هُوَ رَاشِفُ

وَلَوْ كُنْتَ لَا تُولِي يَدًا مُسْتَجَدَّةً
إِلَى أَنْ تُوَفَّى شُكْرَ مَا هُوَ سَالِفُ

حَمَيْتَ حَرِيمَ الْمَالِ مِنْ سَطْوَةِ النَّدَى
وَغَاضَتْ وَحَاشَاهَا لَدَيْكَ الْعَوَارِفُ

وَكَمْ عَزْمَةٍ فِي الشُّكْرِ كَانَتْ قَوِيَّةً
فَأَضْعَفَهَا إِحْسَانُكَ الْمُتَضَاعِفُ

---

(١) العوارم: الشديدة، جمع عارم (٢) المتراصف: المتراص

دَعَى اللهُ مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ عَدْلُهُ
فَأُنصِفَ مَظْلُومٌ وَأُومِنَ خَائِفُ
لَهُ مِنَنٌ فِي حَرْبِ خَطْبٍ عَوَاطِفٌ
دِمَاثٌ وَفِي صَدْرِ الْخُطُوبِ عَوَاصِفُ(١)

فَكَمْ أَهْلِ هِدَايَةٍ ـ نَصَرَ اللهُ عَزَائِمَهَا بَعْدَ الضَّلَالِ ـ، وَحُرٍّ اسْتَنْقَذْتَهُ مِنْ حَبَائِلِ الإِقْلَالِ، وَمُرْهَقٍ خَفَّفْتَ عَنْهُ وَطْأَةَ الزَّمَنِ الْمُتَثَاقِلِ، وَطَرِيدٍ بَوَّأْتَهُ مِنْ حَرَمِهَا أَمْنَعَ الْمَعَاقِلِ:

مَنَازِلُ عِزٍّ لَوْ يَحُلُّ ابْنُ مُزْنَةٍ(٢)
بِهَا لَسَلَا عَمَّا لَهُ مِنْ مَنَازِلِ
فَيَا صَارِماً يُعْطِي وَيَنْسَى عَطَاءَهُ
وَلَمْ نَرَ سَيْفاً ذَا وَفَاءٍ وَنَائِلِ
يَكَادُ يَفِيضُ الْبَرْقُ مِنْ وَجَنَاتِهِ
إِذَا مَا أَتَاهُ سَائِلٌ بِوَسَائِلِ

---

(١) فى الاصل معاطف بدل « عواطف » وعواطف بدل « عواصف » والدماث جمع دمثه : السهلة اللينة (٢) ابن مزنة : المطر .

إِذَا هُوَ عَرَّى سَيْفَهُ مِنْ غُمُودِهِ

وَأَفْضَى بِفَضْفَاضٍ (١) مِنَ السَّرْدِ ذَابِلِ

وَقَدْ صَبَغَ النَّقْعُ النَّهَارَ بِصِبْغَةٍ

تَرَى نَاصِلاً مِنْهَا بَيَاضُ الْمَنَاصِلِ

رَأَيْتَ مُتُونَ الْخَيْلِ تَحْمِلُ ضَيْغَماً

مَرِيرَ مَذَاقِ الْكَيْدِ حُلْوَ الشَّمَائِلِ

يَلَذُّ لَهُ طَعْمُ الْكُمَاةِ (٢) كَأَنَّمَا

جَرَى الشَّنَبُ الْمَعْسُولُ فَوْقَ الْعَوَاسِلِ

وَكَمْ أَخْرَسَتْ أَطْرَافُهَا مِنْ غَمَاغِمٍ (٣)

لِأَقْرَانِهِ وَاسْتَنْطَقَتْ مِنْ ثَوَاكِلِ

مِنَ الْقَوْمِ لَمْ تَتْرُكْ لَهُمْ عِنْدَ كَاشِحٍ

طِوَالُ رُدَيْنِيَّاتِهِمْ (٤) مِنْ طَوَائِلِ

(١) الفضفاض : الواسع ، والسرد : الدرع المسرودة ، أى المتداخلة الحلقات منه

(٢) الكماة : جمع كمى : وهو الشجاع . والشنب هنا : لعاب الفم ، والعواسل : الرماح التى تهتز لينا . جمع عاسل (٣) غماغم : جمع غمغمة : وهى أصوات الأبطال عند القتال

(٤) الردينيات : الرماح المنسوبة إلى ردينة ، وهي امرأة فى خط هجر كانت هى وزوجها سمهر يقومان الرماح ، فنسبت إليهما

إِذَا مَاسَرَوْا خَلْفَ الْعَدُوِّ وَهَجَّرُوا [١]

تَظَلَّلُ مِنْ أَرْمَاحِهِمْ فِي ظَلاَئِلِ

وَمَا ذَبُلَتْ يَوْماً خَمِيلَةُ عِزَّةٍ

إِذَا زُرِعَتْ فِيهَا كُعُوبُ الذَّوَابِلِ

أَوَائِلُ مَجْدٍ لَمْ يَزَلْ فَاخِراً بِهَا

تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ أَوْ كُلَيْبُ بْنُ وَائِلِ

ثُمَّ جَاءَتْهُ مَنَاقِبُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، فَتَمَّ بِهَا مَنَاقِبُ تَمِيمٍ ، وَحَكَمَ لِآلِ الْقَعْقَاعِ أَمْرٌ حَكِيمٌ ، وَنَصَرَ لِوَاءَ بَنِي نَصْرٍ ، وَأَبْدَرَتْ أَهِلَّةُ بَنِي بَدْرٍ ، وَنَبَّهَ مُنَبِّهُ هَوَازِنَ ، وَظَهَرَتْ مُزَيْنَةُ وَمَازِنُ ، وَضَحِكَ لِعَبْسٍ عَابِسُ الدَّهْرِ ، وَرَاحَتِ الْكَمَلَةُ [٢] كَامِلَةَ الْفَخْرِ ، وَزَادَتْ مَغَايِظُ الْأَزْدِ ، وَقَشَرَتْ [٣] قُشَيْراً عَنْ بُلُوغِ الْمَجْدِ ، وَأَغْمَدَتْ سُيُوفَ

(١) هجر القوم : أى ساروا فى الهاجرة وهى اشتداد الحر . ومنه الحديث : « المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة » يريد ساروا فى الهاجرة (٢) فى الاصل « الكامة » وصوابها ما ذكرنا ، والكملة من بنى عبس الذين قالت فيهم أمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية وقد سئلت أيهم أفضل ، فقالت فلان بل فلان ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعرف أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها والجملة الأخيرة يستشهد بها علماء البيان فى باب التشبيه « عبد الخالق » (٣) قشرت : أى نزعت

بَنِى غَامِدٍ ، وَصَارَتْ هَمْدَانُ كَالْجَمْرِ الْهَامِدِ ، وَمَذْحِجُ كَالْعَنَسِ مُذَلَّلَةً ، وَحِمْيَرُ بِالرَّايَةِ الْحَمْرَاء مُتَظَلِّلَةً ، وَطَوَتْ طَيِّءٌ عَمَاهَا اسْتِخْذَاءً ، وَغَضَّتْ جَفْنَةُ جُفُونَهَا اسْتِحْيَاءً .

ـ فَحَرَسَ اللهُ مَحَاسِنَ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ ـ الَّتِي جِبَاهُ الْأَنَامِ بِهَا مَوْسُومَةٌ ، وَتَمَّمَ نِعَمَهَا الَّتِي هِيَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ مَقْسُومَةٌ ، وَلَا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ تَحْمَدُ عَزَائِمَهَا الَّتِي شَهِدَتْ لَهَا بِمُدَاوَمَةِ الْكَفَاءَةِ ـ وَأَنْشَرَتْ مِنَ النَّصَائِحِ كُلَّ رَمِيمٍ رُفَاتٍ :

كَأَنَّكَ حِينَ ضَلَّ النَّاسُ عَنْهَا
هُدِيتَ إِلَى رِضَا هَادِى الرُّعَاةِ
مُزِيلُ الْمَالِ مِنْ مُلْكِ الْأَعَادِى
وَنَاظِمُ شَمْلِهِ بَعْدَ الشَّتَاتِ
سَيُنْطِقُ بِالثَّنَاء عَلَى عَلِيٍّ
وَعِتْرَتِهِ الْمَنَابِرَ صَامِتَاتٍ

فَقَادَ لَهُ إِلَى بَغْدَادَ قَوْدًا
تَجَلَّى لَحْمُهَا جَنْبَ الْفُرَاتِ
عَلَيْهَا كُلُّ ذَاتِي الْحِلْمِ ثَبْتٍ
سَفِيهِ السَّيْفِ مِنْ بَعْدِ الثَّبَاتِ
كَأَنَّهُمْ إِذَا الْتَحَمُوا الْمَنَايَا(١)
يُقِيدُونَ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ

يُسَابِقُونَ إِلَى الْعَدُوِّ الْأَعِنَّةَ، فَتَطْعَنُ عَزَائِمُهُمْ قَبْلَ الْأَسِنَّةِ، وَيَقْتَدُونَ بِالْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ فِي خَوْضِ الرَّهَجِ(٢)، وَإِرْخَاصِ الْمُهَجِ، وَتَحَمُّلِ الْأَعْبَاءِ، فِي مُوَالَاةِ أَصْحَابِ الْعَبَاءِ، ـ وَلَاسَلَبَ اللهُ هَذَا الثَّغْرَ وَأَهْلَهُ ـ : مَاوَهَبَ لَهُمْ مِنْ إِنْعَامِهِ الَّذِي يَتَهَافَتُ إِلَيْهِمْ مُتَنَاسِقًا، وَيُعِيدُ غُصْنَ مَجْدِهِمْ نَاضِرًا بَاسِقًا :

(١) فى الاصل « كأنهم لحم المنايا » والتحموا : تلاحموا واختلطوا والمنايا مفعول فيه أى فى أماكن المنايا، ويقيدون : يأخذون القود من الأحياء للأموات

(٢) الرهج : الشغب والفتنة، ومنه قول أبى الطيب :

عمر العدو إذا لاقاه فى رهج أقل من عمر مايحوى إذا وهبا

« عبد الخالق »

إِذَا مَا قَلَى النَّاسُ السَّمَاحَ عَشِقْتَهُ
وَأَحْسَنُ مَا تُسْدَى الْمَكَارِمُ عَاشِقَا(١)

حَمَى اللهُ مِنْ كَيْدِ الزَّمَانِ خَلَائِقًا
وَسِعْتَ بِهَا يَا بْنَ الْكِرَامِ خَلَائِقَا

إِذَا أَظْلَمُوا كَانَتْ شُمُوسًا طَوَالِعًا
وَإِنْ أَجْدَبُوا كَانَتْ غُيُوثًا دَوَافِقَا

وَقَدْ زَادَ شَهْرُ الصَّوْمِ رَبْعَكَ صَابِحًا
لَهُ بِأَفَاوِيقِ السُّعُودِ وَغَابِقَا(٢)

تُنَوِّرُ بِالْقُرْآنِ أَسْدَافُ(٣) لَيْلِهِ
فَيَبْيَضُّ مِنْهَا كُلُّ مَا كَانَ غَاسِقَا

تَأَرَّجُ مِنْ تَقْوَاكَ فِيهِ لَطَائِمٌ(٤)
يَظَلُّ لَهَا عِرْنِينُ عَامِكَ نَاشِقَا

---

(١) عاشقا فى البيت حال سدت مسد الخبر على معنى: وأحسن إسداء المكارم إذا كان المسدى عاشقا، على حد قولهم: أقرب ما يكون العبد من ربه ساجدا «عبد الخالق»

(٢) الغبوق: ما يشرب بالعشى، كما أن الصبوح: ما يشرب فى الصباح

(٣) أسداف الليل: ظلماته، جمع سدف (٤) اللطائم جمع لطيمة: وهى نافجة المسك: قال ذو الرمة يصف أرطاة تكنس فيها الثور الوحشى

كأنها بيت عطار تضمنه لطائم المسك يحويها وتنتهب

والعرنين: الأنف.

فَعِشْ أَبَداً مَاشُوهِدَ الْأُفْقُ أَوْرَقَا
وَرَاحَ قَضِيبُ الْأَيْكِ أَخْضَرَ أَوْرَقَا
إِذَا عُدَّ قَوْمٌ لِلْمَعَالِى أَخَامِصًا (١)
عَدَدْنَاكَ تِيجَانًا لَهَا وَمَفَارِقَا

﴿ ١٤ – الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدُونَ * ﴾

الحسن بن محمد الكاتب

أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِى الْمَعَالِى بْنِ أَبِى سَعْدٍ الْكَاتِبُ . قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِيهِ صَاحِبِ الدِّيوَانِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِى الْمَعَالِى ، وَذِكْرُ عَمِّهِ أَبِى نَصْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ ، وَكَانَ أَبُو سَعْدٍ هَـذَا يُلَقَّبُ تَاجَ الدِّينِ . مَاتَ أَبُو سَعْدٍ هَذَا فِى حَادِى عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ كَمَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ . وَمَوْلِدُهُ فِى صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنَ الْأُدَبَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَاهَدْنَاهُمْ ، زَكِيَّ النَّفْسِ ، طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ ، عَالِيَ الْهِمَّةِ ، حَسَنَ الصُّورَةِ ،

---

(١) الأخامص جمع إخمص : وهو مالايصيب الأرض من باطن القدم ، ويكنى به عن القدم برمتها . فالمراد : إذا عد أناس أقداما للمعالى كنت أنت رأسها

(*) راجع تهذيب الأسماء واللغات ج ٥ ص ٣٢

مَلِيحَ الشَّيْبَةِ ، ضَخْمَ الْجُثَّةِ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ طَوِيلَهَا ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، نَظِيفَ اللِّبْسَةِ ، ظَرِيفَ الشَّكْلِ ، وَهُوَ مِمَّنْ صَحِبْتُهُ فَحَمِدْتُ صُحْبَتَهُ ، وَشَكَرْتُ أَخْلَاقَهُ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ عِدَّةَ وِلَايَاتٍ عَايَنْتُ مِنْهَا النَّظَرَ فِي الْبِيمَارِسْتَانِ الْعَضُدِيِّ ، وَكَانَتْ هَيْبَتُهُ فِيهِ وَمَكَانَتُهُ مِنْهُ أَعْظَمَ مِنْ مَكَانَةِ أَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ الْكِبَارِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَهُ بِعَيْنِ الْعِلْمِ وَالْبَيْتِ الْقَدِيمِ فِي الرِّيَاسَةِ ، ثُمَّ وُلِّيَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ كِتَابَةَ السِّكَّةِ بِالدِّيوَانِ الْعَزِيزِ بِبَغْدَادَ ، يُرْزَقُ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ فِي الشَّهْرِ ، وَسَأَلْتُهُ : فَقُلْتُ حَمْدُونُ الَّذِي تُنْسَبُونَ إِلَيْهِ ، أَهُوَ حَمْدُونُ نَدِيمُ الْمُتَوَكِّلِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ ؟ فَقَالَ : لَا ، نَحْنُ مِنْ آلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ، هَذَا صُورَةُ لَفْظِهِ .

وَكَانَ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِلْكُتُبِ وَاقْتِنَائِهَا ، وَالْمُبَالِغِينَ فِي تَحْصِيلِهَا وَشِرَائِهَا ، وَحَصَّلَ لَهُ مِنْ أُصُولِهَا الْمُتْقَنَةِ

وأُمَّهَاتِهَا الْمُعَيَّنَةِ ، مَا لَمْ يُحَصِّلْ أَحَدٌ لِلْكَثِيرِ ، ثُمَّ تَقَاعَدَ بِهِ الدَّهْرُ وَبَطَلَ عَنِ الْعَمَلِ ، فَرَأَيْتُهُ يُخْرِجُهَا وَيَبِيعُهَا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ بِالدُّمُوعِ كَالْمُفَارِقِ لِأَهْلِهِ الْأَعِزَّاءِ ، وَالْمَفْجُوعِ بِأَحْبَابِهِ الْأَوِدَّاءِ . فَقُلْتُ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ — فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو دُوَلٍ ، وَقَدْ يُسْعِفُ الزَّمَانُ وَيُسَاعِدُ ، وَتَرْجِعُ دَوْلَةُ الْعِزِّ وَتُعَاوِدُ ، فَتَسْتَخْلِفُ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا وَأَجْوَدُ . فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّ : هَذِهِ نَتِيجَةُ خَمْسِينَ سَنَةً مِنَ الْعُمْرِ أَنْفَقْتُهَا فِي تَحْصِيلِهَا ، وَهَبْ أَنَّ الْمَالَ يَتَيَسَّرُ . وَالْأَجَلَ يَتَأَخَّرُ — وَهَيْهَاتَ — فَحِينَئِذٍ لَا أَحْصُلُ مِنْ جَمْعِهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْفِرَاقِ ، الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ ، وَأَنْشَدَ بِلِسَانِ الْحَالِ :

هَبِ الدَّهْرَ أَرْضَانِي وَأَعْتَبَ صَرْفُهُ
وَأَعْقَبَ بِالْحُسْنَى وَفَكَّ مِنَ الْأَسْرِ
فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ الشَّبَابِ الَّتِي مَضَتْ
وَمَنْ لِي بِمَا قَدْ مَرَّ فِي الْبُؤْسِ مِنْ عُمْرِي ؟؟

ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَلَمْ يَنَلْ أُمْنِيَّتَهُ ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ ، يَجْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَصَنَّفَ مِنْ أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، وَأَلَّفَ كُتُبًا كَانَ لَايَجْسُرُ عَلَى إِظْهَارِهَا خَوْفًا مِمَّا طَرَقَ أَبَاهُ[1] مَعَ شِدَّةِ احْتِرَازٍ ، وَبِالْجُمْلَةِ : فَعَاشَ فِي زَمَنِ سُوءٍ وَخَلِيفَةٍ غَشُومٍ جَائِرٍ ، كَانَ إِذَا تَنَفَّسَ خَافَ أَنْ يَكُونَ عَلَى نَفَسِهِ رَقِيبٌ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْعَطَبِ ، وَهُوَ كَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ هَـذَا الْبَيْتِ الْقَدِيمِ ، وَالرُّكْنِ الدَّعِيمِ ، وَلَمْ يُخَلِّفْ إِلَّا ابْنَةً مُزَوَّجَةً مِنِ ابْنِ الدَّوَّامِيِّ ، وَمَا أَظُنُّهَا مُعْقِبَةً أَيْضًا ، وَكَانَ مَعَ اغْتِبَاطِهِ بِالْكُتُبِ وَمُنَافَسَتِهِ وَمُنَاقَشَتِهِ فِيهَا جَوَادًا بِإِعَارَتِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي يَوْمًا ـ وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ مُسَارَعَتِهِ إِلَى إِعَارَتِهَا لِلطَّلَبَةِ : مَابَخِلْتُ بِإِعَارَةِ كِتَابٍ قَطُّ وَلَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ رَهْنًا . وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ فَقَدَ كِتَابًا فِي عَارِيَةٍ قَطُّ . فَقُلْتُ :

---

(١) في الاصل « إياه » وصوابها ما ذكرنا لأن أباه كما تقدم نالته الحوادث

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَخُلُوصُ نِيَّتِكَ فِي إِعَارَتِهَا لِلّٰهِ حَفِظَهَا عَلَيْكَ .

وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الرَّائِقِ طَرَائِفَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ الْمَرْوِيَّةِ ، وَقَابَلَهَا وَصَحَّحَهَا وَسَمِعَهَا عَلَى الْمَشَايِخِ . فَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَ مِنَ الْمَشَايِخِ : أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللّٰهِ الزَّاغُونِيُّ ، وَالنَّقِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَبَّاسِيُّ الْمَكِّيُّ ، وَأَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْغَرْنَاطِيُّ مَغْرِبِيٌّ قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّحَّاسِ الْعَطَّارُ ، وَوَالِدُهُ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ حَمْدُونَ ، وَأَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ابْنِ سُلَيْمَانَ (١) الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَطِّيِّ ، وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمْ كَثِيرَةٌ كَابْنِ كُلَيْبٍ الْحَرَّانِيِّ ، وَابْنِ بُوشٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَرَوَى شَيْئًا مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ يَسِيرًا ، وَكَانَ مُؤَيَّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيُّ نَائِبُ الْوِزَارَةِ بِبَغْدَادَ : قَدْ خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ خُوزِسْتَانَ حَيْثُ عَصَى سَنْجَرُ مَمْلُوكُ الْخَلِيفَةِ بِهَا حَتَّى

---

(١) في معجم البلدان : « اسمه سلمان »

قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَادَ بِهِ وَفِى صُحْبَتِهِ عِزُّ الدِّينِ نَجَاحٌ الشَّرَابِىُّ ، فَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ عِنْدَ عَوْدِهِ فِى الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ تَاجُ الدِّينِ فِيمَنْ خَرَجَ لِتَلَقِّيهِ عِنْدَ عَوْدِهِ فِى الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ عَبْلًا[1] تَرِفًا مُعْتَادًا لِلدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ ، مُلَازِمًا لِعُقْرِ دَارِهِ ، وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا وَالْوَقْتُ صَائِفًا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَتَكَاثَفَ ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى التَّلَفِ ، فَمَاتَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِى الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ بِالْمَدَائِنِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَادَ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ ، فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِبَابِ التِّبْنِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِىَ عَنْهُ ـ .

﴿ ١٥ — الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّغَانِىُّ النَّحْوِىُّ * ﴾

وَيُقَالُ صَاغَانُ — مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ — قَدِمَ الْعِرَاقَ وَحَجَّ ، ثُمَّ دَخَلَ الْيَمَنَ وَنَفَقَ لَهُ بِهَا سُوقٌ ، وَكَانَ الحسن بن محمد الصغانى

(١) العبل : الضخم

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٧

وُرُودُهُ إِلَى عدَنَ سَنَةَ عشرٍ وَسِتِّمائَةٍ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِى الْأَدَبِ ، مِنْهَا : تَكْمِلَةُ الْعَزِيزِىِّ ، وَكِتَابٌ فِى التَّصْرِيفِ وَمَنَاسِكِ الْحَجِّ خَتَمَهُ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا وَهِىَ :

شَوْقِى إِلَى الْكَعْبَةِ الْغَرَّاءِ قَدْ زَادَا
فَاسْتَحْمِلِ الْقُلُصَ الْوَخَّادَةَ (١) الزَّادَا
أَرَاقَكَ الْحَنْظَلُ الْعَامِىُّ مُنْتَجَعاً
وَغَيْرُكَ انْتَجَعَ السَّعْدَانَ وَارْتَادَا (٢)
أَتْعَبْتَ سَرْحَكَ (٣) حَتَّى آضَ عَنْ كَثَبٍ
نِيَاقُهَا رُزَّحاً (٤) وَالصَّعْبُ مُنْقَادَا
فَاقْطَعْ عَلَائِقَ مَا تَرْجُوهُ مِنْ نَشَبٍ
وَاسْتَوْدِعِ اللّٰهَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادَا

---

(١) القلص : النوق ، والوخادة صفة لها وقد جرد من نفسه من خاطبه وأمره بأن يحمل الزاد على القلص الوخادة (٢) من ارتاد أى طلب ما يحلو له الاقامة فيه من الأمكنة — والسعدان نبت من أحسن مراعى الابل يقول : أيروق فى نظرك جعل الحنظل « يريد به عدم الحج » منتجعاً وغيرك انتجع أفضل المراعى وأحسن الأمكنة يريد به الحج « عبد الخالق »

(٣) سرحك : أى ماشيتك ، وآض ، بمعنى رجع — وكثب : أى قرب

(٤) الرزح : جمع رازح ورازحة من رزحت الدابة: سقطت إعياء

وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ بِعَدَنَ مَعَالِمُ السُّنَنِ لِلْخَطَّابِىِّ ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهَذَا الْكِتَابِ وَبِكَلَامِ مُصَنِّفِهِ وَيَقُولُ : إِنَّ الْخَطَّابِىَّ جَمَعَ لِهَذَا الْكِتَابِ جَرَامِيزَهُ [١] ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : احْفَظُوا غَرِيبَ أَبِى عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، فَمَنْ حَفِظَهُ مَلَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَإِنِّى حَفِظْتُهُ فَمَلَكْتُهَا ، وَأَشَرْتُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِى بِحِفْظِهِ فَحَفِظَهُ وَمَلَكَهَا . وَفِى سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ كَانَ بِمَكَّةَ ، وَقَدْ رَجَعَ مِنَ الْيَمَنِ وَهُوَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ .

١٦ — الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ النَّيْسَابُورِىُّ *

الحسن بن المظفر

أَبُو عَلِىٍّ ، أَدِيبٌ نَبِيلٌ ، شَاعِرٌ مُصَنِّفٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو أَحْمَدَ مَحْمُودُ بْنُ أَرْسلَانَ فِى تَارِيخِ خُوَارِزْمَ فَقَالَ : مَاتَ أَبُو عَلِىٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الْأَدِيبُ الضَّرِيرُ النَّيْسَابُورِىُّ ثُمَّ الْخُوَارِزْمِىُّ فِى الرَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً طَوِيلًا زَعَمَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ مُؤَدِّبَ أَهْلِ خُوَارِزْمَ فِى عَصْرِهِ ، وَمُخَرِّجَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ وَمُقَدَّمَهُمْ

(١) الجراميز : أعضاء الجسد ، والمراد اجتهد فيه بكله وجزئه : أى أتمه وجمعه

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٣٠

وَالْمُشَارَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَهُوَ شَيْخُ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّمَخْشَرِيِّ (١) قَبْلَ أَبِي مُضَرَ ، وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ . وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا اسْمُهُ عُمَرُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ ، أَدِيبٌ فَقِيهٌ فَاضِلٌ، وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ :

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ نِدٌّ لَهُ وَأَشْبَاهُ
أَحَاطَ بِالْعَالَمِينَ مُقْتَدِراً
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدَنَا
أَحْمَدَ رَبُّ السَّمَاءِ سَمَّاهُ
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ بِعْثَتِهِ
وَحَصْحَصَ الْحَقُّ مِنْ مُحَيَّاهُ

وَمَاتَ أَبُو حَفْصٍ هَذَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ . وَوَجَدْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ الْمُظَفَّرِ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابَ تَهْذِيبِ دِيوَانِ الْأَدَبِ ، وَكِتَابَ تَهْذِيبِ

(١) هذا محال ، فإن صاحب الكشاف ولد سنة ٤٦٧ .

إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ، وَكِتَابَ ذَيْلِهِ عَلَى تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ ، كِتَابَ دِيوَانِ شِعْرِهِ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابَ دِيوَانِ رَسَائِلِهِ ، كِتَابَ مَحَاسِنِ مَنِ اسْمُهُ الْحَسَنُ ، كِتَابَ زِيَادَاتِ أَخْبَارِ خُوَارِزْمَ . نَقَلْتُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِى وَصَلَ بِهِ تَتِمَّةَ الْيَتِيمَةِ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْ شِعْرِهِ وَرَسَائِلِهِ خَتَمَ بِهَا كِتَابَهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ : الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ النَّيْسَابُورِىُّ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : نَيْسَابُورِىُّ الْمَحْتِدِ ، خُوَارِزْمِىُّ الْمَوْلِدِ ، وَمِمَّنْ كَانَ عَارِفاً بِنَفْسِهِ ، غَيْرَ مَفْتُونٍ بِنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ، فَإِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ أَبِى مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِيمَا أَوْرَدَهُ مِنْ شِعْرِهِ فِى آخِرِ كِتَابِ تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ ، فَأَوْرَدَ نُبَذاً مِمَّا يَسْتَحْسِنُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَيَسْتَبْدِعُ مِنْ نِظَامِهِ ، فَمِنْ نَثْرِهِ السَّاذَجِ رُقْعَةٌ لَهُ :

عَرَّفَ اللهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ بَرَكَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَوَفَّقَهُ مِنْ طَاعَتِهِ لِمَا يَكْتَسِبُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ ، وَلَوْلَا الْعُذْرُ الْوَاقِعُ مِنَ الْوُصُولِ لَقَصَدْتُ مَجْلِسَهُ ـ أَعْلَاهُ اللهُ ـ بِالتَّهْنِئَةِ وَالتَّسْلِيمِ

وَقضاء حَقِّهِ العظيم ، هَذا ـ أَدامَ اللهُ تَمْكِينَهُ ـ وَعَهْدِى بِهِ يعدُّنِى مِنْ جُمْلَةِ عِيالِهِ ، وَيَخُصُّنِى كُلَّ وَقْتٍ بِأَفْضَالِهِ ، فَلَيْتَ شِعْرِى لِمَ عَدَلَ إِلَى الفِطَامِ مِنْ ذَلِكَ الإِنْعَامِ ؟ فَإِنْ كَانَ نِسْيَانٌ فَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرِى ، وَإِنْ كَانَ هِجْرَانٌ نَحَاشَاهُ مِنْ هَجْرِى . وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : الشَّيْخُ يَسْتَرِقُّ الأَحْرَارَ بِعَوَائِدِ فَضْلِهِ وَبَوَادِيهِ[١] ، حَتَّى لَا حُرَّ بِوَادِيهِ[٢] وَمِنْ نَظْمِهِ :

أَهْلًا بِعَيْشٍ كَانَ جِدَّ مُوَاتِ[٣]
أَحْيَا مِنَ اللَّذَّاتِ كُلَّ مَوَاتِ[٤]
أَيَّامَ سِرْبُ الأُنْسِ غَيْرُ مُنَفَّرٍ
وَالشَّمْلُ غَيْرُ مُرَوَّعٍ بِشَتَاتِ

(١) بواديه : جمع بادئة : وهى فعل الشىء ابتداء ، أى بأفضاله التى يسبق إليها ويبتدئها . والعوائد : جمع عائدة : وهى ما يصير إلى الناس من أفضاله

(٢) لاحر بواديه : هذا مثل يضرب : للمتفرد فى عصره فى علم أو عمل ، وأصله لاحر بوادى عوف ، وعوف هذا أبو عبد الرحمن بن عوف وكان من أثرياء العرب وكذلك كان عبد الرحمن ابنه ، ومن كونه ذا ثراء يفهم معنى قولهم لاحر بوادى عوف « عبد الخالق »

(٣) أى مطاوع وموافق (٤) الموات : الأرض الجدبة التى لاتنبت لعدم صلاحها

عَيْشٌ تَحَسَّرَ[١] ظِلُّهُ عَنَّا فَمَا
أَبْقَى لَنَا شَيْئًا سِوَى الْحَسَرَاتِ
وَلَقَدْ سَقَانِي الدَّهْرُ مَاءَ حَيَاتِهِ[٢]
وَالْآنَ يَسْقِينِي دَمَ الْحَيَّاتِ
لَهْفِي لِأَحْرَارٍ مُنِيتُ بِبُعْدِهِمْ
كَانُوا عَلَى غِيَرِ[٣] الزَّمَانِ ثِقَاتِي
قَدْ زَالَتِ الْبَرَكَاتُ عَنِّي كُلُّهَا
بِزِيَالِ[٤] سَيِّدِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ
رُكْنِ الْعُلَا وَالْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الَّذِي
قَدْ فَاتَ فِي الْحَلَبَاتِ[٥] أَيَّ فَوَاتِ
فَارَقْتُ طَلْعَتَهُ الْمُنِيرَةَ مُكْرَهًا
فَبَقِيتُ كَالْمَحْصُورِ فِي الظُّلُمَاتِ
أُضْحِي وَأُمْسِي صَاعِدًا زَفَرَاتِي
لِفِرَاقِهِ مُتَحَدِّرًا عَبَرَاتِي

---

(١) تحسر من الحسر بمعنى الكشف : أى تكشف (٢) فى الاصل ماء حياته
(٣) غير الزمان : أحداثه المغيرة جمع غيرة (٤) زيال : مصدر زايله مزايلة وزيالا : أى فارقه (٥) الحلبات : جمع حلبة : الدفعة من الخيل تجتمع للسباق

وَأَنْشَدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ :

جَبِينُكَ الشَّمْسُ فِي الْأَضْوَاءِ وَالْقَمَرُ
يَمِينُكَ الْبَحْرُ فِي الْإِرْوَاءِ وَالْمَطَرُ
وَظِلُّكَ الْحَرَمُ الْمَحْفُوظُ سَاكِنُهُ
وَبَابُكَ الرُّكْنُ لِلْقُصَّادِ (١) وَالْحَجَرُ
وَسَيْبُكَ الرِّزْقُ مَضْمُونٌ لِكُلِّ فَمٍ
وَسَيْفُكَ الْأَجَلُ الْجَارِي بِهِ الْقَدَرُ
أَنْتَ الْهُمَامُ بَلِ الْبَدْرُ التَّمَامُ بَلِ السَّـ
ـيْفُ الْحُسَامُ بَلِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ
وَأَنْتَ غَيْثُ الْأَنَامِ الْمُسْتَغَاثُ بِهِ
إِذَا أَغَارَتْ عَلَى أَبْنَائِهَا الْغِيَرُ

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

أَرَيَّا شَمَالٍ أَمْ نَسِيمٌ مِنَ الصَّبَا
أَتَانَا طُرُوقاً أَمْ خَيَالٌ لِزَيْنَبَا ؟؟

(١) القصاد : الحجاج . والحجر : المراد به الحجر الاسود ، وهو من شعائر الحج وهذا على التشبيه

أَمِ الطَّالِعُ الْمَسْعُودُ طَالِعَ أَرْضِنَا
فَأَطْلُعَ فِيهَا لِلسَّعَادَةِ كَوْكَبَا؟

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الضَّرِيرُ: رَأَيْتُ ابْنَ هُودَارَ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ تَحَوَّلْتَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، فَهَلْ رَأَيْتَ قَرَاراً يَا بْنَ هُودَارَ؟ قَالَ: فَأَجَابَنِي:

لَا بَلْ وَجَدْتُ عَذَاباً لَا انْقِطَاعَ لَهُ
مَدَى اللَّيَالِي وَرَبًّا غَيْرَ غَفَّارِ
وَمَنْزِلًا مُظْلِماً فِي قَعْرِ هَاوِيَةٍ(١)
قُرِنْتُ فِيهَا بِكُفَّارٍ وَفُجَّارِ
فَقُلْ لِأَهْلِي مُوتُوا مُسْلِمِينَ فَمَا
لِلْكَافِرِينَ لَدَى الْبَارِي سِوَى النَّارِ

﴿ ١٧ — الْحَسَنُ بْنُ مَيْمُونٍ النَّصْرِيُّ * ﴾

أَحَدُ بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ أَسَدِ بْنِ الحسن بن ميمون

(١) الهاوية: من أسماء جهنم

(*) راجع الفهرست ص ١٠٨

خُزَيْمَةَ . رَوَى عنهُ مُحَمَّدُ بْنُ النَّطَّاحِ ، وَكَانَ أَخْبَارِيًّا عَارِفًا ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ : لَهُ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ الدَّوْلَةِ ، كِتَابُ الْمَآثِرِ .

١٨ – الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي *

الحسن بن أبي المعالى

ابْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو عَلِيٍّ الْحِلِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ النَّحْوِيُّ . وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ ، سَمِعَ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ كُلَيْبٍ وَغَيْرِهِ ، وَقَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِي الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيِّ ، وَاللُّغَةَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، وَقَرَأَ الْكَلَامَ وَالْحِكْمَةَ عَلَى الْإِمَامِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي هٰذِهِ الْفُنُونِ وَفِي عِلْمِ النَّحْوِ ، وَأَخَذَ فِقْهَ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِي

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٠ بما يأتى قال :
قال ابن النجار قدم بغداد فى صباه وقرأ النحو على كثيرين وقرأ الكلام والحكمة وبرع فى هذه العلوم وصار المشار إليه المعتمد على ما يقوله أو ينقله ، وسمع الحديث من أبى الفرج وانتهت إليه الرياسة فى علم النحو والتوحيد ، وكان له همة عالية وحرص شديد على العلم وتحصيل الفوائد . مولده سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ومات يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

الْمَحَاسِنِ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الدَّامَغَانِيِّ الْحَنَفِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ ذَا فَهْمٍ ثَاقِبٍ وَذَكَاءٍ وَحِرْصٍ عَلَى الْعِلْمِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ — وَكَتَبَ الْكَثِيرَ بِخَطِّهِ — ذَا وَقَارٍ مَعَ التَّوَاضُعِ وَلِينِ الْجَانِبِ ، لَقِيتُهُ بِبَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

﴿ ١٩ — أَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

أبو الحسن البورانى

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي نُحَاةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَوَصَفَهُ بِالتَّدْقِيقِ فِي مَسَائِلِ الْكِتَابِ لِسِيبَوَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ طَبَقَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ .

﴿ ٢٠ — الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَطَّوَيْهِ * ﴾

الحسين بن احمد النحوى

أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣١

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣١

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَقَامُوا فَسَلَّمُوا
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّى مَشُوقٌ مُتَيَّمُ
سَرَوْا وَنُجُومُ اللَّيْلِ زُهْرٌ طَوَالِعٌ
عَلَى أَنَّهُمْ فِى اللَّيْلِ لِلنَّاسِ أَنْجُمُ
وَأَخْفَوْا عَلَى تِلْكَ الْمَطَايَا مَسِيرَهُمْ
فَنَمَّ (١) عَلَيْهِمْ فِى الظَّلَامِ التَّبَسُّمُ

وَقَالَ :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ
كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً
إِنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا ؟؟

﴿ ٢١ – الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالَوَيْهِ * ﴾

ابْنِ حَمْدَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ اللُّغَوِىُّ النَّحْوِىُّ مِنْ كِبَارِ — الحسين بن خالويه

---

(١) فنم عليهم : دل عليهم وإن هذا لمعنى جميل إذ يجعل من ثغرهم ضوءاً يمحى الظلام اذا ابتسموا « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول صفحة ١٥٧ قال : أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء بها وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه ، —

أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ أَصْلُهُ مِنْ هَمَذَانَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ طَالِباً لِلْعِلْمِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلاثِمِائَةٍ، فَلَقِيَ فِيهَا أَكَابِرَ الْعُلَمَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ مُجَاهِدٍ، وَالنَّحْوَ وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَنِفْطَوَيْهِ، وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ، وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مَخْلَدٍ الْعَطَّارِ وَغَيْرِهِ

وَقَرَأَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ الْمُعَافَا بْنُ زَكَرِيَّا النَّهْرَوَانِيُّ وَآخَرُونَ، وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ إِلَى حَلَبَ فَاسْتَوْطَنَهَا، وَتَقَدَّمَ فِي الْعُلُومِ حَتَّى كَانَ أَحَدَ أَفْرَادِ عَصْرِهِ، وَكَانَتِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ مِنَ الآفَاقِ، وَاخْتَصَّ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَبَنِيهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ آلُ حَمْدَانَ، وَكَانُوا يُجِلُّونَهُ وَيُكْرِمُونَهُ، فَانْتَشَرَ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ وَذَاعَ صِيتُهُ.

--- ولابن خالويه المذكور: كتاب في الأدب سماه كتاب ليس، وهو يدل على اطلاع عظيم فأن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس من كلام العرب كذا وليس كذا وخالويه بفتح الخاء الموحدة وبعد الالف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء.

وترجم له أيضاً في كتاب طبقات المفسرين صفحة ٦٤

وَلَهُ مع أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي مُنَاظَرَاتٌ . وَدَخَلَ يَوْماً على سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : اُقْعُدْ وَلَمْ يَقُلِ اجْلِسْ . قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : فَعَلِمْتُ بِذَلِكَ اعْتِلَاقَهُ[1] بِأَهْدَابِ الْأَدَبِ ، وَاطِّلَاعَهُ عَلَى أَسْرَارِ كَلَامِ الْعَرَبِ . « قُلْتُ قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ هَذَا ، « لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلْقَائِمِ اُقْعُدْ ، وَلِلنَّائِمِ وَالسَّاجِدِ اجْلِسْ » .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاء : كَانَ ابْنُ خَالَوَيْهِ عَالِماً بِالْعَرَبِيَّةِ ، حَافِظاً لِلُّغَةِ ، بَصِيراً بِالْقِرَاءَةِ ثِقَةً مَشْهُوراً ، رَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ غَلْبُونَ ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَغَيْرُهُمَا . وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ابْنِ خَالَوَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا أُقِيمُ بِهِ لِسَانِي ، فَقَالَ : أَنَا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَتَعَلَّمُ النَّحْوَ فَمَا تَعَلَّمْتُ مَا أُقِيمُ بِهِ لِسَانِي .

وَذَكَرَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي أَمَالِيهِ : أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ

---

(١) أي تعلقه

سَأَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ بِحَضْرَتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ : هَلْ تَعْرِفُونَ اسْمًا مَمْدُودًا وَجَمْعُهُ مَقْصُورٌ ؟ فَقَالُوا : لَا ، فَقَالَ لِي : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا أَعْرِفُ اسْمَيْنِ ، قَالَ : مَا هُمَا ؟ قُلْتُ : لَا أَقُولُ لَكَ إِلَّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ لِئَلَّا تُؤْخَذَ بِلَا شُكْرٍ ، وَهُمَا صَحْرَاءُ وَصَحَارَى ، وَعَذْرَاءُ وَعَذَارَى . وَقَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ يَقُولُ : اللَّئِيمُ الرَّاضِعُ[1] الَّذِي يَتَخَلَّلُ وَيَأْكُلُ خِلَالَتَهُ .

وَقَالَ : حَدَّثَنَا نِفْطَوَيْهِ عَنْ أَبِي الْجَهْمِ عَنِ الْفَرَّاءِ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : قَضَتْ عَلَيْنَا السُّلْطَانُ . قُلْتُ : السُّلْطَانُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالتَّذْكِيرُ أَعْلَى ، وَمَنْ أَنَّثَهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْحُجَّةِ ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَكَلْتُمْ فَرَازِمُوا » أَيِ افْصِلُوا بَيْنَ اللُّقْمَةِ وَالطَّعَامِ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى .

---

(١) اللئيم الراضع : الذى رضع اللؤم من ثدى أمه يريد بهذا الوصف أنه مؤسس فى اللؤم ومن يأكل الخلالة من بين أسنانه فقوله الذى يتخلل خبر لقوله اللئيم والراضع صفة مؤكدة . « عبد الخالق »

وَحَكَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيُّ وَهُوَ مِنْ تَلَامِذَتِهِ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ عِطْرٍ مَائِعٍ فَهُوَ الْمَلَابُ، وَكُلُّ عِطْرٍ يَابِسٍ فَهُوَ الْكِبَاءُ، وَكُلُّ عِطْرٍ يُدَقُّ فَهُوَ الْأَلَنْجُوجُ. وَلِابْنِ خَالَوَيْهِ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ذَكَرَ لَهُ فِيهِ خَمْسَمِائَةِ اسْمٍ، وَإِعْرَابُ ثَلَاثِينَ سُورَةً، وَالْبَدِيعُ فِي الْقِرَاءَاتِ، وَكِتَابُ اشْتِقَاقِ خَالَوَيْهِ، وَكِتَابُ «لَيْسَ» وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ، وَكِتَابُ الِاشْتِقَاقِ، وَكِتَابُ الْجُمَلِ فِي النَّحْوِ، وَكِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ، وَكِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَشَرْحُ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَكِتَابُ الْأَلِفَاتِ، وَكِتَابُ الْآلِ، ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ أَنَّ الْآلَ يَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا، وَذَكَرَ فِيهِ الْأَئِمَّةَ الِاثْنَيْ عَشَرَ وَمَوَالِيدَهُمْ وَوَفَيَاتِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ. مَاتَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي حَلَبَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

أَلْجُودُ طَبْعِي وَلَيْسَ لِي مَالٌ
فَكَيْفَ يَبْذُلُ مَنْ بِالْقَرْضِ يَحْتَالُ؟

فَهَاكَ حَظِّي نَخُذْهُ الْيَوْمَ تَذْكِرَةً
إِلَى اتِّسَاعِي فَلِي فِي الْغَيْبِ آمَالُ

وَقَالَ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ الْمَجَالِسِ سَيِّدًا
فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ صَدَّرَتْهُ الْمَجَالِسُ
وَكَمْ قَائِلٍ مَالِي رَأَيْتُكَ رَاجِلًا
فَقُلْتُ لَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَارِسُ

وَقَالَ :

أَيَا سَائِلِي عَنْ قَدِّ مَحْبُوبِيَ الَّذِي
كَلِفْتُ بِهِ وَجْدًا وَهِمْتُ غَرَامَا
أَبَى قِصَرَ الْأَغْصَانِ ثُمَّ رَأَى الْقَنَا
طِوَالًا فَأَضْحَى بَيْنَ ذَاكَ قَوَامَا[1]

(١) أى وسطاً

﴿ ٢٢ – الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسين بن أحمد الكاتب

ابْنِ جعفرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَجَّاجِ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ أَبُو عَبْدِ اللهِ شَاعِرٌ مُفْلِقٌ(١) قَالُوا إِنَّهُ فِي دَرَجَةِ

(١) أفلق الشاعر : أتى بالعجيب

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان جزء أول صفحة ١٥٥ قال :

تولى حسبة بغداد ، وأقام بها مدة ويقال : إنه عزل بأبى سعيد الأصطخرى الفقيه الشافعى ، وله فى عزله أبيات مشهورة لاحاجة إلى إثباتها هينا ويقال : إنه فى الشعر فى درجة امرىء القيس ، وإنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة . ومن جيد شعره هذه الأبيات :

يا صاحبي استيقظا من رقدة ... تزرى على عقل اللبيب الأكيس
هذى المجرة والنجوم كأنها ... نهر تدفق فى حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها ... فعلام شرب الراح غير مغلس
قوما اسقيانى قهوة رومية ... من عهد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف إذا تسلط حكمها ... موت العقول إلى حياة الأنفس

ومن شعره أيضا

قال قوم لزمت حضرة أحمد ... وتجنبت سائر الرؤساء
قلت ما قال له الذى أحرز الم ... ى قديما قبلى من الشعراء
يسقط الطير حيث يلتقط الـ ... حب ويغشى منازل الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره ، وتوفى بالنيل وحمل إلى بغداد — رحمه الله تعالى — .

والنيل بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهى بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والاصل فيه نهر حفره الحجاج ابن يوسف فى هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه قرى كثيرة .

وترجم له أيضا فى كتاب روضات الجنات صفحة ٢٤٠

امرئ القيس، لم يكن بينهما مثلهما وإن كان جل شعره مجون (١) وسخف، وقد أجمع أهل الأدب على أنه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحق شأوه فيها لاحق، قدير على ما يريده من المعاني الغاية في المجون مع عذوبة الألفاظ وسلاستها، وله مع ذلك في الجد أشياء حسنة لكنها قليلة، ويدخل شعره في عشر مجلدات أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين (٢) والخلديين (٣) والشطار (٤) ولكنه يسمعه أهل الأدب على علاته، ويتفكهون بثمراته، ويستملحون بنات صدره المتهتكات، ولا يستثقلون حركاتهن لخفتها وإن بلغت في الخفة غاية الغايات.

وإني لأقول كما قال أبو منصور لولا قول إبراهيم ابن المهدي: إن جد الأدب جد وهزله هزل، لصنت كتابي هذا عن مثل هذا المجون. وحديث كله ذو شجون.

(١) المجون: ألا يبالي الإنسان ما صنع (٢) المكدي: السائل الملح
(٣) يعني البغداديين (٤) الشطار جمع شاطر: وهو من أعيا أهله خبثا

وَلَقَدْ مَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْأُمَرَاءَ وَالْوُزَرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ ، فَلَمْ يَخْلُ شِعْرُهُ فِيهِمْ مَعَ هَيْبَةِ الْمَقَامِ مِنْ هَزْلٍ وَخَلَاعَةٍ . فَلَمْ يَعُدُّوهُ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الشَّنَاعَةِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَقْبُولًا مَسْمُوعًا غَالِيَ الْمَهْرِ وَالسِّعْرِ ، وَكَانَ يَتَحَكَّمُ عَلَى الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ بِخَلَاعَتِهِ ، وَلَا يُحْجَبُ عَنِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ مَعَ سَخَافَتِهِ ، يَسْتَقْبِلُونَهُ بِالْبَشَاشَةِ وَالْإِكْرَامِ ، وَيُقَابِلُونَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ ، وَنَاهِيكَ (١) بِرَجُلٍ يَصِفُ نَفْسَهُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ :

رَجُلٌ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ فِي السُّخْـ (٢)
ـفِ وَمَنْ ذَا يَشُكُّ فِي الْأَنْبَاءِ
جَاءَ بِالْمُعْجِزَاتِ يَدْعُو إِلَيْهَا
فَأَجِيبُوا يَا مَعْشَرَ السُّخَفَاءِ
حَدَثُ (٣) السِّنِّ لَمْ يَزَلْ يَتَلَقَّى
عِلْمَهُ بِالْمَشَايِخِ الْكُبَرَاءِ

(١) ناهيك : كافيك (٢) السخف والسخف والسخفة : رقة العقل

(٣) رجل حدث : أى فتى ، وحدث السن : صغيره

خَاطِرٌ يَصْفَعُ الْفَرَزْدَقَ فِي الشِّعْـ
ـرِ وَنَحْوٌ يَنِيكُ أُمَّ الْكِسَائِي
غَيْرَ أَنِّي أَصْبَحْتُ أَضْيَعَ فِي الْقَوْ
مِ مِنَ الْبَدْرِ فِي لَيَالِي الشِّتَاء

وَقَوْلُهُ فِي وَصْفِ شِعْرِهِ :

بِاللهِ يَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
تَعْرِفُ لِلنَّاسِ مِثْلَ شِعْرِي ؟
شِعْرٌ يَفِيضُ الْكَنِيفُ مِنْهُ
مِنْ جَانِبَيْ خَاطِرِي وَفِكْرِي
فَلَفْظُهُ مُنْتِنُ الْمَعَانِي
كَأَنَّهُ فَلْتَةٌ بِجُحْرِ
لَوْ جَدَّ شِعْرِي رَأَيْتَ فِيهِ
كَوَاكِبَ اللَّيْلِ كَيْفَ تَسْرِي ؟
وَإِنَّمَا هَزْلُهُ مُجُونٌ
يَمْشِي بِهِ فِي الْمَعَاشِ أَمْرِي

وَقَالَ :

فَإِنَّ شِعْرِى ظَرِيفٌ مِنْ بَابَةِ [١] الظُّرَفَاء
أَلَذُّ مَغْنًى وَأَشْهَى مِنَ اُسْتِمَاعِ الغِنَاء

وَقَالَ :

إِنْ عَابَ ثَعْلَبُ شِعْرِى أَوْ عَابَ خِفَّةَ رُوحِى
خَرِئْتُ فِى بَابِ أَفْعَلْـ ـتُ مِنْ كِتَابِ الفَصِيحِ

وَقَالَ فِى الأَمِيرِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ :

فَدَيْتُ وَجْهَ الأَمِيرِ مِنْ قَمَرٍ
يَجْلُو القَذَى نُورُهُ عَنِ البَصَرِ
فَدَيْتُ مَنْ وَجْهُهُ يُشَكِّكُنِى
فِى أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ [٢] البَشَرِ
إِنَّ زُلَيْخَا لَوْ أَبْصَرَتْكَ لَمَا
مِلْتُ إِلَى الحَشْرِ لَذَّةَ النَّظَرِ
وَلَمْ تَقِسْ يُوسُفًا إِلَيْكَ كَمَا
نَجْمُ السُّهَى لَا يُقَاسُ بِالقَمَرِ

(١) البابة : الغاية (٢) السلالة : النسل والولد

وكانَ ياسيّدي قميصُكَ إنْ
هَرَبْتَ منها ينقدُّ (١) من دُبُرِ
بلْ وحياتي لو كُنتَ يوسُفَها
لَمْ تكُ من تُهمةِ العَزيزِ بَرِى
لأنّني عالِمٌ بأنّكَ لَوْ
شَممْتَ ريّاً (٢) نَسيمِهَا العَطِرِ
سبقتَها وانزلقتَ تتبعُها
مَا بَيْنَ تِلكَ البيُوتِ والحُجرِ
وقدْ علِمنَا بأنّ سيّدَنا الـ
أميرَ مِمّنْ يَقولُ بالبَطَرِ (٣)
ولَمْ تكُنْ تِلكَ تشتكِي أبداً
مَا كانَ مِنْ يُوسُفٍ مِنَ الحَذرِ
طبعُكَ كالماءِ في سهُولَتِهِ
لكِنْ أبُو الزّبرِقانِ مِنْ حجَرِ

(١) ينقد : ينشق يشير إلى قوله تعالى : « وإن كان قميصه قد من دبر الخ »

(٢) الريا : الريح الطيبة (٣) أى طول البظر ، وهو هنة فى طرف الفرج

إِنَّ الْمُلُوكَ الشَّبَابَ مَا خُلِقُوا
إِلَّا صِلَابَ الْفِيَاشِ وَالْكَمَرِ

وَقَالَ يَشْكُو سُوءَ حَالِهِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ :

فِدَاؤُكَ نَفْسُ عَبْدٍ أَنْتَ مَوْلًى
لَهُ يَرْجُوكَ يَاخَيْرَ الْمَوَالِي
حَدِيثِي مُنْذُ عَهْدِكَ بِي طَوِيلٌ
فَهَلْ لَكَ فِي الْأَحَادِيثِ الطِّوَالِ ؟
فَإِنِّي بَيْنَ قَوْمٍ لَيْسَ فِيهِمْ
فَتًى يُنْهِي (١) إِلَى الْمَلِكِ اخْتِلَالِي
فَلَحْمِي لَيْسَ تَطْبُخُهُ قُدُورِي
وَحُوتِي لَيْسَ تَقْلِيهِ الْمَقَالِي
وَمَائِي قَدْ خَلَتْ مِنْهُ جِبَابِي (٢)
وَخُبْزِي قَدْ خَلَتْ مِنْهُ سِلَالِي

---

(١) ينهى : أنهى الرجل الخبر إلى فلان : أبلغه إياه . والامر إلى الحاكم : اعلمه به

(٢) جباب : مفردها الجب . البئر والهوة التي لايعرف قرارها

وَكِيسِي الْفَارِغُ الْمَطْرُوحُ خَافٍ
بَعِيدُ الْعَهْدِ بِالْقِطَعِ الْحَلَالِ
أُفَكِّرُ فِي مُقَامِي وَهْوَ صَعْبٌ
وَأَصْعَبُ مِنْهُ عَنْ وَطَنِي ارْتِحَالِي
فَبِي مَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ حَالِي الْـ
ـعَلِيلَةُ مِنْهُمَا تُمْسِي بِحَالِ
إِذَا عَالَجْتُ هَذَا جَفَّ كَبِدِي
وَإِنْ عَالَجْتُ ذَاكَ رَبَا طِحَالِي

وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَيْضاً :

يَاسَيِّدَ النَّاسِ عِشْتَ فِي نِعَمٍ
تَأْوِي إِلَيْهَا مَوَابِذُ (١) الْعَجَمِ
بَدِيهَتِي فِي الْخِصَامِ حَاضِرَةٌ
أَشْهَرُ فِي الْخَافِقَيْنِ (٢) مِنْ عَلَمِ

(١) موابذالعجم : عظماؤها وسادتها المفرد موبذان (٢) الخافقان المشرق والمغرب . وفى الاصل « الفيلقين » فأصلحت إلى الخافقين وهما المشرق والمغرب والعلم : الجبل

وَالْخطُّ خطّى كَمَا تَرَاهُ وَلَا الزْ
زُهْرَةُ [1] بَيْنَ الْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ

هَذَا وَخُبْزِى حَافٍ بِلَا مَرَقٍ
فَكَيْفَ لَوْ ذُقْتُ لَذَّةَ الدَّسَمِ ؟

مَالِى وَلِلَّحْمِ إِنَّ شَهْوَتَهُ
قَدْ تَرَكَتْنِي لَحْمًا عَلَى وَضَمِ [2]

وَمَا لِحَلْقِي وَالْخُبْزُ يَجْرَحُهُ
بِالْمِلْحِ يَشْكُو مَرَارَةَ اللُّقَمِ

وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

خَلِيلِي قَدْ اتَّسَعَتْ مِحْنَتِي
عَلَيَّ وَضَاقَتْ بِهَا حِيلَتِي

عَذَرْتُ عِذَارِىَ فِي شَيْبِهِ
وَمَا لُمْتُ إِذْ شَمِطَتْ [3] لِمَّتِي

(١) يريد ولا الزهرة كذلك (٢) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم
(٣) شمط اللمة : اختلاط لون شعرها الاسود بالبياض

إِلَى كَمْ يُخَاسِسُنِي (١) دَائِماً
زَمَانِي الْمُقَبَّحُ فِي عِشْرَتِي
تَحَيَّفَنِي ظَـالِماً غَاشِماً
وَكَدَّرَ بَعْـدَ الصَّفَا عِيشَتِي
وَكُنْتُ تَمَاسَكْتُ فِيمَا مَضَى
فَقَدْ خَانَنِي الدَّهْرُ فِي مُسْكَتِي (٢)
إِلَى مَنْزِلٍ لَا يُوَارِي إِذَا
تَرَبَّعْتُ فِيهِ سِوَى سَوْءَتِي
مُقِيمًا أَرُوحُ إِلَى حُجْرَةٍ (٣)
كَقَبْرِي وَمَا حَضَرَتْ مَيْتَتِي
إِذَا مَا أَلَمَّ صَدِيقِي بِهِ
عَلَى رَغْبَةٍ مِنْـهُ فِي زَوْرَتِي
فَرَشْتُ لَهُ فِيهِ بُسْطَ الْحَدِيـ
ـثِ مِنْ بَابِ بَيْتِي إِلَى صُفَّتِي (٤)

(١) أى يأتى بالخسة (٢) المسكة : ما يتبلغ به من الغذاء والشراب

(٣) وفى اليتيمة « إلى منزل » (٤) الصفة : البهو الذى يسلكه الانسان إلى داخل الدار

وَمِعْدَتُهُ فِي خِلَالِ الْكَلَا

م تَشْكُو خَوَاهَا [١] إِلَى مِعْدَتِي

وَقَدْ فَتَّ فِي عَضُدِي مَا بِهِ

وَلَكِنْ بِهِ [٢] غَلَبَتْ عِلَّتِي

وَأَغْدُو غُدُوًّا خَلِيقًا [٣] بِأَنْ

يَزِيدَ بِهِ اللهُ فِي شِقْوَتِي

فَأَيَّةُ دَارٍ تَيَمَّمْتُهَا

تَيَمَّمَ بَوَّابُهَا حُجَّتِي [٤]

وَإِنْ أَنَا زَاحَمْتُ حَتَّى أَمُوتَ

دَخَلْتُ وَقَدْ زَهَقَتْ مُهْجَتِي

فَيَرْفَعُنِي النَّاسُ عِنْدَ الْوُصُولِ

إِلَيْهِمْ وَقَدْ سَقَطَتْ عِمَّتِي

وَإِنْ نَهَضُوا بَعْدُ لِلْإِنْصِرَا

فِ أَسْرَعْتُ فِي إِثْرِهِمْ نَهْضَتِي

---

(١) الخوى : خلو الجوف من الطعام (٢) فى اليتيمة « عليه » (٣) فى الاصل ملياً (٤) أى خصومتى

وَإِنْ قَدَّمُوا خَيْلَهُمْ لِلرُّكُوبِ
خَرَجْتُ فَقَدَّمْتُ لِي رُكْبَتِي

وَفِي جُمَلِ(١) النَّاسِ غِلْمَانُهُمْ
وَلَيْسَ سَوَائِيَ(٢) فِي جُمْلَتِي

وَلَا لِي غُلَامٌ فَأَدْعُو بِهِ
سِوَى مَنْ أَبُوهُ أَخُو عَمَّتِي(٣)

وَكُنْتُ مَلِيحاً أَرُوقُ الْعُيُو
نَ قَبْلًا فَقَدْ قَبُحَتْ خِلْقَتِي

وَقَوَّسَنِي الْهَمُّ حَتَّى انْطَوَيْتُ
فَصِرْتُ كَأَنِّي أَبُو جَدَّتِي

وَكَانَ الْمُزَيِّنُ فِيمَا مَضَى
تُكَسَّرُ أَمْشَاطُهُ طُرَّتِي(٤)

وَكُنْتُ بِرَأْسٍ كَلَوْنِ الْغُدَافِ(٥)
فَقَدْ صِرْتُ أَصْلَعَ مِنْ فَيْشَتِي

(١) جمل الناس : جماعتهم (٢) أي غيري (٣) يريد نفسه فأن أباه أخو عمته (٤) الطرة : الناصية ، ومقدم الرأس (٥) الغداف : غراب كبير ، ويقال هو غراب القيظ يكون ضخم الجناحين . يريد شديد السواد

وَيَا رُبَّ بَيْضَاءَ رَوْدِ الشَّبَا[١]
بِ كَانَتْ تَحِنُّ إِلَى وَصْلَتِي
فَصَارَتْ تَصُدُّ إِذَا أَبْصَرَتْ
مَشِيبِي وَتَغْضَبُ مِنْ صَلْعَتِي[٢]
عَلَى أَنَّنِي قُلْتُ يَوْماً لَهَا
وَقَدْ أَمْضَتِ الْعَزْمَ فِي هَجْرَتِي
دَعِي عَنْكِ مَا فَوْقَهُ عِمَّتِي
فَإِنَّ جَمَالِي وَرَا تِكَّتِي
هُنَالِكَ شَيْءٌ يَسُرُّ الْعُيُو
نَ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَلَى دِقَّتِي

وَقَالَ :

وَيْحَكُمْ يَا كُهُولُ أَوْ يَا شُيُوخَ الْـ
ـفِسْقِ أَوْ يَا مَعَاشِرَ الْفِتْيَانِ

---

(١) رود الشباب : لينته (٢) الصلعة : انحسار الشعر عن مقدم الرأس

إِشْرَبُوهَا حَمْرَاءَ مِمَّا اقْتَنَاهَا
آلُ دَيْرِ الْعَاقُولِ (١) لِلْقُرْبَانِ

بِكُؤُوسٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ النَّسْـ
ـرِينِ فِيهَا شَقَائِقُ النُّعْمَانِ

إِشْرَبُوهَا وَكُلُّ إِثْمٍ عَلَيْكُمْ
إِنْ شَرِبْتُمْ بِالرِّطْلِ فِي مِيزَانِي (٢)

فِي لَيَالٍ لَوْ أَنَّهَا دَفَعَتْنِي
وَسْطَ ظَهْرِي وَقَعْتُ فِي رَمَضَانِ

وَقَالَ يَسْتَهْدِي أَبَا تَغْلِبَ بْنَ حَمْدَانَ فَرَساً :

إِسْمَعِ الْمَدْحَ الَّذِي لَوْ قِيلَ فِي
أَحَدٍ غَيْرِكَ قَالُوا سَرِقَا

جَاءَ يَسْتَهْدِيكَ مُهْراً أَدْهَمًا
يَرْكَبُ الْفَارِسُ مِنْهُ غَسَقَا (٣)

---

(١) وكانت فى الأصل آل دير القانون ، والعاقول : دير بين مدائن كسرى والنعمانية على بعد خمسة عشر فرسخاً من بغداد ، وقال الشاعر :

فيك دير العاقول ضيعت أيا مي بلهو وحث شرب وطرف

إلى آخر ما جاء من الشعر فى معجم البلدان لياقوت (٢) فى الاصل ميزان ولكن بأضافتها إلى ياء المتكلم يصح المعنى ويستقيم (٣) الغسق : الظلام . يريد كأنه يركب ظلاماً . ومنه من فيه للتجريد وهو أحد أنواع البديع « عبد الخالق »

كَالدُّجَى تُبْصِرُ مِنْ غُرَّتِهِ
فَوْقَ أَطْبَاقِ دُجَاهُ فَلَقَا (١)
جَلَّ أَنْ يُلْحَقَ مَطْلُوباً وَمَنْ
طَلَبَ الرِّيحَ عَلَيْهِ لَحِقَا
فَتَرَاهُ وَاقِفاً فِي سَرْجِهِ
يَتَلَظَّى مِنْ ذَكَاهُ قَلَقَا
فَإِذَا طَابَ بِهِ الْمَشْيُ مَضَى
وَهْوَ كَالرِّيحِ يَشُقُّ الطُّرُقَا
كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ (٢) إِلَّا أَنَّهُ
لَيْسَ يَسْقِي الْأَرْضَ إِلَّا عَرَقَا
جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ يَعْدُو الْمَرَطَى (٣)
فِي مَدَى السَّبْقِ وَيَمْشِي الْعَنَقَا (٤)

(١) الفلق: الصبح (٢) الجون: الأبيض والأسود ضد. والاسود المراد هنا
(٣) المرطى: ضرب من العدو (٤) العنق: ضرب من السير ومنه:

يا ناق سيرى عنقاً فسيحاً إلى سليمان فنستريحا

« عبد الخالق »

وَاسْتَدْعَاهُ الْوَزِيرُ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الْقِتَالِ فَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

يَا سَائِلِي عَنْ بُكَاى حِينَ رَأَى
دُمُوعَ عَيْنِي تُسَابِقُ الْمَطَرَا
سَاعَةَ قِيلَ الْوَزِيرُ مُنْحَدِرٌ
أَسْرَعَ دَمْعِي وَفَاضَ مُنْحَدِرَا
وَقُلْتُ يَا نَفْسُ تَصْبِرِينَ وَهَلْ
يَعِيشُ بَعْدَ الفِرَاقِ مَنْ صَبَرَا ؟
شَاوَرْتُهُ وَالْهَوَى يُفَتِّتُهُ
وَالرَّأْيُ رَأْيُ الصَّوَابِ قَدْ حَضَرَا
أَهْوَى انْحِدَارِي وَالْحَزْمُ يَكْرَهُهُ
وَتَارِكُ الْحَزْمِ يَرْكَبُ الْغَرَرَا (١)
لِأَنَّنِي عَاقِلٌ وَيُعْجِبُنِي
لُزُومُ بَيْتِي وَأَكْرَهُ السَّفَرَا

(١) الغرر : التعرض للهلكة

اَلْخَيْشُ نِصْفَ النَّهَارِ يُعْجِبُنِي
وَالْمَاءُ بِالثَّلْجِ بَارِداً خَصِرَا (١)

وَالشُّرْبُ فِي رَوْشَنِي (٢) أَقُولُ بِهِ
كَيْمَا أَرَى الْمَاءَ مِنْهُ وَالْقَمَرَا

وَلَا أَقُودُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ بَلَى
أَسُوقُ بَيْنَ الْأَزِقَّةِ الْبَقَرَا

مِنْ كُلِّ جَامُوسَةٍ لِعُنْبُلِهَا (٣)
رَأْسٌ بِقَرْنَيْهِ يَفْلِقُ الْحَجَرَا

قَدْ نَفَخَ الشَّحْمُ جَوْفَهَا فَغَدَا
كَأَنَّهُ بَطْنُ نَاقَةٍ عُشَرَا (٤)

تَرْكُضُ مِثْلَ الْحِصَانِ نَافِرَةً
وَمَنْ يَرُدُّ الْحِصَانَ إِنْ نَفَرَا ؟

---

(١) الخيش لزوم البيت — والخصر : شدة البرودة . يقول يعجبنى لزوم البيت وشرب الماء المبرد بالثلج ، ولفظ الماء معطوف على الخيش (٢) الروشن : الكوة وهى الخرق الصغير وأقول به ، يريد لا أرى غيره رأياً (٣) العنبل : الغليظ منها (٤) الناقة العشراء : هي التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر وتجمع على عشار وعشراوات « عبد الخالق »

أَحْسَنُ فِي الْحَرْبِ مِنْ صُفُوفِكُمُ
غَدًا قُعُودِي أُصَفِّفُ الطُّرَرَا

هَيْهَاتَ أَنْ أَحْضُرَ الْقِتَالَ وَأَنْ
تَرَى بِعَيْنَيْكَ فِيهِ لِي أَثَرَا

بَلِ الَّذِي لَا يَزَالُ يُعْجِبُنِي الدْ
دَبِيبُ بِاللَّيْـــلِ خَائِفًا حَذِرَا

الدُّفُّ عِنْدَ الصَّبَاحِ دَبْدَبَتِي (١)
وَبُوقِ النَّايُ كُلَّمَا زَمَرَا

هَذَا اعْتِقَادِي وَهَكَذَا أَبَدًا
أَرَى لِنَفْسِي وَأَنْتَ كَيْفَ تَرَى؟ (٢)

وَمِنْ مُقَطَّعَاتِهِ :

مَلِكٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُلْكِهِ
غَيْرُ دَارٍ وُشِّحَتْ بِالنِّعَـــمِ

---

(١) الدبدبة : كل صوت كوقع الحافر على الارض، يريد أن دفه دبدبته

(٢) ومن اللطائف التى جاءت فى سيرة أبى دلامة وهو من أضراب الحسين ما روى فى معاهد التنصيص أن أبا دلامة جيء به إلى المنصور سكران فحلف ليخرجنه فى بعث حرب مع روح بن عدى بن حاتم المهلى وخرج . —

لَوْ رَمَى شَدَّادُ فِيهَا طَرْفَهُ

زَهَّدَتْهُ بَعْدَهَا فِي إِرَمِ (١)

وَقَالَ :

صَنَعْتَ فِي دَارِكَ فَوَّارَةً

أَغْرَقْتَ فِي الْأَرْضِ بِهَا الْأَنْجُمَا

— فلما التقى الجمعان قال لروح : لو أن فرسك تحتى وسلاحك فى يدى لرأيت منى أعظم الأثر فى القتال فنزل له عن فرسه وسلاحه ، ولما رأى أن ذلك فى يده وأن طمع روح فيه قطع قال له اسمع منى وأنشده :

إنى استجرتك أن أقدم فى الـ — ـوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة — فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لمن يجىء ولا يرى — إنى درأت الموت بالنشاب

فقال روح : دع عنك هذا ولا بد من النزول فلما جاء دوره فى البراز أمره بالخروج فقال :

إنى أعوذ بروح أن يقدمنى — إلى القتال فتخزى بى بنو أسد
إن البراز إلى الاقران أعلمه — مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها — وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورثكم — وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها — لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك منه روح وأعفاه

« عبد الخالق »

(١) يريد إرم ذات العماد وقد وصفت فى التواريخ بما لا يعقل فأن لبنها كما يقولون من ذهب وفضة إلى آخر ما ورد من ذلك فى التاريخ بناها شداد بن عاد وقد جاء ذكرها فى القرآن فى سورة الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها » فى حينها ولعلها فى العالم كالاهرام مثلا إلى غير ذلك من أساطير المؤرخين وكم لهم من أساطير وقد تكلم عنها ابن خلدون فى المقدمة بما يشفى النفس فراجعه إن شئت .

« عبد الخالق »

فَاضَ عَلَى نَجْمِ السُّهى مَاؤُهَا
فَأَصْبَحَتْ أَرْضُكَ تَسْقِي السَّمَا

وَقَالَ :

وَاسْتَوْفِ عُمْرَ الدَّهْرِ فِي نِعْمَةٍ
دُونَ مَدَاهَا مَوْقِفُ الْحَشْرِ
مُصِيبَةُ الْحَاسِدِ فِي مُكْثِهَا
مُصِيبَةُ الْخَنْسَاءِ فِي صَخْرِ

وَقَالَ :

هَـذَا حَدِيثٌ تَنْمِي عَجَائِبُهُ
بِكَثْرَةِ الْقَالِ فِيهِ وَالْقِيلِ
أَعْجَزَنِي دَفْنُهُ فَشَاعَ كَمَا
أَعْجَزَ قَابِيلَ دَفْنُ هَابِيلِ

وَقَالَ :

قَدْ وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى غَلَّتِي
وَاقْتَسَمُوهَا كَارَةً كَارَةً (١)

(١) كارة كارة : الكارة مقدار معلوم ، يريد بيدرا بيدرا وهو ما تجمع فيه الغلال المسمى جرنا

لَا يُفْلِسُ الْبَقَّالُ إِلَّا إِذَا
تَصَالَحَ السِّنَّوْرُ وَالْفَارَةْ

وَقَالَ :

عَجِبْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَأَيُّ شَيْءٍ
عَجِيبٍ لَا أَرَاهُ مِنَ الزَّمَانِ
يُصَادِرُ قُوتَ جُرْذَانٍ عِجَافٍ
فَيَجْعَلُهُ لِأَوْعَالٍ سِمَانِ (١)

وَقَالَ :

يَا رَائِحًا فِي دَارِهِ غَادِيًا (٢)
بِغَيْرِ مَعْنًى وَبِلَا فَائِدَةْ
قَدْ جُنَّ أَضْيَافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ
فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةْ

---

(١) جرذان : فئران جمع جرذ ، وأوعال : تيوس الجبل ، جمع وعل .
(٢) ذاهبا جائيا

وَقَالَ :

فَدَيْتُ مَنْ لَقَّبَنِي مِثْلَ مَا
لَقَّبْتُهُ وَالْحَقُّ لَا يُغْضِبُ
إِنْ قُلْتُ يَا عُرْقُوبُ[1] خَادَعْتَنِي
يَقُولُ لِمْ نَفْسَكَ يَا أَشْعَبُ

وَقَالَ :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا غَدَا مَدْحِي فَمَا شَكَرُوا
وَرَاحَ ذَمِّي فَمَا بَالُوا وَلَا شَعَرُوا[2]
عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا
وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ

وَقَالَ :

الصُّبْحُ مِثْلُ الْبَصِيرِ نُوراً
وَاللَّيْلُ فِي صُورَةِ الضَّرِيرِ

---

(١) عرقوب مضرب المثل فى الكذب قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا   ومامواعيدها إلا الأباطيل

وأشعب يضرب به المثل فى الطمع . هم الصبية يوما بالعبث به فقال لهم : إن فى خطة كذا عرسا فيه من الطعام ما فيه ، فبادر الصبيان إليه فحدثته نفسه أنه ربما كان قوله صحيحا فتبع الصبيان . « عبد الخالق »

(٢) شعر بالشيء بالفتح : فطن له

فَلَيْتَ شِعْرِى بِأَىِّ رَأْيٍ
يُخْتَارُ أَعْمَى عَلَى بَصِيرٍ ؟

وَقَالَ :

إِنَّ بَنِي بَرْمَكَ لَوْ شَاهَدُوا
فِعْلَكَ بِالْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ
مَا اعْتَرَفَ الْفَضْلُ بِيَحْيَى أَبًا
وَلَا انْتَمَى يَحْيَى إِلَى خَالِدِ

وَقَالَ :

مَوْلَاىَ يَا مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى
نَظِيرِهِ فِى الْحُسْنِ مَوْجُودُ
إِنْ كُنْتُ أَذْنَبْتُ بِجَهْلِى فَقَدْ
أَذْنَبَ وَاسْتَغْفَرَ دَاوُدُ

وَلَطَائِفُ ابْنِ الْحَجَّاجِ كَثِيرَةٌ ، وَفِيمَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْهَا كِفَايَةٌ . تُوُفِّىَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِى بَغْدَادَ عِنْدَ مَشْهَدِ

مُوسَى الكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — ، وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَيُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ: « وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » وَكَانَ مِنْ كِبَارِ شُعَرَاءِ الشِّيعَةِ وَقَدْ رَآهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا حَالُكَ فَأَنْشَدَ :

أَفْسَدَ سُوءُ مَذْهَبِي
فِي الشِّعْرِ حُسْنَ مَذْهَبِي
لَمْ يَرْضَ مَوْلَايَ عَلَى
سَبِّي لِأَصْحَابِ النَّبِي

وَرَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمُوسَوِيُّ بِقَصِيدَةٍ ارْتَجَلَهَا حِينَ أَتَاهُ نَعْيُهُ فَقَالَ :

نَعَوْهُ عَلَى ضَنٍّ قَلْبِي بِهِ
فَلِلَّهِ مَاذَا نَعَى النَّاعِيَانِ
رَضِيعُ صَفَاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ
مِنَ الْقَلْبِ مِثْلُ رَضِيعِ اللِّبَانِ

بَكَيْتُكَ لِلشُّرَّدِ السَّائِرَا

تِ تَعْبَثُ أَلْفَاظُهَا بِالْمَعَانِي

مَوَاسِمُ يَنْهَلُّ مِنْهَا الْحَيَا

بِأَشْهَرَ مِنْ مَطْلَعِ الزِّبْرِقَانِ (١)

جَوَائِفُ (٢) تَبْقَى أَخَادِيدُهَا (٣)

عِمَاقًا وَتَعْفُو نُدُوبُ (٤) الطِّعَانِ

تَبِضُّ إِلَى الْيَوْمِ آثَارُهَا

بِأَحْمَرَ مِنْ عَائِدِ الطَّعْنِ قَانِي (٥)

قَعَاقِعُهُنَّ (٦) تَشُنُّ الْحُتُوفَ

إِذَا هُنَّ أَوْعَدْنَ لَا بِالشِّنَانِ (٧)

وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَنُونَ

تَفُلُّ مَضَارِبَ ذَاكَ اللِّسَانِ

---

(١) الزبرقان : القمر (٢) الجائف : البالغ الجوف . يصف قصائده بأن آثارها أشد وأبقى من ندوب الطعان (٣) أخاديد جمع أخدود : كالحفرة (٤) ندوب جمع ندبة : أثر الجرح (٥) القانى : الشديد الحمرة (٦) جمع قعقعة : صوت السلاح (٧) الشنان : جمع شن : جلد يابس يضرب عليه للتخويف ويجوز أن يكون أصلها السنان بالسين المهملة

لِسَانٌ هُوَ الْأَزْرَقُ الْقَعْضَبِيُّ(١)

تَمَضْمَضَ فِي رِيقِهِ الْأُفْعُوَانِي(٢)

لَهُ شَفَتَا مِبْرَدِ الْهَالِكِيِّ(٣)

أَنْحَى بِجَانِبِهِ غَيْرَ وَانِي

إِذَا لَزَّ(٤) بِالْعَرْضِ مِبْرَاتَهُ

تَصَدَّعَ صَدْعَ الرِّدَاءِ الْيَمَانِي

يَرَى الْمَوْتُ أَنْ قَدْ طَوَى مُضْغَةً

وَلَمْ يَطْوِ إِلَّا غِرَارَ(٥) السِّنَانِ

فَأَيْنَ تَسَرُّعُهُ لِلنِّضَالِ

وَهَبَّاتُهُ لِلطِّوَالِ اللِّدَانِ(٦)

يَشُلُّ الْجَوَانِحَ شَلَّ السِّيَاطِ

وَيَلْوِي الْجَوَانِحَ لَيَّ الْعِنَانِ

(١) القعضبي نسبة إلى قعضب : وهو رجل كان يصنع السنان (٢) الأفعوانى منسوب إلى الافعوان : وهو الثعبان فهو صفة لريق « عبد الخالق »

(٣) الهالكى : الحداد أو الصيقل لان أول من عمل الحديد الهالك بن أسد فهذا سبب الاطلاق على الحداد والصيقل « عبد الخالق »

(٤) لز : ألصق ، والعرض : الجبل أو سفحه (٥) الغرار : حد السهم والسيف والرمح (٦) أى الرماح . واللدان جمع لدن

فَإِنْ شَاءَ كَانَ حِرَانَ الْجِمَاحِ
وَإِنْ شَاءَ كَانَ جِمَاحَ الْحِرَانِ
يَهَابُ الشُّجَاعُ غَذَامِيرَهُ(١)
عَلَى الْبُعْدِ مِنْهُ مَهَابَ الْجَبَانِ
وَتَعْنُو الْمُلُوكُ لَهُ خِيفَةً
إِذَا رَاعَ قَبْلَ اللَّظَى بِالدُّخَانِ
وَكَمْ صَاحِبٍ كَمَنَاطِ الْفُؤَادِ
عَنَانِي مِنْ يَوْمِهِ مَا عَنَانِي
قَدِ انْتَزَعَتْ مِنْ يَدَىَّ الْمَنُونُ
وَلَمْ يُغْنِ ضَمِّى عَلَيْهِ بَنَانِي
فَزَالَ زِيَالَ الشَّبَابِ الرَّطِيبِ
وَخَانَكَ يَوْمَ لِقَاءِ الْغَوَانِي
لِيَبْكِ الزَّمَانُ طَوِيلاً عَلَيْكَ
فَقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ

(١) أى صياحه وغضبه ، جمع غذمرة

﴿ ٢٣ – الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ وَاسَانَ * ﴾

الحسين بن الحسن الواسانى

ابْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ الْوَاسَانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ بَرَعَ وَبَرَّزَ(١) فِي الْهِجَاءِ ، وَلَهُ فِيهِ نَفَسٌ طَوِيلٌ ، فَهُوَ فِي عَصْرِهِ كَابْنِ الرُّومِيِّ فِي زَمَانِهِ ، وَلَهُ أَهَاجٍ كَثِيرَةٌ فِي ابْنِ الْقَزَّازِ لِعَدَاوَةٍ تَأَصَّلَتْ بَيْنَهُمَا ، وَكَانَ هِجَاؤُهُ لَهُ سَبَبًا لِعَزْلِ الْوَاسَانِيِّ عَنْ عَمَلِهِ . وَمِنْ أَجْوَدِ شِعْرِهِ قَصِيدَتُهُ النُّونِيَّةُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا دَعْوَةً عَمِلَهَا فِي حَمْرَايَا مِنْ قُرَى دِمَشْقَ قَالَ :

مَنْ لِعَيْنٍ تَجُودُ بِالْهَمَلَانِ
وَلِقَلْبٍ مُدَلَّهٍ حَيْرَانِ ؟
يَا خَلِيلَيَّ أَقْصِرَا عَنْ مَلَامِي
وَارْثِيَا لِي مِنْ نَكْبَتِي وَارْحَمَانِي

---

(١) برز : فاق غيره

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

وَمَتَى مَا ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَبْنَا
ءِ الْبَغَايَا وَالْعَاهِرَاتِ الزَّوَانِي

فَانْتِفَا لِحْيَتِي وَجَزًّا سِبَالِي(١)
وَبِنَعْلِي الْكَنِيفِ فَاسْتَقْبِلَانِي

مَا الَّذِي سَاقَنِي لِحَيْنِي(٢) إِلَى حَتْـ
ـفِي وَمَا غَالَنِي وَمَاذَا دَهَانِي ؟

مَنْ عَذِيرِي مِنْ دَعْوَةٍ أَوْهَنَتْ عَظْـ
ـمِي وَهَدَّتْ بِوَقْعِهَا أَرْكَانِي ؟

كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ وَمُسْتَمَعٍ مِنْـ
ـهَا وَمَنْ ذَا يَنْجُو مِنَ الْحِدْثَانِ(٣) ؟

فَتَرَتْ فِطْنَتِي وَهِجْتُ عَلَى نَفْـ
ـسِي بَلَاءً مَا كَانَ فِي حِسْبَانِي

كَانَ عَيْشِي صَافٍ(٤) فَكَدَّرَهُ أَهْـ
ـلُ صَفَائِي بَنُو أَبِي صَفْوَانِ

---

(١) سبالى : ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين

(٢) الحين : الهلاك (٣) الحدثان : نوائب الدهر (٤) صاف اسم كان وعيش خبرها ، ولا غرابة فى كون الاسم نكرة والخبر معرفة ، لأنه جائز فى النواسخ خاصة . وبنو بدل من أهل. « عبدالخالق »

فَاْذَنُوا لِى مَعَاشِرَ النَّاسِ مِنْ ضُـ
رِّى وَمِنْ طُولِ مِحْنَتِى وَامْتِحَانِى
ضُرِبَ الْبُوقُ فِى دِمَشْقَ وَنَادَوْا
لِشَقَائِى فِى سَائِرِ الْبُلْدَانِ
النَّفِيرَ النَّفِيرَ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْـ
لِ إِلَى قفرِ ذَا الْفَتَى الْوَاسَانِى
جَمَعُوا لِى الْجُمُوعَ مِنْ جِيلِ جِيلاَ
نَ وَفَرْغَانَةٍ وَمِنْ دَيْلَمَانِ
وَمِنَ الرُّومِ وَالصَّقَالِبِ وَالتُّرْ
كِ وَبَعْضِ الْبُلْغَارِ وَالْيُونَانِ
وَمِنَ الْهِنْدِ وَالْأَعَاجِمِ وَالْبَرْ
بَرِ وَالْكَيْلَجُوجِ (١) وَالْبَلْقَانِ
لَمْ يُحَاشُوا مِمَّنْ عَدَدْتُ مِنَ الْآ
فَاقِ مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا نَصْرَانِى

(١) الكيلجوج : أهل العراق

وَالْبَوَادِي مِنَ الْحِجَازِ إِلَى نَجْـ
ـدٍ مَعَدِّيِّهَا مَعَ الْقَحْطَانِي
كُلُّ شَكْلٍ مَا بَيْنَ حُدْبٍ وَحُولٍ
وَأَصَمٍّ وَالْعُمْيِ وَالْعُورَانِ
وَشُيُوخٍ قُبٍّ(١) الْبُطُونِ وَشُبَّا
نٍ رِحَابِ الْأَشْدَاقِ وَالْمُصْرَانِ(٢)
كُلُّ ذِي مِعْدَةٍ تُقَعْقِعُ جُوعاً
وَهُو شَاكِي السِّلَاحِ(٣) بِالْأَسْنَانِ
كُلُّ ذِي اسْمٍ مُسْتَغْرَبٍ أَعْجَمِيٍّ
مَنَعَتْ صَرْفَ إِسْمِهِ عِلَّتَانِ
كَمَرَنْدٍ وَطُغْتُكِينَ وَطَرْخَا
نَ وَكِسْرَى وَخُرَّمٍ وَطُغَانِ
وَخُمَارٍ(٤) وَزَيْرَكٍ وَخُوَنْدٍ
وَتَمِيشٍ وَطَشْلَمٍ وَجُوَانِ

(١) قب البطون : ضامروها (٢) جمع مصير وهى المعى (٣) شاكى السلاح : تام السلاح (٤) يريد : خمار تكين

وَطِرَادٍ وَجَهْبَلٍ وَزِيَادٍ
وَشِهَابٍ وَعَامِرٍ وَسِنَانِ
عُمُرٌ (١) جُمِّعُوا بِغَيْرِ عُقُولٍ
وَازِعَاتٍ عَنِّي وَلَا أَذْيَانِ
هَلْ سَمِعْتُمْ بِمَعْشَرٍ جَمَعُوا الْخَيْـ
ـلَ وَسَارُوا بِالرَّجْلِ وَالْفُرْسَانِ
رَحَلُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ لَيْلَةَ الْمَرْ
فَعِ (٢) مِنْ أَجْلِ أَكْلَةٍ مَجَّانِ
شَرَهٌ بَارِدٌ وَحِرْصٌ عَلَى الْأَ
كْلِ فَوَيْلِي مِنْ مَعْشَرٍ مُجَّانِ
لَسْتُ أَنْسَى مُصِيبَتِي يَوْمَ جَاءُو
نِي وَقَدْ ضَاقَ عَنْهُمُ الْوَادِيَانِ
وَرَدُوا لَيْلَةَ الْخَمِيسِ عَلَيْنَا
فِي خَمِيسٍ (٣) مِلْءَ الرُّبَا وَالْمَغَانِي

(١) عمر جمع عمر : وهو سيء الرأى والتدبير (٢) المرفع : أيام معلومة تكون قبل الصوم عند النصارى والجمع مرافع (٣) خميس : جيش جرار

مُتَوَالٍ كَالسَّيْلِ لَا يَلْتَقِي مِنْـ
ـهُ لِفَرْطِ انْتِشَارِهِ الطَّرَفَانِ
أَشْرَفُوا بِي عَلَى زُرُوعٍ وَأَخْطَا
بٍ وَبَيْتٍ بِخَيْزِهِ مَلْآنِ
لَبَنٍ قَارِسٍ (١) وَخُبْزٍ طَرِيٍّ
وَقُدُورٍ تَغْلِي عَلَى الدَّارِكَانِ (٢)
وَشِوَاءٍ مِنَ الْجِرَاءِ وَمَغْلُو
فٍ دَجَاجٍ وَفَائِقِ الْحُمْلَانِ
وَشَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ زَوْرَةِ الْمَعْـ
ـشُوقِ بَعْدَ الصُّدُودِ وَالْهِجْرَانِ
يُخْجِلُ الْوَرْدَ فِي الرَّوَائِحِ وَالطَّعْـ
ـمِ وَيَحْكِي شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
أَذْكَرَتْنِي جُيُوشُهُمْ يَوْمَ جَاءُو
نِي بِيَوْمِ الْكُلَابِ وَالرَّحْرَحَانِ (٣)

(١) قارس : بارد (٢) الداركان : نوع من الحطب

(٣) يومان من أيام الحرب عند العرب

يَقْدُمُ الْقَوْمَ أَرْحَبِيٌّ هَرِيتُ (١) الشْـ

ـشِدْقِ رَحْبُ الْمِعَى طَوِيلُ اللِّسَانِ

هُوَ نَحْسُ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ وَالْوَزْ

زِ وَذِئْبُ النِّعَاجِ وَالْخِرْفَانِ

بِسَوَادٍ مِنْ عَظْمِهِ طَبَّقَ الْأَرْ

ضَ وَخَيْلٍ يَهْوِينَ كَالظُّلْمَانِ (٢)

وَأَبُو الْقَاسِمِ الْكَبِيرُ عَلَى طِرْ

فٍ كُمَيْتٍ أَقَبَّ كَالسِّرْحَانِ (٣)

وَأَخُوهُ الصَّغِيرُ يَعْتَرِضُ الْخَيْـ

ـلَ عَلَى قَارِحٍ عَرِيضِ اللَّبَانِ (٤)

وَهُمَا يَهْوِيَانِ بِالسَّاقِ وَالرِّجْـ

ـلِ إِلَى مَا يَسُوءُنِي مُسْرِعَانِ

وَالسَّرِيُّ الَّذِي سَرَى فِي جُيُوشٍ

أَضْعَفَتْنِي وَقَصَّرَتْ مِنْ عِنَانِي

---

(١) أرحب قبيلة من همدان ومنه النجائب الأرحبيات . هريت الشدق : واسعه

(٢) الظلمان جمع ظليم : وهو ذكر النعام (٣) السرحان : الذئب

(٤) اللبان من الفرس : ماجرى عليه اللبب من الصدر

بِفَمٍ واسِعٍ وَشِدْقٍ رَحِيبٍ
وَبِكَفٍّ تَجُولُ كَالصَّوْلَجَانِ
وَأَخُوهُ الفَضْلُ الَّذِى بَانَ لِلْعَا
لَمِ مِنْ فَضْلِهِ شِفَا النُّقْصَانِ
وَالشُّمُولِىُّ حَلْقُهُ حَلْقُ جَمَّا
لٍ عَرِيضِ الأَكْتَافِ عَبْلِ الْجِرَانِ (١)
لَسْتُ أَنْسَاهُ جَاثِيًا (٢) جَاحِظَ الْـ
ـعَيْنِ عَبُوسًا فِى صُورَةِ الْغَضْبَانِ
كَالعُقَابِ الغَرْثَانِ (٣) يَقْتَنِصُ اللَّحْـ
ـمَ وَيَهْوِى إِلَى طُيُورِ الْخِوَانِ
وَالأَدِيبُ الَّذِى بِهِ كُنْتُ أَعْتَدْ
ـدُ غَزَانِى فِى الحِينِ فِيمَنْ غَزَانِى
وَكَذَا الْكَاتِبُ الَّذِى كَانَ جَارِى
وَصَدِيقِى وَمُشْتَكَى أَحْزَانِى

---

(١) الجران : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره (٢) أى جالساً على ركبتيه أو على أطراف أصابعه (٣) الغرثان : الجائع

وَصَدِيقُ الْأَشْرَافِ أَخْنَى عَلَى خُمْـ
ـرِى وَأَفْنَى بِالْكَرْعِ مَافِى دِنَانِى

كُلَّمَا شَقَّقَ الْفَرَارِيجَ شَقَّقْـ
ـتُ لِغَيْظِى مِنْ فِعْلِهِ قُمْصَانِى

وَهْوَ فِى أَمْرِهِ مُجِرٌّ[1] رَخِىُّ الْبَـ
ـالِ لَمْ يَعْنِهِ الَّذِى قَدْ عَنَانِى

مُجْرَهِدٌّ[2] كَالسُّوسِ فِى الصُّوفِ فِى الصَّـ
ـيْفِ بِقَلْبٍ خَالٍ مِنَ الْإِيمَانِ

قُلْتُ قُلْ لِى يَابْنَ الْمُبَشِّرِ مَا شَأْ
نُكَ مِنْ بَيْنِ مَنْ غَزَانِى وَشَانِى؟

لَيْسَ هَذَا مِنْ شَهْوَةِ الْأَكْلِ هَذَا
مِنْ طَرِيقِ الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ

قُلْتُ لِلْفَيْلَسُوفِ لَمَّا غَدَا فِى الْـ
أَكْلِ أَعْنِى فَتَى أَبِى عَدْنَانِ

---

(١) من أجر البعير إذا فاضت الجرة على فه وابتلعها ثانيا أو من أجره رسنه تركه يفعل مايشاء (٢) مجرهد : مسرع فى سيره

وَاسْتَحَثَّ الْكُؤُوسَ صِرْفاً بِلاَمَزْ
جٍ وَلاَءً(١) كَالْهَائِمِ الظَّمْآنِ
لَيْتَ شِعْرِى أَذَاكَ مِنْ طِبِّ بُقْرَا
طَ تَعَلَّمْتَهُ وَسَمْعِ الْكِيَانِ ؟(٢)
وَبِهَذَا تَزْدَادُ بِالْعَالَمِ الْجِسْـ
ـمِيِّ عِلْماً وَالْعَالَمِ الرُّوحَانِى
ثُمَّ لاَ تَنْسَ مَا لَقِيتُ وَمَا سِمْـ
ـتُ هَوَاناً(٣) مِنْ عَسْكَرِ الْفَرْغَانِ
أَعْجَمِىُّ اللِّسَانِ أَفْصَحُ مِنْ قُـ
ـسٍّ إِذَا مَا انْتَشَى وَمِنْ سَحْبَانِ
قَالَ : قُمْ فَأْتِنَا بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ
وَنَبِيذٍ مُعَتَّقٍ فِى الدِّنَانِ
وَغُلاَمٍ مُهَفْهَفٍ حَسَنِ الْوَجْـ
ـهِ يُحَاكِى جَمَالُهُ غُصْنَ بَانِ

(١) أى متتالية متوالية (٢) اسم كتاب لأرسطاطاليس
(٣) بياض بالأصل فجعلتها سمت هواناً بدل شمت من سام إذا بنيت للمجهول كسرت السين « عبد الخالق »

لَمْ تُوَكَّلْ فَرْغَانُ إِلَّا بِتَفْرِيـ
ـغِ دِنَانٍ وَصَبِّهَا فِي الْقَنَانِي (١)
إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ يَا قَوْ
مُ بَلَائِي بِذَلِكَ الطِّرْمِذَانِ (٢)
رَجُلٌ كَالْفَنِيقِ فَدْمٌ (٣) بِلَا لُبْـ
ـبٍ طَوِيلٌ فِي صُورَةِ الشَّيْطَانِ
بِقَفًا كَالْحَدِيدِ يَصْمُدُ لِلصَّفْـ
ـعِ وَرَأْسٍ أَصَمَّ كَالسِّنْدَانِ (٤)
وَاسِعُ الْخَلْقِ نَاقِصُ الْخُلْقِ وَالدِّيـ
ـنِ غَلِيظُ الْقَذَالِ كَالْفَلْتَانِ (٥)
يَبْلَعُ الْمُطْجَنَاتِ (٦) بَلْعًا بِلَا مَضْـ
ـغٍ وَيَحْثُو النَّبِيذَ كَالْعَطْشَانِ

(١) القنانى : جمع قنينة ، وهي إناء من زجاج للشراب (٢) الطرمذان : المفاخر النفاخ — طرمذ : على فلان صلف (٣) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، والفدم : الغبي القليل الفهم (٤) السندان : آلة الحداد التى يطرق عليها حديده (٥) القذال : جماع مؤخر الرأس . والفلتان من الخيل : السريع (٦) المطجنات : المقليات و الطواجن

وَأَتَوْنِي بِزَامِرٍ زَمْرُهُ يَحْـ

ـكِى ضُرَاطَ الْعَبِيدِ وَالرُّعْيَانِ

وَمُغَنٍّ غِنَـــاؤُهُ يُجْشِئُ النَّفْـ

ـسَ وَيَأْتِى بِالْقَىْءِ وَالْغَثَيَانِ

قَصَدَتْ هَـذِهِ الطَّوَائِفُ خَمْرًا

يَا ٱبْتِـلَاءً وَنَـكْبَةً لِامْتِحَانِى

قُلْتُ مَا شَأْنُـكُمْ فَقَالُوا أَغِثْنَا

مَا طَعِمْنَا الطَّعَامَ مُنْذُ ثَمَانِ

وَأَنَاخُوا بِنَا فَيَالَكَ مِنْ يَوْ

مٍ عَصِيبٍ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ

نَزَلُوا سَاحَتِى وَأُطْلِقَتِ الْخَيْـ

ـلُ بِزَرْعِ الْحُقُولِ وَالْبُسْتَانِ

أَفْقَرُونِى وَغَادَرُونِى بِلَا دَا

رٍ وَلَا ضَيْعَةٍ وَلَا صِيوَانِ

أَذْهَشُونِى وَحَيَّرُونِى وَقَدْ صِرْ
تُ ذُهُولًا أَهِيمُ كَالسَّكْرَانِ
أَسْمَعُ اللَّفْظَ كَالطَّنِينِ فَهُمْ أَلْ
فَاظُهُمْ مَا لَهَا لَدَىَّ مَعَـــانِى
تَرَكُونِى يَا قَوْمُ أَجْرَدَ مِنْ فَرْ
خٍ وَأَعْرَى ظَهْرًا مِنَ الْأُفْعُوَانِ
أَكَلُوا لِى مِنَ الْجَرَادِقِ (١) أَلْفَيْـ
نِ بِدِبْسٍ (٢) يَسِيلُ كَالْقَطِرَانِ
أَكَلُوا لِى مَا حَوْلَهَا ثُمَّ مَالُوا
كَذِئَابٍ إِلَى سَمِيدِ الْفِرَانِ
أَكَلُوا لِى مِنْ الْجِدَاءِ ثَلَاثِيـ
ـنَ وَسَبْعًا بِالْخَلِّ وَالزَّعْفَرَانِ
أَكَلُوا ضِعْفَهَـــا شِوَاءً وَضِعْفَيْـ
ـهَا طَبِيخًا مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

---

(١) الجرادق : الرغفان ، جمع جردق وهو الرغيف معرب كرده بالفارسية

(٢) الدبس : عسل يتخذ من العنب والتمر

أَكَلُوا لِى تَبَالَةً (١) تَبَلَتْ عَقْـ
لِى بِعَشْرٍ مِنَ الدَّجَاجِ سِمَانِ

أَكَلُوا لِى مَضِيرَةً (٢) ضَاعَفَتْ ضُرْ
رِى بِرُوسِ الجِدَاءِ وَالْحُمْلَانِ

أَكَلُوا لِى كِشْكِيَّةً (٣) كَشْكَشَتْ قَلْـ
ـبِى وَهَاجَتْ بِفَقْدِهَا أَشْجَانِى

أَكَلُوا لِى سَبْعِينَ حُوتًا مِنَ النَّهْـ
ـرِ طَرِيًّا مِنْ أَعْظَمِ الْحِيتَانِ

أَكَلُوا لِى عِدْلًا مِنَ الْمَالِحِ الْمَقْـ
ـلُوِّ مُلْقًى فِى الْخَلِّ وَالْأَدْنَانِ

أَكَلُوا لِى مِنَ الْقَرِيشَاءِ (٤) وَالْبَرْ
نِىِّ وَالْمَعْقِلِىِّ (٥) وَالصَّرَفَانِ (٨)

(١) تبالة : طعام مصنوع بالتابل ، وهو ما يطيب به الغذاء من الأشياء اليابسة كالفلفل والكمون (٢) مضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير « الحامض » وبروس الخ : أى رءوس (٣) كشكية : طعاماً من الكشك : وهو ماء الشعير يعجن باللبن (٤) جبن يتميز من الحليب فتملح . والبرنى بفتح الباء تمر معرب برنيك (٥) فى ظنى أن المعقلى التمر المحتفظ به (٦) الصرفان : التمر الجاف

أَلْفَ عِدْلٍ سِوَى الْمُصَغَّرِ وَالْبُرْ
دِيِّ وَاللُّؤْلُؤِيِّ وَالصَّيْحَانِي
أَكَلُوا لِي مِنَ الْكَوَامِخِ وَالْجَوْ
زِ مَعاً وَالْخِلَاطِ وَالْأَجْبَانِ
وَمِنَ الْبَيْضِ وَالْمُخَلَّلِ مَا تَعْـ
ـجِزُ عَنْ جَمْعِهِ قُرَى حَوْرَانِ
فَتَتُوا لِي مِنَ السَّفَرْجَلِ وَالتُّفْـ
ـفَاحِ وَالرَّازِقِيِّ وَالرُّمَّانِ
وَالرَّيَاحِينِ مَا رَهَنْتُ عَلَيْهِ
جُبَّتِي عِنْدَ أَحْمَدَ الْفَاكِهَانِي
أَذْبَلُوا لِي مِنَ الْبَنَفْسَجِ وَالنَّرْ
جِسِ مَا لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْجِنَانِ
ذَبَحُوا لِي بِالرَّغْمِ يَا مَعْشَرَ النَّا
سِ ثَمَانِينَ رَأْسَ مَعْزٍ وَضَانِ

مَا كَفَاهُمْ تَذْبِيحُهُمْ غَنَمَ الْقَرْ
يَةِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى الثِّيرَانِ

أَكَلُوا كُلَّ مَا حَوَتْهُ يَمِينِى
وَشِمَالِى وَمَا حَوَى جِيرَانِى

ثُمَّ قَالُوا هَلُمَّ شَيْئًا فَنَادَيْ
تُ غُلَامِى قُمْ وَيْكَ فَاخْبَأْ حِصَانِى

لَمْ تَدَعْ لِى بُطُونُكُمْ يَابَنِى الْبُظْ
رِ سِوَاهُ وَذَا شُطُوبٍ (١) يَمَانِى

فَتَمَالُوا (٢) عَلَىَّ شَتْمًا وَلَعْنًا
وَاسْتَبَاحُوا عِرْضِى بِكُلِّ لِسَانِ

ثُمَّ جَاءَ الْمُعَقِّبُونَ (٣) مِنَ السَّا
سَةِ وَالشَّاكِرِىِّ وَالْعُبْدَانِ

فَرَأَيْتُ الصِّرَاعَ وَالدَّفْعَ وَاللَّطْ
مَ وَخَرْمَ الْأُنُوفِ وَالْآذَانِ

(١) يريد السيف (٢) أى تمالئوا واجتمعوا (٣) المعقبون جمع معقب يقصد من جاء بعدهم للأكل من أتباعهم

ثُمَّ لَمَّا أَتَوْا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
خَتَمُوا مِحْنَتِي بِكَسْرِ الْأَوَانِي
ثُمَّ قَامُوا مِثْلَ الْبُزَاةِ إِلَى الْعُصْـ
ـفُورِ وَالْعُصْفُرِيِّ وَالزِّرْبِطَانِ (١)
فَرَأَيْتُ الطُّيُورَ بَعْضاً عَلَى بَعْـ
ـضٍ وَبَعْضاً مُلْقًى عَلَى الْأَغْصَانِ
أَكَلُوا مَا ذَكَرْتُ ثُمَّ أَرَاقُوا
يَا صِحَابِي كُرًّا (٢) مِنَ الْأُشْنَانِ
وَمِنَ الْمَحْلَبِ الْمُطَيَّبِ بِالْبَا
نِ وَمَاءِ الْكَافُورِ سَبْعَ بَرَانِي
شَرِبُوا لِي عِشْرِينَ ظَرْفاً مِنَ الرَّا
حِ لَذِيذِ الْمَذَاقِ أَحْمَرَ قَانِي
فَأَقَامُوا سُوَّاسُهُمْ وَالْمُكَارُو (٣)
نَ إِلَى أَنْ سَمِعْتُ صَوْتَ الْأَذَانِ

(١) أنواع طيور (٢) الكر : ستة أحمال حمار ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون إردبا . والاشنان : الحرض وهو جلاء منق (٣) المكارون : المستأجرون

يَجْمَعُونَ الْأَحْطَابَ مِنْ حَيْثُ وَافَوْ
هَا فَلِلظُّهْرِ ضَاعَ لِي غَيْضَتَانِ(١)

وَمِنْهَا :

قَطَعُوا اللَّوْزَ وَالسَّفَرْجَلَ أَحْطَا
بًا وَمَالُوا بِهَا عَلَى غِلْمَانِي
وَالنَّوَاطِيرَ (٢) مَدَّدُوا وَعَلَوْهُمْ
حَنَقًا بِالْعِصِيِّ وَالْقُضْبَانِ
طَالَبُونِي « بِالشَّيْء » فِي آخِرِ اللَّيْـ
ـلِ وَجَمْعِ النِّسَاءِ وَالْمُرْدَانِ
قُمْ فَأَسْرِعْ فَبَعْضُنَا يَطْلُبُ الْمُرْ
دَ وَبَعْضٌ مُسْتَهْتَرٌ بِالْغَوَانِي
فَتَوَهَّمْتُهُ مِزَاحًا فَجَدُّوا
قُلْتُ هَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

(١) مثنى غيضة : وهي الاجمة ومجتمع الشجر فى مغيض ماء (٢) النواطير : جمع ناطور : حافظ الكرم والنخل

لَيْسَ يَبْقَى عَلَى أَرَامِلَ خَمْرًا
يَا سِوَى بَذْلِهِنَّ لِلضِّيفَانِ
لَوْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ فِى غَسَقِ اللَّيْـ
ـلِ بُكَاءَ النِّسْوَانِ وَالْوِلْدَانِ
يَتَنَـادَوْنَ بِالْعَوِيلِ وَبِالْوَيْـ
ـلِ وَرَاءَ الأَبْوَابِ وَالْجُدْرَانِ

وَمِنْهَا :

ثُمَّ رَاحُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى دَا
رِى فَلَمْ يَتْرُكُوا سِوَى الْحِيطَانِ
كَانَ لِى مفرَشٌ وَكُلُّ مَلِيحٍ
فَوْقَهُ مُطْرَحٌ مِنَ الْمَيْسَانِى(١)
وَبِسَاطٌ مِنَ أَحْسَنِ الْبُسْطِ مَذْخُو
رٌ لِعُرْسٍ أَوْ دَعْوَةٍ أَوْ خِتَانِ
غَرَّقُوهُ بِالْبَصْقِ وَالْقَىْءِ وَالْبَوْ
لِ فَأَضْحَى وَقَدْرُهُ بِعْرَتَانِ

(١) منسوب إلى الميسان . فى القاموس : كورة بين البصرة وواسط

أَوْقَدُوا زَيْتَنَا جِزَافاً بِلَا كَيْـ
ـلٍ يَكِيلُونَهُ وَلَا مِيزَانِ
خِلْتُ دَارِى يَا إِخْوَتِى الْمَسْجِدَ الْجَا
مِعَ لَيْلًا لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانِ
ثُمَّ لَمَّا انْتَهَتْ بِهِمْ شِدَّةُ الْكِظْـ
ـظَةِ[1] خَرُّوا صَرْعَى إِلَى الْأَذْقَانِ
هَوَّمُوا سَاعَةً كَتَهْوِيمَةِ الْخَا
ئِفِ فِى غَيْرِ أَرْضِهِ الْفَزْعَانِ
ثُمَّ قَامُوا لَيْلًا وَقَدْ جَنَحَ النَّسْـ
ـرُ وَمَالَ السِّمَاكُ وَالْفَرْقَدَانِ[2]
يَصْرُخُونَ الصَّبُوحَ يَا صَاحِبَ الْبَيْـ
ـتِ فَأَبْكَوْا عَيْنِى وَرَاعُوا جَنَانِى
سَحَبُونِى مِنْ عُقْرِ[3] دَارِى عَلَى وَجْـ
ـهِى كَأَنِّى أُدْعَى إِلَى السُّلْطَانِ

(١) الكظة : البطنة . وشىء يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام
(٢) النسر والسماك والفرقدان : كلها كواكب (٣) عقر الدار : أصلها

وَمِنْهَا :

هَلْ سَمِعْتُمْ فِيمَا سَمِعْتُمْ بِإِنْسَا
نٍ عَرَاهُ فِي دَعْوَةٍ مَا عَرَانِي

أَسْعِدُونِي يَا إِخْوَتِي وَثِقَاتِي
بِدُمُوعٍ تَجْرِي مِنَ الْأَجْفَانِ

إِخْوَتِي مَنْ لِوَاكِفِ الدَّمْعِ مَحْزُو
نٍ كَئِيبٍ مُوَلَّهٍ حَيْرَانِ ؟

هَائِمِ الْعَقْلِ سَاهِرِ اللَّيْلِ بَاكِي الْـ
عَيْنِ وَاهِي الْقُوَى ضَعِيفِ الْجَنَانِ

لَمْ يَكُنْ ذَا الْقِرَانُ[1] إِلَّا عَلَى شُؤْ
مِي فَوَيْلِي مِنْ نَحْسِ ذَاكَ الْقِرَانِ

وَالْقَصِيدَةُ كُلُّهَا غُرَرٌ وَلَطَائِفُ ، أَجَادَ وَأَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ ، وَأَبَانَ عَنْ مَقَاصِدِهِ بِهَا أَحْسَنَ بَيَانٍ .

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْقَاسِمِ أَيْضاً قَوْلُهُ :

(١) القران : اجتماع الكوكبين غير الشمس والقمر فى جزء واحد من أجزاء فلك البروج

لَا تُصغِ لِلَّوْمِ إِنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلُ

وَاشْرَبْ فَفِي الشُّرْبِ لِلْأَحْزَانِ تَحْوِيلُ

فَقَدْ مَضَى القَيْظُ وَاحْتَثَّتْ رَوَاحِلُهُ

وَطَابَتِ الرَّاحُ لَمَّا آلَ أَيْلُولُ (١)

وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ نَبْتٌ يَشْتَكِي رَمَدًا

إِلَّا وَنَاظِرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ

وَقَالَ :

وَلَمَّا نَضَا (٢) وَجْهُ الرَّبِيعِ نِقَابَهُ

وَفَاحَتْ بِأَطْرَافِ الرِّيَاضِ النَّسَائِمُ

فَطَارَتْ عُقُولُ الطَّيْرِ لَمَّا رَأَيْنَهُ

وَقَدْ بُهِتَتْ (٣) مِنْ بَيْنِهِنَّ الحَمَائِمُ

وَهِمْنَ جُنُونًا بِالرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا

صَدَحْنَ وَفِي أَعْنَاقِهِنَّ التَّمَائِمُ (٤)

---

(١) أيلول : الشهر التاسع من شهور السنة الشمسية وهو ٣٠ يوما كلمة سريانية معربة (٢) نضا النقاب : رفعه (٣) بَهِتت وبُهِتت : تحيرت ودهشت (٤) التمائم : واحدتها تميمة : وهى خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم وهى هنا طوق الحمامة .

وَقَالَ :

أَتَلْنِي بِالَّذِي اُسْتَقْرَضْتَ خَطًّا
وَأَشْهِدْ مَعْشَراً قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإِنَّ اللهَ خَلَّاقَ الْبَرَايَا
عَنَتْ[1] لِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ
يَقُولُ : إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

وَقَالَ :

إِذَا دَنَتِ السُّحْبُ الثِّقَالُ وَحَنَّهَا
مِنَ الرَّعْدِ حَادٍ لَيْسَ يَبْصُرُ أَكْمَهُ[2]
أَحَادِيثُهُ مُسْتَهْوَلَاتٌ وَصَوْتُهُ
إِذَا انْخَفَضَتْ أَصْوَاتُهُنَّ مُقَهْقِهُ
إِذَا صَاحَ فِي آثَارِهِنَّ حَسِبْتُهُ
يُجَاوِبُهُ مِنْ خَلْفِهِ صَاحِبٌ لَهُ

---

(١) عنت : خضعت (٢) أكمه : صفة لحاد

وَقَالَ يَهْجُو مِنَشَّا بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْقَزَّازَ :

إِنَّ مِنَشَّا قَدْ زَادَ فِى التِّيهِ
وَزَادَ فِى شَامِنَا تَعَدِّيهِ

فَلَا ابْنُ هِنْدٍ وَلَا ابْنُ ذِى يَزَنٍ
وَلَا ابْنُ مَاءِ السَّمَا يُدَانِيهِ

وَهُوَ مَغِيظٌ عَلَى الْوَصِىِّ وَمَنْ
يُعْزَى إِلَيْهِ وَمَنْ يُوَالِيهِ

يَذْكُرُ أَيَّامَ خَيْبَرٍ بِهِمُ
فَهُمْ قَذًى جَالَ فِى أَمَاقِيهِ

وَقَدْ حَكَى أَنَّ فَاهُ أَطْيَبُ مِنْ
سُرْمِى وَأَنِّى مِمَّنْ يُعَادِيهِ

وَمَنْ يَقُولُ الْقَبِيحَ فِيهِ وَمَنْ
أَصْبَحَ بِالْمُعْضِلَاتِ يَرْمِيهِ

فَسَوِّكُوهُ (١) بِكُلِّ طَيِّبَةِ الرْ
رِيحِ تُعَفِّى (٢) عَلَى مَسَاوِيهِ

(١) ساك الشىء يسوكه سوكا : دلكه ، ومنه ساك أسنانه بالعود وسوكوه : أى دلكوه (٢) تعفى على مساويه : تطمس

وَمَضْمِضُوهُ بِالْخَلِّ وَاجْتَهِدُوا
مَعاً بِكُلِّ اجْتِهَادِكُمْ فِيهِ
وَأَطْعِمُوهُ مِنَ الْجَوَارِشِ مَا
يُعْمَلُ بِالْمِسْكِ وَالْأَفَاوِيهِ
وَأَنْهِلُوهُ مِنْ خَمْرٍ مُعَتَّقَةٍ
قَدْ صَانَهَا الْقِسُّ فِي خَوَابِيهِ
وَاسْتَفْقِحُونِي وَاسْتَنْكِهُوهُ تَرَوْا
أَنَّ لِسُرْمِي فَضْلًا عَلَى فِيهِ
وَأَحْمِلُوا الْكَلْبَ وَالْحِمَارَ عَلَى
عِيَالِهِ وَاصْفَعُوا مُحِبِّيهِ

وَقَالَ يَهْجُو أَبَا الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنَ عَلِيٍّ، وَيُعَرِّضُ فِيهَا أَيْضاً بِمَنَشَّا بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَزَّازِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ سَبَبَ عَزْلِهِ عَنْ عَمَلِهِ :

يَأَهْلَ جَيْرُونَ هَلْ أُسَامِرُكُمْ
إِذَا اسْتَقَلَّتْ كَوَاكِبُ الْحَمَلِ ؟

بِمَالِحٍ (١) كَالرِّيَاضِ بَاكَرَهَا
نَوْءُ (٢) الثُّرَيَّا بِعَارِضٍ هَطِلِ
أَوْ مِثْلِ نَظْمِ الْجُمَانِ يُنْظَمُ فِي الْـ
ـعِقْدِ وَوَشْيِ الْبُرُودِ وَالْحُلَلِ
يَلَذُّ لِلسَّامِعِ الْغِنَاءُ بِهَا
عَلَى خَفِيفِ الثَّقِيلِ وَالرَّمَلِ
كُنْتُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِي سَحَراً
أَنْتَظِرُ الشَّاكِرِيَّ يُسْرِجُ لِي
وَطَالَ لَيْلِي لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ
بَاكَرْتُهَا وَالنُّجُومُ لَمْ تَزُلِ
فَمَرَّ بِي فِي الظَّلَامِ أَسْوَدُ كَالْـ
ـفِيلِ عَرِيضُ الْأَكْتَافِ وَالْعَضَلِ
أَشْغَى (٣) لَهُ مِنْخَرٌ كَكُوَّةِ
تَنُّورٍ وَعَيْنٌ كَمُقْلَةِ الْجَمَلِ

(١) صفة لمحذوف أى حديث مالح والسماع فى الصفة مليح وملاح كغراب ، وملاح كخطاف ولكنه اشتق على قياس اسم الفاعل « عبد الخالق »

(٢) النوء : المطر الذى يحدث عند طلوع النجم وسقوط آخر بحياله

(٣) أشغى : بالغين المعجمة : ذو شغا وهو اختلاف نبتة الأسنان

وَمِشْفَرٌ مُسْبَلٌ كَخُرِّ(١) رَحى

عَلَى نُيُوبٍ مِثْلِ الْمُدَى عُصُلِ(٢)

مُشَقَّقُ الْكَعْبِ أَفْدَعُ(٣) الْيَدِ وَالرْ

رِجْلِ طَوِيلُ السَّاقَيْنِ كَالسَّبَلِ

فَأَهْدَتِ الرِّيحُ مِنْهُ لِى أَرَجاً

مِثْلَ جَنَى الرَّوْضِ فِى نَدَى خَضِلِ

مِسْكاً وَقُفْصِيَّةً(٤) مُعَتَّقَةً

شِيبَا(٥) بِبَانٍ وَعَنْبَرٍ شَمَلِ

فَقُلْتُ مَا هَكَذَا يَكُونُ إِذَا اَنْفَضْ

ضَ النَّدَامَى رَوَائِحُ السَّفَلِ(٦)

أَسْوَدُ غَادٍ مِنَ الْأَتُونِ لَهُ

عَرْفُ(٧) أَمِيرٍ نَشْوَانَ ذِى ثَمَلِ

---

(١) الخر : هو فم الرحى ، وكانت فى الأصل « كخب رحى »

(٢) عصل : ملتوية معوجة (٣) أفدع اليد والرجل : معوج الرسغ منهما حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيها (٤) يريد خمرا صنعت فى قفص وهى قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمور الجيدة (٥) أى خلطا (٦) السفل : الأراذل السقاط

(٧) العرف : الرائحة

هَذَا وَرَبِّ السَّمَاءِ أَعْجَبُ مِنْ
حِمَارِ وَحْشٍ فِى الْبَرِّ مُنْتَعِلِ
أُرْدُدْهُ يَانَصْرُ كَىْ أُسَائِلَهُ
فَشَأْنُهُ عُضْلَةٌ (١) مِنَ الْعُضَلِ
فَقَالَ يُخْشَى فَوَاتُ حَاجَتِنَا
وَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الشُّغُلِ
فَقُلْتُ تَرْكُ الْفُضُولِ نَصْرُ وَإِنْ
أَنْجَاكَ عَنْ الْخُمُولِ وَالْكَسَلِ
بَادِرْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفُوتَكَ فِى
مَسِيرِهِ بَيْنَ هَذِهِ السُّبُلِ
فَصَدَّ عَنِّى تَغَافُلًا وَمَضَى
يَعْجَبُ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ خَلَلِى
وَصَاحَ مِنْ خَلْفِهِ رُوَيْدَكَ يَا
أَسْوَدُ مَالِى بِالْعَدْوِ مِنْ قِبَلِ (٢)

(١) العضلة: الداهية والعقدة العسيرة الانحلال (٢) أى من طاقة ولا قدرة

إِرْجِعْ إِلَى ذَلِكَ الرَّقِيعِ وَإِنْ
أَطَالَ فِى هَذِهِ فَلَا تُطِلِ
أَجِبْ إِذَا مَا سُئِلْتَ مُقْتَصِداً
فِى الْقَوْلِ وَاسْكُتْ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُسَلِ
وَهُوَ بِتَرْكِ الْفُضُولِ أَجْدَرُ لَوْ
سُلِّمَ مِنْ خِفَّةٍ وَمِنْ خَطَلِ
فَكَرَّ نَحْوِى عَجْلَانَ يَعْثُرُ فِى
مِرْطٍ [1] كُسِيهِ مُبَرْغَثٍ قَمِلِ
وَقَدْ مَذَى وَالْمَذْىُ يَقْطُرُ مِنْ
غُرْمُولِهِ فِى الذُّيُولِ كَالْوَشَلِ
وَظَنَّ أَنِّى صَيْدٌ فَأَبْرَزَ لِى
فَيْشَلَةً مِثْلَ رُكْبَةِ الْجَمَلِ
وَقَالَ لِجْ دَارَكُمْ لِأُولِجَهَا
فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبُلْ فَبُلِ

(١) المرط : كساء تلفيه المرأة على رأسها وتتلفع به جمعه مروط وكسيه سكنت ياؤها للضرورة وحقها الفتح

وَمِنْهَا :

قُلْتُ لَهُ لَاعَدِمْتُ بِرَّكَ قَدْ
بَذَلْتَ مَالَمْ يَكُنْ بِمُبْتَذَلِ

لَـكِنَّنِي وَالَّذِى يَمُدُّ لَكَ الْـ
عُمْرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ

مَاشَقَّ دُبْرِى ـ مُذْ كُنْتُ ـ فَيْشَلَةٌ
وَلَا انْتِخَابُ الْأُيُورِ مِنْ عَمَلِى

وَلَا لِهَذَا دُعِيتَ فَابْغِ لِمَنْ
لُوخِكَ مَنْ يَسْتَلِذُّهُ بَدَلِى

وَهَاتِ قُلْ لِى مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَمِنْ
أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَبَا جُعَلِ ؟؟

فَقَالَ لِى بِتُّ عِنْدَ عَامِلِـكُمْ
هَذَا أَبِى الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ عَلِى

فَصَاكَ(١) بِى طِيبُهُ وَصِكْتُ بِهِ
مِنِّى صُنَانًا(٢) فِى حِدَّةِ الْبَصَلِ

(١) وصاك : معناها لزق (٢) الصنان والصنة : نتن رائحة الابط

تَرَكْتُهُ فِى النَّهَارِ أَخْفَشَ[١] لَا
يَنْظُرُ فِى خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلِ
قُلْتُ تَطَاوَلْتَ وَافْتَرَيْتَ عَلَى
شَيْخٍ نَبِيلٍ يُنْمَى إِلَى نُبُلِ
أَبُوهُ قَسْطَا وَجَدُّهُ صَمَعَ
يُدْعَى حُنَيْنًا وَعَمُّهُ الصُّلِى
لَعَلَّ ذَا غَيْرُهُ فَصِفْهُ فَمَا
يُخْدَعُ مِثْلِى بِهَذِهِ الْحِيَلِ
فَإِنْ تَكُنْ صَادِقًا نَجَوْتَ وَأَنْحَيْـ
ـتُ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ وَالْعَذَلِ
وَإِنْ تَكُنْ كَاذِبًا صَفَعْتُكَ بِالنَّـ
ـعْلِ فَإِنْ كُنْتَ قَائِلًا فَقُلِ
فَقَالَ يَا سَيِّدِى عَجِلْتَ بِمَكْـ
ـرُوهِى وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

(١) أى ضعيف البصر

هَذَا الَّذِى بِتُّ عِنْدَهُ نَصَفٌ(١)
دُونَ عَجُوزٍ وَفَوْقَ مُكْتَهِلِ
فِى فِيهِ نَتْنٌ وَتَحْتَ عُصْعُصِهِ
عَيْنٌ تَمُجُّ الصَّدِيدَ فِى دَغَلِ
أَنْتَنُ مِنْ كُلِّ مَا يُقَالُ إِذَا
بَالَغَ فِى الْوَصْفِ ضَارِبُ الْمَثَلِ
وَهُوَ عَلَى ذَاكَ مُولَعٌ أَبَدًا
لِشُؤْمِ بَخْتِى بِالْعَضِّ وَالْقُبَلِ
لَهُ إِذَا مَا عَلَوْتُهُ نَفَسٌ
أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ فِى يَدَىْ بَطَلِ

وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ نَحْوَ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا، وَفِيهَا مِنَ الْفُحْشِ مَالَا يَجْمُلُ بِالْأَدِيبِ ذِكْرُهُ، وَفِيمَا أَوْرَدْنَاهُ كِفَايَةٌ:

وَمِنْ شِعْرِهِ

وَمُهَفْهَفٍ يَزْهُو عَلَى بِجِيدِهِ
وَبِخَصْرِهِ وَبِرِدْفِهِ وَبِسَاقِهِ

(١) النصف : الوسط بين الحدث والمسن

وَافَى إِلَيَّ وَقَلْبُهُ مُتَخَوِّفٌ
كَتَخَوُّفِ الْمَعْشُوقِ مِنْ عُشَّاقِهِ

حَتَّى إِذَا مَدَدْتُهُ وَحَلَلْتُ عَنْ
كَفَلٍ مُبَاحِ الْحِلِّ بَعْدَ وَثَاقِهِ

فَاحَتْ عَلَيَّ أَصِنَّةٌ مِنْ رِدْفِهِ
بِخِلَافِ مَا قَدْ فَاحَ مِنْ أَطْوَاقِهِ

فَسَأَلْتُهُ مَاذَا فَقَالَ بِحُرْقَةٍ
وَدُمُوعُهُ تَنْهَلُّ مِنْ آمَاقِهِ ؟

هَذَا ابْنُ بِسْطَامٍ أَتَانِى طَارِقًا
بِلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ نِفَاقِهِ

وَعَلَا عَلَى ظَهْرِى وَيَلْقَمُ مَثْقَبِي
بِرِيَالِهِ الْمُنْهَلِّ مِنْ أَشْدَاقِهِ

فَبَقِي صُنَانُ رُضَابِهِ فِى فَقْحَتِي
زَمَنًا لَحَاهُ اللَّهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ

فَاللَّهُ يَحْرِمُهُ مَعِيشَتَهُ كَمَا
قَدْ سَدَّ مَكْسَبَ مَثْقَبِي بِبُصَاقِهِ

٢٤ – الْحُسَيْنُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ *

الحسين ابن سعد الآمدى

أَبُو عَلِيٍّ الْآمِدِيُّ اللُّغَوِيُّ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ خَامِسَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وُلِدَ بِآمِدَ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَأَخَذَ بِهَا عَنْ أَبِي يَعْلَى الْفَرَّاءِ ، وَأَبِي طَالِبِ بْنِ غَيْلَانَ ، وَأَخَذَ بِالشَّامِ عَنْ جَمَاعَةٍ. وَدَخَلَ أَصْبَهَانَ فَاسْتَوْطَنَهَا وَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا ، وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ.

وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَأَهْيَفَ مَهْزُوزِ الْقَوَامِ إِذَا انْثَنَى
وَهَبْتُ لِعُذْرِي فِيهِ ذَنْبَ اللَّوَائِمِ
بِثَغْرٍ كَمَا يَبْدُو لَكَ الصُّبْحُ بَاسِمٍ
وَشَعْرٍ كَمَا يَبْدُو لَكَ اللَّيْلُ فَاحِمٍ (١)

---

(١) الفاحم : الاسود

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٣٠٣ بما يأتى :

كان أديباً فى زمانه وفريد عصره فى وقته ، نزل أصبهان وأفاد واستفاد الناس منه ، وحدث بها عن محمد الجوهرى وأبى طالب القارى وغيرهما وتوفى فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة

وترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣٣

مَلِيحُ الرِّضَا وَالسُّخْطِ تَلْقَاهُ عَاتِبًا
بِأَلْفَاظِ مَظْلُومٍ وَأَلْحَاظِ ظَالِمِ

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي يَوْمَ بَيْنِهِ
شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمِ

وَحَمَّلْتُ أَثْقَالَ الْهَوَى غَيْرَ حَامِلٍ
وَأَوْدَعْتُ أَسْرَارَ الْهَوَى غَيْرَ كَاتِمِ

وَأَبْرَحُ مَا لَاقَيْتُهُ أَنَّ مُتْلِفِي
بِمَا حَلَّ بِي فِي حُبِّهِ غَيْرُ عَالِمِ

وَلَوْ أَنَّنِي فِيهِ سَهِرْتُ لِسَاهِرٍ
لَهَانَ وَلَكِنِّي سَهِرْتُ لِنَائِمِ

وَقَالَ :

أَتَنْسُبُ لِي ذَنْبًا وَلَمْ أَكُ مُذْنِبًا
وَحَمَّلْتَنِي فِي الْحُبِّ مَالَا أُطِيقُهُ

وَمَا طَلَبِي لِلْوَصْلِ حِرْصٌ عَلَى الْبَقَا
وَلَكِنَّهُ أَجْرٌ إِلَيْكَ أَسُوقُهُ

وَقَالَ :

تَوَهَّمَ وَاشِينَا بِلَيْلٍ مَزَارَهُ
فَهَمَّ لِيَسْعَى بَيْنَنَا بِالتَّبَاعُدِ
فَعَانَقْتُهُ حَتَّى اتَّحَدْنَا تَعَانُقًا
فَلَمَّا أَتَانَا مَارَأَى غَيْرَ وَاحِدِ

وَقَالَ :

بِنَفْسِي وَرُوحِي ذَلِكَ الْعَارِضُ الَّذِي
غَدَا مِسْكُهُ تَحْتَ السَّوَالِفِ سَائِلَا
دَرَى خَدُّهُ أَنِّي أُجَنُّ مِنَ الْهَوَى
فَهَيَّأَ لِي قَبْلَ الْجُنُونِ سَلَاسِلَا

وَقَالَ :

تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مُهَوَّسٍ (١)
بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ

(١) مهوس : مصاب بالهوس وهو اختلاط العقل

فَحَقَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا

بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ

لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا

كُلَاهَا (١) وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

---

(١) كلاها : جمع كلية

انتهى الجزء التاسع

من كتاب معجم الأدباء

ويليه الجزء العاشر

وأوله ترجمة

الحسين بن الضحاك البصري

فهرس

الجزء التاسع

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى

فهرس الجزء التاسع